بحوث ودراسات
في
المذاهب والتيارات

تأليف
الدكتور محمد مجاهد نور الدين
الأستاذ المساعد بكلية المعلمين بجازان

الجزء الأول

الناشر
دار هجر
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسل الله أجمعين .

وبعد ، فقد لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى وترك المسلمين على المحجة الواضحة ليلها كنهارها ، وترك فيهم كتاب الله وسنة رسوله . من تمسك بهما لا يضل أبدا عن الصراط المستقيم .

وظل المسلمون على الوحدة الإسلامية القوية ، والعقيدة الخالصة الراسخة إلى عهد الخلفاء الراشدين . فكانت نهاية الخلافة الراشدة هي الحد الفاصل بينَ الكمال وبين مخالطة الضلال .

وكادت حجب الشرك والجهل والضلال أن تحجب التوحيد الإسلامي الخالص وانتشرت البدع والخرافات حتّى شغلت قدرًا كبيرًا من حياة المسلمين وشغلتهم عن الدين الصحيح .

لقد سمح بعض المسلمين لعقولهم وأهوائهم أن تتدخل في أمور الدين بطريقة لا يقرها الشرع ، ولا يستسيغها العقل ، بنية حسنة أو نية سيئة ، فأضر كلاهما بالإسلام وعقيدته ، ومزق الوحدة الدينية في أمته ، وكان ما كان من المذاهب الإسلامية التي ضلت وأضلت غيرها : باعث بعضها واضح في فكرها ، وبعض منها يجتهد في إخفاء بواعثه وعدم إظهارها ، فتجد من المذاهب الدينية ما قد يكون الباعث عليها غير ما ظهر من تعاليمها .

أضف إلى ذلكَ تنوع الأفكار ، وتعدد الآراء ، ومدى صلتها بما سبقها من مذاهب وأفكار .

كل ذلكَ يحتاج إلى جهد كبير ، وعناء شديد للكشف عنهـا ، وإبرازهـا للتعـرف على حقيقتها . والوقوف على موقف الإسلام منها .

ولا يمكننا في هذا الكتاب أن نستوعب جميع الفرق والمذاهب الإسلامية فضلاً عن جميع التيارات الفكرية . لأن ذلكَ يحتاج إلى كتب ومجلدات ، فاقتصرت في الجزء الأول من الكتاب على ذكر بعض المذاهب الإسلامية والطـرق الصوفيـة ، وعرضـت ذلـكَ في إيجاز يفي بالمطلوب في هذا البحث .

ولو حاولت استيفاء الكلام في كل مذهب لكان في كل مذهب كتاب !

إن ما قمت به من عمل في هذه الدراسة إنما هو خطوة جادة على طريق البحث ، تثير الباحثين للنقد والتوسع والتمحيص ، وتـزود المتعجلين بما ينفعهـم في الدفـاع عـن العقيدة الإسلامية وحراستها .

وقد جعلت « **الجزء الثاني** » خاصًا بالتيـارات الفكريـة الإلحاديـة والقوميـة الـتي تستهدف الإسلام والمسلمين للوقوف على حقيقتها والتمكن من دفع شرورها .

وإنـي لأحسـب أن الكتـاب يزيـد مـن رصيـد المعرفـة ، وينمـي قـوة الإدراك والملاحظة ، ويحرك في الإنسان دواعي الغيرة على الإسلام والدفاع عنه .

واللَّه من وراء القصد . وهو الهادي إلى سواء السبيل .

المؤلف

د/ محمد مجاهد نور الدين

تمهيد

لا بد لنا قبل أن نخوض غمار البحث حول الفرق والتيارات أن نلم ببعض الأمور ذات الصلة القوية بموضوع دراستنا هذه ؛ لتتضح صورتها أكثر في أذهاننا ، فيكون ذلكَ أعون لنا في دراستنا وبحثنا .

١ ـ وضوح العقيدة الإسلامية وشمولها :

العقيدة مجموعة من القضايا والأفكار ، وهي في الإسلام تطلق ويراد بها قضايا الحق البدهية المسلمة بالعقل ، والشرع ، والفطرة يعقد الإنسان عليها قلبه جازمًا بصحتها قاطعًا بوجودها وثبوتها ، وذلك كالاعتقاد بوجود الإله سبحانه ، واتصافه بصفات الكمال ، وتنزهه عن صفات النقص والعيب . والاعتقاد بوجود الرسل ، والكتب ، والملائكة ، واليوم الآخر وما فيه ، والاعتقاد بقضاء اللّٰه وقدره على النحو الذي رسمه الشرع الحنيف .

ولا شك أن هذه العناصر تشير إلى أركان الإيمان ومحتوى العقيدة الإسلامية .

وتمتاز العقيدة الإسلامية على سائر العقائد التي آمن بها البشر قديمًا وحديثًا بوضوحها ويسرها وبساطتها وصحتها وسلامتها ، وأوضح دليل على ذلكَ يراه كل من تتبع انتشار الإسلام في الماضي والحاضر .

ومعلوم أن بلوغ السعادة أعظم مطلب ينشده الإنسان في الحياة ، ويستميت النّاس في محاولة العثور على الوسيلة التي تحقق لهم السعادة المنشودة ، والعقيدة التي دعا إليها الإسلام كفيلة . بتحقيق سعادة الدارين بحيث لا تكون سعادة الدنيا على حساب سعادة الآخرة .

لقد توجه القرآن إلى الفطرة الإنسانية بكل جوانبها . يدعوها إلى الإيمان فكان

برهانه في ذلكَ أقوى ما يكون البرهان . فقد قدم القرآن من البراهين أوضحها وأقواها ، وأفسح المجال للعقل الإنساني ليفكر ويتأمل . ويرتب الأدلة والمقدمات على قدر استطاعته ، وكتاب اللّه يشد أزره ويحفظه من الزيغ والضلال ، فهو المرجع عند الحيرة والاضطراب ، فمن استمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى لا نفصام لها ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله اللّه .

٢ ـ *مصادر تلقي العقيدة الإسلامية :*

هل نتلقى العقيدة الإسلامية من الوحي وحده ، أم من العقل وحده ؟

أختلف النّاس في الإجابة على هذا السؤال الهام . فذهب الفلاسفة إلى الاعتماد على العقل وحده ، وساروا وراء البراهين العقلية إلى نهايتها . فما استحسنته عقولهم القاصرة قبلوه وعملوا به ، وما أنكرته عقولهم لم يقبلوه ؛ فضلوا وأضلوا غيرهم ، وانحرفوا عن الصراط المستقيم . فكان منهم الزنادقة والملاحدة .

وذهب آخرون إلى تقديم العقل على النقل (الوحي) وذهبوا إلى تحكيم العقل في النصوص الشرعية ، فصار العقل عندهم حاكمًا للشرع لا محكومًا به ، وأفرطوا في قياس الغائب على الشاهد ، وتجاوزت عقولهم الحدود التي ينبغي أن تقف عندها وبدت النصوص الشرعية في كتبهم وأبحاثهم كعيون الماء في الصحراء .

وأهمل أقوام عقولهم ، وعطلوا تفكيرهم ، وأمعنوا في الأخذ بالظاهر ، وجمدوا أمامه فوقعوا في التشبيه المذموم والتجسيم المرفوض . والحق أن الإسلام يدعوا إلى النظر والتفكير ، ويشجع إعمال الفكر بكل وسيلة ، ويحث النّاس على استعمال عقولهم ليميزوا بينَ الحق والباطل .

فالقرآن الكريم يأمر بالنظر ويحث عليه ويخط على ضوئه معالم الإيمان . إنه

يخاطب بني الإنسان ويدعوهم إلى النظر في أنفسهم التي هي أقرب الأشياء إليهم ﴿ **وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ** ﴾ (١) .

وإذا كان التأمل في خلق الإنسان يوصل إلى التعرف على عجيب صنع الخالق ﷻ ، والإقرار بعظمته وحكمته ، فإن هناك من خلق اللّه ما هو أكبر وأعظم من خلق النّاس . يقول تعالى : ﴿ **لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ (٢) .

ومن هنا فقد وجه القرآن دعوته إلى الإنسان ؛ ليتأمل الطبيعة من حوله ويقرأ آيات اللّه في الكون الفسيح للتعرف على الحق والعمل به قال تعالى : ﴿ **فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۞ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۞ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ۞ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۞ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۞ وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً ۞ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۞ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۞ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ** ﴾ (٣) .

فهذه الآيات وأمثالها من كتاب اللّه تعالى تدعو الإنسان إلى التأمل والتفكير في كيفية تدبير اللّه سبحانه .

وذم القرآن التعصب الأعمى وعاب على المقلدين . فالذين قالوا : ﴿ **حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيهِ آبَاءَنَا** ﴾ استنكر القرآن عليهم ذلك فقال : ﴿ **أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ** ﴾ (٤) .

إن القرآن يرفض التبعية الفكرية ، والتقليد الأعمى .

---

(١) سورة الذاريات : الآية ٢١ .

(٢) سورة غافر : الآيات ٥٧ .

(٣) سورة عبس : الآيات ٢٤ ـ ٣٢ .

(٤) سورة المائدة : الآية ١٠٤ .

ولذلك نهانا تعالى عن اتباع مالا نعلم ، وأعلمنا بأننا محاسبون على ذلك مسئولون عنه قال تعالى : ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً** ﴾ (١) .

إن العقيدة التي دعا إليها الإسلام لا يحمل أحدًا عليها إكراهًا ؛ لأن طبيعة الإيمان تأبى الإكراه ، ولا يتحقق إيمان بإكراه ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ (٢) .

وكذلك لا يحمل عليها عن طريق الخوارق الحسية التي يدهش بها عقولهم دون نظر واختيار . قال تعالى : ﴿ **إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ** ﴾ (٣) .

والمعنى : إننا لا نشاء ذلكَ ؛ لأنا نريد منهم إيمانًا عن تقبل واختيار وتعقل . فالحق الذي لا مراء فيه أن الإسلام بنى الإيمان على البرهان ، واعتبر التفكير الحق فريضة إسلامية ، وليس في الإسلام ما يشجع على عرقلة الفكر ، كل ما في الأمر أنه ينبغي الانتباه إلى أن العقل الإنساني له حدود ينبغي أن يقف عندها ، لا يتجاوزها شأنه في ذلكَ شأن بقية أعضاء الإنسان ، فالعين ترى في نطاق محدود ، واليد والرجل لكل منها قدرة محدودة ، وكذلك الأنف وبقية الأعضاء ، وكذلك العقل ، وكما أن ميزان الذهب لا تطمع أن تزن به الجبال ؛ لأن طاقته محدودة لا تسمح بذلك ، ولا يدل على خلل في الميزان ، فكذلك عقل الإنسان .

وكما أن العين وحدها لا تبصر إلاَّ في وجود الضوء ، كذلك العقل لا يعمل إلاَّ في نور الوحي وإلاَّ ضل وأضل .

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٣٦ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٥٦ .

(٣) سورة الشعراء : الآية ٤ .

لقد (نزل الدين هاديًا للعقل في جميع الأمور التي لو ترك العقل وشأنه فيها ضل السبيل ، وعجز عن الوصول إلى الحقيقة .

وهذه الأمور هي :

(أ) العقائد .

(ب) المبادئ الأخلاقية إجمالاً وتفصيلاً .

(جـ) التشريع في قواعده العامة وفي بعض تفصيلاته وقواعده العامة التي تتضمن الجزئيات على مر الزمن وعلى اختلاف البيئات .

أما الطبيعة والكون : من سمائه وأرضه ، ومن جباله وبحاره ، ومن كواكبه وأقماره وشموسه ، أما المادة والطاقة ، أما أعماق البحار وآفاق السماء .... إن كل ذلكَ قد تركه للإنسان يدرسه في مصنعه ومعمله بآلاته وأدواته ، وحثه على أن يجول في ذلكَ ما استطاع إليه سبيلاً حتّى يكتشف سنن اللّه الكونية ونواميسه الطبيعية ويرى صنع اللّه الذي أتقن كل شيء ...) [١] .

فالعقل محكوم بالوحي وليس حاكمًا على الوحي . العقل يفهم به الشرع ، ومن رحمة اللّه بخلقه ولطفه بهم أن أرسل إليهم الرسل لينضم نور الوحي إلى نور العقل فيصير للمؤمن نوران ﴿ **نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ** ... ﴾ [٢] .

وعلى هذا فالوحي هو المصدر لتلقي العقيدة الإسلامية ، وهذا الوحي ماثل في القرآن الكريم وسنة نبينا محمد ﷺ . قال تعالى : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا**

---

(١) « الإسلام والعقل » للدكتور / عبد الحليم محمود شيخ الأزهر سابقًا ص ٢٩ ، ٣٠ ط سنة ١٩٧٣م .

(٢) سورة النور : الآية ٣٥ .

نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُواْ ... ﴾ (١) .

٣ ـ النهي عن الاختلاف والجدل في الدين وذم البدع والأهواء :

فنحن مأمورون بالتمسك بكتاب اللّه وسنة الرسول محمد ﷺ ، لا نحيد عنهما ، ولا نتبع غيرهما ، وإلاّ ضللنا وهلكنا .

وقد وردت نصوص شرعية كثيرة في بيان ذلكَ منها :

قوله تعالى : **﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾** (٢) .

وقوله تعالى : **﴿ وَأَنَّ هذا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾** (٣) .

وقوله تعالى **﴿ وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾** (٤) .

وقوله تعالى : **﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾** (٥) .

وقال ﷺ : « **إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة ، يعنى الأهواء . كلها في النّار إلاّ واحدة وهى الجماعة** » (٦) .

---

(١) سورة الحشر : الآية ٧ .

(٢) سورة النساء : الآية ١١٥ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ١٥٣ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٠٥ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ١٠٣ .

(٦) رواه أبو داود والترمذي في « الإيمان » ، وابن ماجة في « الفتن » ، وأحمد في « مسنده » ١٤٥/٣ .

وقال عبد اللّٰه بن مسعود : من كان مستنا فليستن بمن قد مات ، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة . أبرها قلوبًا ، وأعمقها علمًا ، وأقلها تكلفًا ، قوم اختارهم اللّٰه لصحبة نبيه ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم .

وروى أحمد عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال : « **إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم ، يأخذ الشاة القاصية ، والناحية ، فإياكم والشعاب ، وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد** » (١) .

وروى مسلم في صحيحه عن عبد اللّٰه بن عمر قال : هجرت إلى النبي ﷺ يومًا فسمعت أصوات رجلين اختلفا في آية ، فخرج علينا رسول اللّٰه ﷺ يعرف في وجهه الغضب فقال : « **إنما أهلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب** » (٢) .

وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : خرج رسول اللّٰه ﷺ على أصحابه ذات يوم وهم يختصمون في القدر ، هذا ينزع بآية وهذا ينزع بآية ، فكأنما فقيء في وجهه حب الرمان (كناية عن احمرار وجهه ﷺ) فقال : « **أبهذا أمرتم ؟ أم بهذا وكلتم ؟ أن تضربوا كتاب اللّٰه بعضه ببعض ، أنظروا ما أمرتم به فاتبعوه وما نهيتم عنه فانتهوا** » (٣) رواه الترمذي وابن ماجة .

---

(١) رواه أحمد في مسنده جـ ٥ ص ٢٢٣ ، ص ٢٤٣ .

(٢) رواه مسلم في « الحج » ، والترمذي في « العلم » ، والنسائي في « الحج » ، وابن ماجة في « المقدمة » ، وأحمد في « مسنده » ١/٤٠١ ، ٢/٢٤٧ .

(٣) رواه ابن ماجة في « المقدمة » ، وأخرجه الترمذي (رقم ٢١٣٤) في « القدر » وإسناده حسن ويقويه رواية ابن ماجة فالحديث حسن . (سنن الترمذي بشرح ابن العربي ط القاهرة ١٩٣١م) .

وعن أبي أمامة الباهلي [١] ﷺ قال قال رسول اللّه ﷺ : « **ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلاّ أوتوا الجدل** » ثُمَّ تلا ﴿ **مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً** ﴾ [٢] رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

ومع كثرة النصوص الشرعية التي تحث المسلمين على الوحدة وتحذرهم من التفرق والاختلاف فقد بعد المسلمون عن دينهم ، وخالفوا الكتاب والسنة وذلك بسبب الشهوات أو الشبهات فأخطأوا في فهم الدين والعمل به ، وأولوا النصوص الشرعية تأويلاً أبعدها عن حقيقة معناها ، فانقسم المسلمون إلى فرق يجادل بعضها بعضا ، ويحاول كل فريق أن ينتصر لمذهبه حتّى أصبح هذا الجدل علمًا له أصوله وبحوثه ومصنفاته وأسموه علم الكلام ، له رجال ألفوا فيه ، وقد ذهب الرجال وبقي الجدال !

فكيف نشأ الجدال وعلم الكلام ، وكيف نشأت الفرق الإسلامية ؟

هذا ما ننتقل لبيانه الآن .

٤ ـ نشأة الفرق الإسلامية وعلم الكلام :

أنزل اللّه القرآن الكريم على قلب محمد خاتم الأنبياء والمرسلين بلسان عربي مبين ، فأدركت معانيه الفطرة العربية حينذاك ، ولم يكن هناك مجال كبير للخلاف حول معاني القرآن أول الأمر . فقد كان رسول اللّه بينهم يسألونه في كل ما أشكل عليهم فيجيبهم بما يهديهم ويشعل حرارة الإيمان في نفوسهم .

وإضافة إلى ذلكَ فقد سادت النزعة العملية في بداية الإسلام ، فابتعد الصحابة

(١) **هو صدى بن عجلان بن وهب الباهلي** روى عن النبي ﷺ وعن كبار الصحابة وروى عنه خالد بن معدان وآخرون وهو آخر من مات من الصحابة بحمص بالشام ٨١هـ وله في الصحيحين خمسة وعشرون حديثًا .
انظر : « الإصابة في تمييز الصحابة » ٢/١٧٥ لابن حجر ، ط التجارية بالقاهرة ١٩٣٩م .

(٢) سورة الزخرف : الآية ٥٨ .

ـ رضوان اللّٰه عليهم ـ عن التعمق في المناقشات الجدلية النظرية ، وآثروا الاشتغال بالأعمال وما يفيد في الحياة العملية وكرهوا ما كرهه رسول اللّٰه ﷺ . من مراء في الدين وجدل بينَ المسلمين ، فضلاً عن التعمق في ذلكَ .

فذهب الصحابة إلى اتباع القرآن والالتزام بما جاء فيه ، والبعد عن التعمق في الجدل ، وتبعهم في ذلكَ من أتى بعدهم من التابعين وكبار الأئمة من المسلمين وهذا هو مذهب السلف ، وهؤلاء هم أصحابه .

كان موقف السلف إذن هو التفويض والتسليم :

التفويض فيما لم يصل إليه علمهم حول المتشابه من القرآن ، الذي لم يرد في تفسيره نص صريح واضح ، من كتاب أو سنة ، والتسليم بأن المحكم والمتشابه كل من عند اللّٰه ويلتزمون بما جاء في القرآن .

وينبغي أن نعلم أن ما ذهب إليه السلف ـ رضوان اللّٰه عليهم ـ لا يتعارض مع النظر والتأمل ، الذي طلبه القرآن ودعا إليه . فقد أطالوا النظر والتأمل في آيات اللّٰه وبدائع صنعه ، وآمنوا بالآيات القرآنية التي تدل على وحدانية اللّٰه ، وعلى صدق الرسول وعلى الإيمان بالبعث والجزاء دون أن يحملوا عقولهم ما لا طاقة لها به .

كما آمنوا بآيات الصفات دون تأويل لها بصرفها عن ظاهرها ، أو تعطيل لها عن مدلولها .

لقد صح عندهم أن الخالق سبحانه لا يمكن معرفته بالتصوير والتركيب والقياس على الخلق ؛ لأنه لا يشبه شيئًا من مخلوقاته ، وإلى هذا المعنى أشار الصديق ﷺ بقوله : العجز عن درك الإدراك إدراك .. وقيل لعلي ﷺ : أين اللّٰه ؟ فقال : إن الذي أين الأين لا يقال له أين ؟

فقيل له كيف اللّه ؟ فقال : إن الذي كيف الكيف لا يقال له كيف ؟ [(١)] .

وقد أخرج عن محمد بن الحنفية قال : لا تهلك هذه الأمة حتّى تتكلم في ربها .

وأخرج عن جعفر بن محمد قال : إذا بلغ الكلام إلى اللّه فأمسكوا .

وأخرج عنه قال : تكلموا فيما دون العرش ولا تتكلموا فيما فوق العرش ، فإن قومًا تكلموا في اللّه فتاهوا ، وأخرج أن سفيان الثوري كان يقول : عليكم بالأثر ، وإياكم والكلام في ذات اللّه .. [(٢)] .

وأخرج الهروي عن أبي هريرة قال : خرج علينا رسول اللّه ﷺ ونحن نتنازع في القدر فغضب حتّى أحمر وجهه ، ثُمَّ قال :« **أبهذا أمرتم ؟ أم بهذا أرسلت إليكم ؟ إنما أهلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر عزمت عليكم ألاَّ تنازعوا** »[(٣)].

ولكن ألم يحدث اختلاف بينَ الصحابة قط ؟

يذكر (الأشعري) المتوفى (٣٣٠هـ) في كتابه « مقالات الإسلاميين » الاختلاف في الإمامة ، وفي قتل (عثمان) ﷺ ، وفي أمر علي ﷺ .

ويذكر الشهرستاني في كتابه « الملل والنحل » الاختلافات بينَ الصحابة ويصل بها إلى عشرة ، ولكنه يقول عنها : وأما الاختلافات الواقعة في حال مرضه ﷺ وبعد وفاته بينَ الصحابة ﷺ ، فهي اختلافات اجتهادية كما قيل ، كان غرضهم منها إقامة مراسم الشرع وإدامة مناهج الدين [(٤)] .

---

(١) « التبصير في الدين » لأبي المظفر الإسفراييني . تحقيق / كمال يوسف الحوت ص١٦٠ ـ ١٦٢ ، ط١ ، عالم الكتب ـ بيروت سنة ١٩٨٣م .

(٢) « تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية » لمصطفى عبد الرزاق ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ ، مكتبة النهضة بمصر ، ط٣ .

(٣) « صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام » للسيوطي ص ٣٤ ، ط١ .

(٤) « الملل والنحل » للشهرستاني ص ٢٢ . حـ ١ ، ط الحلبي .

لقد كان هذا الاختلاف بينَ الصحابة ـ رضوان اللّه عليهم ـ فيما فيه مجال للاجتهاد دون التورط في الجدل المردى أو التنطع المهلك .

وأما ما أثير من شبهات في زمن النبي ﷺ فمصدرها المنافقون المخادعون . لقد نشأت (من شبهات منافقي زمن النبي ﷺ ، إذ لم يرضوا بحكمه فيما كان يأمر وينهي ، وشرعوا فيما لا مسرح للفكر فيه ولا مسرى ، وسألوا عما منعوا من الخوض فيه والسؤال عنه وجادلوا بالباطل فيما لا يجوز الجدل فيه) [1] .

ومعلوم أن القرآن الكريم قد جادل المنافقين وجادل المشركين ، وجادل أهل الكتاب والصابئين وسائر المخالفين له جدالاً قويًا ملزمًا : فحكى شبهاتهم بأمانة ودقة ثُمَّ فندها ورد عليها بقوة ووضوح ، وأقام الحجة البالغة الكفيلة بتوصيل اليقين إلى القلوب (وأدلة القرآن : كالماء الذي ينتفع به الصبي الرضيع والرجل القوي . وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرة ، ويمرضون بها أخرى ، ولا ينتفع بها الصبيان أصلاً) [2] .

لقد اتبع صحابة الرسول ﷺ ومن وافقهم من المسلمين اتبعوا منهج القرآن في الاستدلال على وجود اللّه وصفاته دون زيادة أو نقص ، ورأو أن ما ورد في القرآن والسنة المطهرة كاف في تثبيت الإيمان ، وكاف في إقناع الملحدين ، وفي الرد على اليهود والنصارى وشبهات المنافقين ، فنأوا بأنفسهم عن الزيغ واستسلموا استسلامًا كاملاً للهِ .

ومضى عهد الرسول ﷺ على هذا النحو من الوحدة الإسلامية القوية والعقيدة الراسخة ، وكذلك كان الأمر في بداية الخلافة الراشدة فأي خلاف كان يحدث في

(١) الشهرستاني « الملل والنحل » ص ٢١ . جـ١ ط الحلبي .

(٢) الإمام الغزالي « إلجام العوام » ص ٢٩ط . منير .

عهد الشيخين : أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ كان ينتهي إلى وفاق ...

وظل الأمر على هذا الحال إلى أن ظهرت الفتن في أواخر خلافة ذي النورين عثمان بن عفان ﷺ . فاتبع الظالمون أهواءهم بغير علم وأحدثوا إنشقاقات في الوحدة الإسلامية ما زال أثرها ماثلاً إلى الآن ! .

وهذه الفتن كان قد تنبأ بها رسول الله ﷺ ــ فقد جاء في صحيح البخاري أن أبا هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **« ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الساعي ومن يشرف لها تستشرفه ، ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به »** (١) .

بدأت الفتن بالشكوى من ظلم من ولاهم عثمان ، ثُمَّ نقد سافر وجه إلى عثمان ؛ لأنه يولي من ذوي رحمه ، وهم ليسوا أهلاً للولاية في نظر المتظلمين من المسلمين ، ثُمَّ ما لبث أن تحول هذا النقد إلي طعن في دين عثمان والنيل منه ، ثُمَّ كانت الواقعة الكبرى : مقتل عثمان ﷺ في بيته وهو يقرأ القرآن الكريم ففتح بذلك باب القتل والقتال بينَ المسلمين .

ولم تكن تولية (علي) ﷺ الخلافة قطعًا لهذه الفتنة ، بل أخذت لونًا آخر حين اتهمه الأمويون بأنه مالأ في قتل عثمان ، أو تباطأ وأهمل في الاقتصاص من قتلته . وعَلِيٌّ من ذلكَ براء : فقد تريث حتّى تهدأ الفتن ويضع يده على القتلة الحقيقين .

ثُمَّ كان ما كان من قتال بينَ علي ﷺ وأنصاره من جهة وبين الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وأم المؤمنين عائشة ومن معهم من جهة أخرى . ثُمَّ حربه مع معاوية بعد ذلكَ .

---

(١) الحديث (رقم ٣٤٠٦) صحيح البخاري جـ ٣ . مؤسسة علوم القرآن . الإمارات العربية ضبط وتخريج .

وكاد (علي) ومن معه أن يحقق غلبة وانتصارًا على معاوية تموت بـه الفتنـة ، إلاَّ أن معاوية احتال بحيلة التحكيم الذي أسفر عن حكم ماكر لا عادل فكان ذلكَ سببًا في خروج الخوارج .

وانقسم المسلمون في هذا الوقت إلى ثلاثة أحزاب :

الحزب الأول : مع (علي) ـ بعد أن فاتته الخلافة ثـلاث مـرات ـ ويـرون أنـه أولى بالخلافة من أبي بكر وعمر ، وقد عرف هذا الحزب باسم (الشيعة) .

والحزب الثاني : جماعة خرجوا على (علـي) و(معاويـة) معـا ، وسمـوا باسـم (الخوارج) .

والحزب الثالث : هو من بقي مع معاوية .

والشيعة حزب ديني ، والخوارج حزب ديني معارض . أما معاوية وأنصاره فـإنهم ليسوا (حزبًا دينيًا) ، وإنما هم (حزب سياسي بحت) [1] .

هذا الخلاف القائم بـينَ تلـك الأحـزاب يتحـدد موضوعـه في الإجابـة على هـذا السؤال : **من أحق بالخلافة ؟ ومن أحق بالطاعة ؟**

وبالطبع لم تكن هناك إجابة موحدة ، بل حدثت مجـادلات نظريـة أخـذت طابعًـا سياسيًا في البداية ، ثُمَّ أخذت طابعًـا دينيًـا بعـد ذلـكَ . فقـد صحـب الفـتن السياسـية التطرف إلى آراء دينية خصوصًا في مسائل العقيدة فقد حاول أصحاب الرأي السياســي أن يبرروا رأيهم دينيًا إذ لا فصل بينَ الدين والدولة في الإسلام .

ثُمَّ حدث نقاش أملته الظروف المحيطة حول مسألة مرتكب الكبيرة .

---

(١) د . عبد الحليم محمود « التفكير الفلسفي في الإسلام » ص ١٣٣ط . دار المعارف .

أهو مؤمن فاسق ؟ أم هو كافر خارج عن الإسلام ؟

أم هو بينَ هؤلاء وهؤلاء ؟

قال بالرأي الأول : « أهل السنة والجماعة » .

وقال بالرأي الثاني : « الخوارج » .

وقالت « المعتزلة » القول الثالث .

وقالت طائفة أخرى : لا تضر مع الإيمان معصية ، ولا تنفع مع الكفر طاعة وأرجؤوا الحكم على مرتكب الكبيرة وأخروه إلى اللّه تعالى في الآخرة وهؤلاء هم « المرجئة » .

هكذا وجدت بذور (علم الكلام) في أواخر الخلافة الراشدة ، وتكونت بعض مسائل هذا العلم ، واتضحت بعض أصوله التي نمت بعد ذلكَ في ظل الدولة الأموية حيثُ تكاثرت الفرق الإسلامية وتعددت وتشعب البحث في مسائل العقيدة الإسلامية فطرحت مشكلة (القضاء والقدر) على بساط البحث وثار حولها الجدل وبرز هذا التساؤل : هل انتقال الحكم إلى بني أمية ـ على كره من جماعة المسلمين ـ وإمعان القادة الأمويين في التنكيل والإضرار بالمسلمين الثائرين على حكم الأمويين . هل هذا هو قضاء اللّه وقدره الذي يجب التسليم به والرضا بآثاره ؟! .

وبالتالي فلا يصح لوم الأمويين أو مؤاخذتهم لأنهم ينفذون قضاء اللّه وقدره ! .

ولقد روى الإمام البخاري في صحيحه ما يوضح ذلكَ : حدثنا محمد بن يوسف قال : حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن وَرَّاد كاتب المغيرة بن شعبة قال : أملى عَليَّ « المغيرة بن شعبة » في كتاب إلى « معاوية » أن النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة : « **لا إله إلاَّ اللّه وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على**

كل شيءٍ قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد [١] » [٢] .

كان معاوية بن أبي سفيان يدافع عن نفسه وعن أعماله بهذا الحديث الشريف ويردده كثيرًا على جموع المسلمين ويأمرهم بترديده ، فالخلافة أعطيت له بقضاء اللّه وقدره لا يمنعها أحد ، ومنعت عن غيره أيضًا بقضاء اللّه وقدره .

لقد رأى بنو أمية في القول بالجبر تبريرًا لما يقع منهم من مظالم فعملوا على أن يكون تفسير النّاس للظلم أنه « قضاء وقدر ! » .

وكان طبيعيًا أن يكون لذلك رد فعل في البيئة الإسلامية فقام من أصحاب الضمائر الحية من ينقد فكرة الجبر ويرد على الأمويين مبينًا لهم بطلان القول بالجبر وفساده . وهؤلاء هم الذين يسمون في تاريخ الفرق « القدرية » ، وهم أتباع « معبد الجهني » ، و« غيلان الدمشقي » .

وقد وجد من المسلمين من يناصر مذهب الأمويين في القول بأن الإنسان مجبور وأنه ينفذ إرادة اللّه ، وقد سمي هؤلاء في تاريخ الفرق بـ « الجبرية » أتباع « جَهْم بن صفوان » الفارسي الأصل و« الجعد بن درهم » الذي كان مؤدبًا لمروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية .

ولم يخل المجتمع الإسلامي آنذاك من نفر ذهبوا مذهب السلف في موضوع القضاء والقدر وفي مسألة الصفات . من هؤلاء : « عبد اللّه بن سعيد الكلابي » ت ٢٤٠هـ الذي كان مذهبه في الصفات نواة لمذهب الأشاعرة .

---

(١) أي لا ينفع صاحب الغنى غناه عندك وإنما ينفعه عمله الصالح .

(٢) وانظر : « فتح الباري ٣٢٥/٢ ، ط . بيروت ، و« صحيح البخاري » ٢١٤/١ . طبعة الشعب .

كما وجد كذلك في عصر الأمويين « واصل بن عطاء » مؤسس مذهب المعتزلة الذي كان من مسائله : القول : بحرية الإرادة الإنسانية وقدرة الإنسان على الاختيار وسوف يتضح لنا ذلكَ في موضعه إن شاء اللّٰه .

ورغم كثرة الخلاف والمختلفين منذ أواخر الخلافة الراشدة واستمرار ذلكَ في عهد الأمويين فإن فكر المذاهب الإسلامية لم تتميز أبحاثه وتتضح موضوعات مسائله إلاّ في عصر الدولة العباسية وما بعدها وكان قبل ذلكَ مسائل متفرقة .

ويمكننا الآن أن نرجع أسباب نشأة المذاهب الإسلامية إلى ما يلي :

١ ـ العرض الأمين الذي قدمه القرآن لأقوال مخالفيه من الفرق والأديان التي كانت موجودة في عهد النبي ﷺ ورده عليهم ونقض أقوالهم .

فقد عرض القرآن للشرك بجميع أنواعه وشن عليه حملة قوية مقنعة ، فأبطل كل قول بالشرك . وحكى قول من أنكروا الألوهية والنبوة ورد عليهم بمختلف الدلائل ، ورد أيضًا على من أنكر نبوة محمد ﷺ خاصة ، وأفحمهم بالحجة الساطعة والدليل المقنع المعجز .

وأورد أقوال من أنكروا البعث والجزاء ورد عليهم ، وعرض لمسائل التكليف والجبر والاختيار ، وأبان وجه الحق في ذلكَ بما يزيل الشك ويثبت اليقين في القلوب وأمر الرسول ﷺ أن يدعو إلى اللّٰه على بصيرة وأن يجادل مخالفيه بالتي هي أحسن . قال تعالى : ﴿ **أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...** ﴾ (١) .

فلم يكن بدعًا أن ينهج علماء الإسلام منهج الرد على المخالفين وأن يتوسعوا في

(١) سورة النحل : الآية ١٢٥ .

الدفاع عن الدين إذا ما توسع المخالفون في الهجوم .

٢ ـ إتساع الدولة الإسلامية نتيجة الفتوحات المتعددة أدى إلى سعة في الرزق ورغد في العيش وتمكين في الأرض ، أسفر عن حياة مترفة في بعض جوانبها كان منها ذلكَ الترف العقلي أو التفلسف في الدين ، فأثيرت خلافات دينية واجتهد المجتهدون في بحثها والتوفيق بينَ مظاهرها فاختلفت الحجج وتباينت ، واختلفت المذاهب وتشعبت .

٣ ـ أدى الخلاف السياسي حول مسألة « الإمامة » أو الخلافة إلى خلاف ديني واسع . يقول الشهرستاني : وأعظم خلاف بينَ الأمة خلاف الإمامة إذْ ماَسُلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثلما سُلَّ على الإمامة في كل زمان (١) .

فقد لحق الرسول بالرفيق الأعلى و لم يعين من يخلفه ، و لم ينص على نظام خاص يتبع في اختيار الخليفة أو إمام المسلمين .

ومع ذلكَ فقد وجد من المسلمين من رأى أن الخلافة بالنص والتعيين ، وذهب آخرون إلى غير ذلكَ .

وأصبح السؤال الذي فرض نفسه على الجميع :

من يخلف رسول اللّه ﷺ بعد موته ويكون إمام المسلمين ؟

سؤال يطرح لأول مرة في مجتمع صحي سليم ، اكتملت له عناصر النمو يريد استئناف السير بعد موت الرسول الأعظم ﷺ ، ولكنه جَرَّ إلى خلاف كبير بينَ الأمَّة الإسلامية . ولا شك أن الخلاف يجر المختلفين إلى محاولة كل فريق تصويب رأيه بجذب نصوص الدين إليه وتأويلها بحسب فهمه لها .

(١) الشهرستاني « الملل والنحل » ص ٢٤ (مرجع سابق) .

٤ ـ الغالبية العظمى ممن دخلوا في الإسلام بعد اتساع دولته كانوا على ديانات مختلفة ، ونحل متعددة ، لم يتخلصوا من آثارها بالكلية عند دخولهم في الدين ، فتطرق تفكيرهم إلى تعاليم دينهم القديم ، أو نحلتهم السابقة وجاءوا بالباطل الذي توارثوه ، وحاولوا أن يكسوه بلباس الإسلام !

ويعلم الله إن كان ذلكَ عن جهل وضلال قديم ، أو كان عن كيد وحقد دفين ، فترى مثلاً ـ أحمد بن خابط من أصحاب (النظام) المعتزلي وله أصحاب أيضًا يشكلون إحدى فرق المعتزلة المعروفة بالخابطية .

يقول أحمد بن خابط هذا في التناسخ قولاً يشبه ما يقول به البراهمة ، ويوافق النصارى في قوله عن المسيح عليه السلام . (زعم أحمد بن خابط أن المسيح تدرع بالجسد الجسماني وهو الكلمة القديمة المتجسدة كما قالت النصارى)[1] .

وهذا هو أحمد الهجيمي ـ من المشبهة ـ يرى أن الإله المعبود له أعضاء وأبعاض ويجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن ، فكان ضمن جماعة (أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة ، وأن المسلمين المخلصين يعانقونه ـ سبحانه ـ في الدنيا والآخرة إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض) إلى أن قال الشهرستاني : وزاد في الأخبار أكاذيب وضعوها ونسبوها إلى النبي ﷺ وأكثرها مقتبسة من اليهود (فإن التشبيه فيهم طباع)[2] وغير ذلكَ مما يضيق المقام عن ذكره .

٥ ـ كان منهج الدفاع عن الإسلام يتطلب من المدافعين أن يطلعوا على أقوال المخالفين وأدلتهم ، سواء من الفرق المنسوبة إلى الإسلام ، أو من غيرها ، وكان معظم هذه الفرق قد تسلح بالفلسفة اليونانية فكان لا بد للمدافعين عن الإسلام من دراستها

---

(١) الشهرستاني « الملل والنحل » ص ٦ . (مرجع سابق) .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .

واستيعابها ، فاتسعت ساحة الجدال في البلاد الإسلامية واتسع على إثرها النظر والتفكير .

٥ ـ الفرقة الناجية :

أكثر المحققين من علماء المسلمين على أن الفرقة الناجية هم من يتبعون السنة والجماعة ، ويتجنبون الخلاف والفرقة .

والمقصود بالسنة هنا : طريقة الرسول ﷺ .

والمقصود بالجماعة هنا : هم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين ، فاتباعهم هدى ومخالفتهم ضلال .

فقد جاء في السنن من حديث العرباض بن سارية « ... **فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة** » [1] .

وما روته عائشة أم المؤمنين ـ رضي اللّٰه عنها ـ ... « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** » .

فكلما ابتعد المسلم عن البدع والأهواء وسار على طريق السلف الصالح كان منهجه مستمدًا من كتاب اللّٰه وسنة رسوله ، ونأى بنفسه عن الزيغ والضلال .

وليس في القرآن أو السنة الصحيحة ما يشجع على عرقلة الفكر . وقد أظهرت لنا أبحاث المنصفين (أن القرآن المجيد ليس صورة لنفسية فرد ولا مرآة لعقلية شعب ،

---

(١) رواه مسلم ، ورواه أبو داود في « السنة » ، وابن ماجة في « المقدمة » ، والدارمي في « المقدمة » ، ورواه أحمد في « مسنده » ٣/٣١٠ ، ٣٧٦ ، ٤/١٣٦ ، ١٣٧ .

ولا سجلاً لتاريخ عصر ، وإنما هو كتاب الإنسانية المفتوح ومنهلها المورود) [١] .

نعم إن القرآن كتاب اللّه المفتوح للإنسانية كلها تنهل منه مهما تباعدت أقطارها وعصورها ومهما تعددت أجناسها وألوانها ولغاتها وتفاوتت مشاربها ونزعاتها . فلنعض عليه بالنواجذ .

٦ ـ أسباب الضلال :

عندما يلقى الباحث المتمكن نظرة فاحصة على أهل الضلال عند مختلف الفرق التي ضلت وأضلت وسلكت طريق الغواية وتنكبت طريق الهداية ، ثُمَّ أمعنت في التعصب ، وأعدت له عدتها ، وكشرت عن أنيابها ؛ لافتراس الحق أينما وجدته ، والنيل من أهله بشتى الطرق والوسائل . إن النظرة الفاحصة تكشف عن تركيز أسباب الضلال في هذه العناصر الرئيسية :

ا ـ الانحراف عن المنهج الفكري السليم .

حين يقبل بعض النّاس على الأوهام والتخيلات والظنون فيعتقدونها اعتقادًا جازمًا راسخًا ويجعلونها بمنزلة العلم اليقيني .

وقد يساعد على ذلكَ عدة أمور :

(ا) الغرور بالنفس والإعجاب بالرأي .

(ب) الضعف العقلي .

(جـ) التقليد الأعمى .

(د) تعظيم الرأي لعظم قائله .

---

(١) من كتاب « الدين » للدكتور / محمد عبد اللّه دراز ص ١٨٠ .

ولا شك أن هذا العنصر وما يساعد على وجوده كان له أثره في الضلال القديم والحديث .

٢ ـ الانحراف النفسي والاعوجاج الخلقي :

فهؤلاء لم يضلوا لجهلهم بالحق عن طريق الفكر ، وإنما ضلوا لهروبهم من وجه الحق إرضاء لرغبة أو شهوة .

وقد يساعد على ذلكَ عدة أمور منها :

(أ) الحسد (ب) شذوذ النمو النفسي .

(جـ) الكبر (د) الحقد الأسود .

(هـ) المطامع السياسية .

ولا شك أن ذلكَ أيضًا له أثره في الضلال القديم والحديث .

٣ ـ ضعف إرادة الاعتقاد :

حيثُ تتعطل الملكات الإرادية ، فيصبح تبعًا لغيره يتأثر به ، فيتم التلاعب بالعقائد والمفاهيم ، وذلك مثل الذي كان من أمر فرعون مع قومه الذين تعطلت إرادتهم الشخصية وضعفت ، قال تعالى : ﴿ **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ** ﴾ [١] .

ولا شك أن ذلكَ أيضًا له أثره في الضلال القديم والحديث .

فالصلة قائمة بينَ المذاهب والتيارات المعاصرة من جهة ، والملل والنحل القديمة من جهة أخرى ، فالماديون الملحدون في العصر الحديث امتداد للدهرين في العصر القديم .

---

(١) سورة الزخرف : الآية ٥٤ .

والمشركون في العصر الحديث امتداد للمشركين في القديم وإن تغيرت صورة الأصنام .

إن تاريخ الضلال قديم ومتجدد .

وكان طبيعيًا حين بلغ المسلمون مبلغهم من الانحراف عن دينهم الحق أن يسطو عليهم عدوهم ، وأن يغزوهم في عقر دارهم . وكيف لا ؟ وهو الحاقد المتربص بهم .

ولم يقتصر هذا الغزو على الجوانب العسكرية والسياسية والاقتصادية فحسب ، بل تجاوز ذلكَ كله إلى الغزو الفكري كذلك . في محاولة لاقتلاع الإسلام من جذوره من قلوب المسلمين ليستبدل به عقائد أخرى لا يهم نوعها أو اسمها المهم أن يتحول المسلمون عن الإسلام ! .

إن المجتمعات الإسلامية المتعثرة أخلاقيًا وحضاريًا إن كانت قد تأثرت بالإنحرافات الكثيرة المتوارثة من الداخل ، فقد تأثرت أيضًا وبنفس الدرجة بالغزو الثقافي الفاسد الوافد عليها من الخارج .

إن الضعف الإيماني والأخلاقي الذي أصاب بعض المجتمعات الإسلامية جاء نتيجة جراح طال نزيفها ، أحدثها الملحدون وهم يحاولون قتلها . غير أن هذه المجتمعات الإسلامية الجريحة لا تزال أشرف وأكرم من الذين حاولوا قتلها ، ولا تزال ثروتها الروحية أحق بالتقدير والاحترام ، وتراثها الخلقي أولى بالعناية والتجديد . فهيهات هيهات أن يتحقق لأعداء الإسلام مطلبهم ﴿ **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ (١) .

(١) سورة يوسف : الآية ٢١ .

الفرق والتيارات الباطنية

الفرق والتيارات الباطنية

تمهيد

لا شك أن سبب ضلال الفرق على وجه العموم هو عدولهم عن الصراط المستقيم الذي أمرنا اللّه باتباعه . قال تعالى : ﴿ **وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾ (١) .

وقال ابن مسعود ﷺ : خط لنا رسول اللّه ﷺ خطًا وقال : « **هذا سبيل اللّه ، ثُمَّ خط خطوطًا عن يمينه وعن يساره وقال : هذه سبل . على كل سبيل شيطان يدعو إليه** » ، ثُمَّ قرأ : ﴿ **وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ...** ﴾ **الآية** . رواه الحاكم وصححه .

ولهذا فإن المسلم يكرر في كل صلاة طلبه ودعاءه بالهداية إلي الصراط المستقيم ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ** ﴾ (٢) .

والمغضوب عليهم هم اليهود ، والنصارى هم الضالون .

قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « **لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا وذراعا ذراعا ، حتّى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم . قلنا يارسول اللّه : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟** » (٣) .

وحكى ابن أبي العز الحنفي عن طائفة من السلف قولهم : (من انحرف من

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٥٣ .

(٢) سورة الفاتحة : الآيتان ٦ ، ٧ .

(٣) رواه البخاري في « الاعتصام » ، ومسلم في « العلم » ، وأحمد في « مسنده » ٣/٤٥٠ ، ٥١١ .

العلماء ففيه شبه من اليهود ، ومن انحرف من العباد ففيه شبه من النصارى ، ثُمَّ قال : فلهذا تجد أكثر المنحرفين من أهل الكلام ، من المعتزلة ونحوهم ـ فيه شبه من اليهود حتّى إن علماء اليهود يقرؤون كتب شيوخ المعتزلة ويستحسنون طريقتهم ، وكذلك شيوخ المعتزلة يميلون إلى اليهود ويرجحونهم على النصارى .

وأكثر المنحرفين من العباد من المتصوفة ونحوهم ـ فيهم شبه من النصارى ؛ ولهذا يميلون إلى نوع من الرهبانية والحلول والاتحاد ونحو ذلكَ »[1] .

ولا شك أن ذلكَ حاصل بالفعل نجده عند بعض أهل الكلام ، وبعض أهل التصوف . وعمومًا فإن الذين انحرفوا عن الصراط المستقيم تشعبت بهم الطرق ، فهناك أهل الوهم والتخييل (الفلاسفة) ، وهناك أهل التحريف والتأويل كالمعتزلة وغيرهم من علماء الكلام .

وهناك أهل التجهيل والتضليل الذين ادعوا أن النصوص الشرعية من قرآن وسنة يراد بها خلاف مدلولها الظاهر وأن المراد الخفي لا يعلمه غيرهم وإلى هذا الصنف تنتمي الباطنية .

---

(١) انظر : « شرح الطحاوية » لابن أبي العز الحنفي ٢/٣٥٤ ، تحقيق عبد الرحمن عميرة ، نشر مكتبة المعارف بالرياض .

الباطنية

الباطنية : نسبة إلى التأويل بالباطن تصدق على كل من يذهب إلى التأويل بالباطن في القرآن الكريم ، أو الحديث الشريف .

لقد تستروا بفكرة ضالة وخبيثة مؤداها : أن النصوص الشرعية من قرآن وسنة لها ظاهر وباطن .

فالظاهر ما يفهم من النص العربي ، والباطن : ما يفهمونه بوساوسهم وأوهامهم الخبيثة دون قاعدة يرجع إليها في فهم هذا الباطن ، إلاَّ محض الخرافات التي تساعدهم على تحويل النص الشرعي إلى ألوان كفرهم وتحقيق غايتهم التي يرمون إليها ، وهي سلخ المسلمين من عقيدتهم وتحويلهم عن دينهم .

(وذكر أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس ، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم ، ولم يجسروا على إظهاره خوفًا من سيوف المسلمين ، فوضع الأغمار منهم أسسًا : من قبلها منهم صار في الباطن إلى تفضيل أديان المجوس ، وتأولوا آيات القرآن وسنن النبي ﷺ على موافقة أسسهم) [1] .

ويقول الديلمي : (واتفق أهل المقالات أن أول من أسس هذا المذهب المشئوم - يعني مذهب الباطنية - قوم من أولاد المجوس وبقايا الخرمية — وهم طائفة إباحية من المجوس - والفلاسفة واليهود . فجمعهم ناد واشتوروا (أي تشاوروا) ، وقالوا : إن محمدًا غلب علينا ، وأبطل ديننا ، واتفق له أعوان نصروا مذهبه ، ولا مطمع لنا في نزع ما في أيديهم من المملكة بالسيف والمحاربة ؛ لقوة شكوتهم وكثرة جنودهم ، فقد طبقوا البر والبحر .

---

(١) « الفرق بين الفرق » للبغدادي . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ص ٢٨٤ ، ١٨٥ ، المكتبة العصرية ببيروت ١٩٩٠م .

وكذلك لا مطمع لنا فيهم عن طريق المناظرة لما فيهم من العلماء والفضلاء . والمتكلمين المحققين ، وكثرة كتبهم وتصانيفهم . واتفقوا على وضع حيلة يتوصلون بها إلى إفساد دينهم من حيثُ لا يشعرون ، وبنوا أمورهم على التلبيس والتدليس ، وزادوا في مسالكها على مسالك اللعين إبليس) [1] .

الواضح أن طوائف الباطنية من المجوس والفلاسفة واليهود يهدفون إلى سلخ المسلمين عن دينهم وطعن عقائد الإسلام في الصحيح ؛ لهدمه والقضاء عليه إنهم أدركوا أنهم لا يستطيعون مواجهة الإسلام بالسيف ، ولا مواجهة علمائه عن طريق المناظرة والمجادلة وإقامة الحجة ، وفي نفس الوقت يضمرون العداء للإسلام وأهله ؛ لأنه هدم باطلهم وكشف زيفهم وتحريفهم وأظهره اللّه عليهم فماذا يفعلون ؟

لا بد لهم من حيلة خادعة تحقق هدفهم وتشفى غلتهم فكان هذا الاتجاه الباطني الخبيث .

وقد انقسم أهل هذا المذهب الباطني إلى فرق عديدة لكل منها صورة خاصة من الكفر والضلال و، يجمعها كلها هدف واحد هو هدم الإسلام ، والنيل من عقيدة المسلمين .

والعلماء يطلقون اسم « **الباطنية** » على عدة فرق منها :

(القرامطة ، الخرمية ، الرافضة ، والنصيرية ، والإسماعيلية ، القاديانية ، البابية والبهائية ، الدروز ، نسبة إلى محمد الدرزي بلبنان .... الخ) .

---

(١) انظر : كتاب « قواعد عقائد آل محمد الباطنية » للديلمي المؤرخ .

المنهج الباطني في التأويل

١ ـ إذا كان النص الشرعي من كتاب أو سنة مقيدًا لعلم الإمام الباطني تخلصوا من هذا القيد بالتأويل .

٢ ـ التوفيق بينَ النص الشرعي وفكر الإمام الباطني ، فإن تعذر ذلكَ قدم فكر الإمام . ووصف النص الشرعي بالنسخ ، أو الضعف والوضع .

من عقائدهم وتأويلاتهم الباطنية :

إننا عازمون ـ بمشيئة اللّه تعالى ـ على ذكر بعض فرق الباطنية بما يعطى للقاريء فكرة عامة وموجزة عن نشأة الفرقة ، وأهم عقائدها وأفكارها ؛ ولذلك فإننا نقتصر الآن على ذكر أبرز العقائد والتأويلات الباطلة لأرباب المذهب الباطني .

فمن أبرز عقائدهم الباطلة :

١ ـ للعالم إلاهان : الأول علة ، والثاني معلول ، ويشتركان في تدبير العالم .

يقول البغدادي : (ذكر زعماء الباطنية في كتبهم أن الإله خلق النفس ، فالإله هو الأول ، والنفس هو الثاني ، وهما مدبرا هذا العالم وسموهما : الأول والثاني ، وربما سموهما العقل والنفس ، ثُمَّ قالوا : إنهما يدبران هذا العالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الأول) [1] .

وهذا القول من الباطنية يشبه قول المجوس .

فما سماه الباطنية (الأول والثاني) سماه المجوس (يزدان وأهرمن) وأن الأول خلق الثاني ، وأنهما معا مدبران للعالم ، غير أن يزدان فاعل الخيرات ، وأهرمن فاعل الشرور !

(١) « الفرق بينَ الفرق » للبغدادي ص ٢٨٥ (مرجع سابق) .

ويشبه أيضًا قول الثنوية : إن النور والظلمة صانعان قديمان ، والنور فاعل الخير ، والظلام فاعل الشر ، والأجسام مزيج منهما . وكل واحد منهما مشتمل على هذه الطبائع الأربع (الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة) .

والأصلان الأولان (النور والظلمة) مع الطبائع مدبرات هذا العالم !

ولا شك أن هذا كفر صريح يخالف عقيدة التوحيد ، ويدل على الصلة القوية بينَ المجوس والباطنية .

٢ ـ ينكرون النبوة بالمعنى الذي أقره الدين الصحيح .

يقول البغدادي : (والباطنية يرفضون المعجزات ، وينكرون نزول الملائكة من السماء بالوحي ، والأمر والنهي ، بل ينكرون أن يكون في السماء ملك ، وإنما يتأولون الملائكة على دعاتهم إلى بدعتهم ، ويتأولون الشياطين على مخالفيهم ، والأبالسة على مخالفيهم .

ويزعمون أن الأنبياء قوم أحبوا الزعامة فساسوا العامة بالنواميس والحيل ؛ طلبًا للزعامة بدعوى النبوة والإمامة . وكل واحد منهم صاحب دور مسبع إذا انقضى دور سبعة تبعهم في دور آخر)[١] .

ولا شك أن في إنكار الرسل إنكار للشرائع السماوية كلها .

٣ ـ ينكرون البعث والجزاء :

فقد ذكر البغدادي أنه قرأ في كتابهم ـ كتاب لأحد علماء الباطنية ـ (المترجم « السياسة والبلاغ الأكيد ، والناموس الأعظم » وهي رسالة عبيد اللّه بن الحسين

---

(١) « الفرق بينَ الفرق » للبغدادي ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ (مرجع سابق) .

القيرواني [١] إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي [٢] أوصاه فيها بأن قال له : أدع النّاس بأن تتقرب إليهم بما يميلون إليه ، وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم . فمن آنست منه رشدًا فاكشف له الغطاء ، وإذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معولنا ، وإنا وإيَّاهم مجمعون على رد نواميس الأنبياء ، وعلى القول بقدم العالم لولا ما يخالفنا فيه بعضهم من أن للعالم مدبرًا لا نعرفه .

وذكر في هذا الكتاب إبطال القول بالمعاد ـ أي إعادة الإنسان بعد الموت ـ والعقاب وذكر فيها أن الجنّة نعيم الدنيا ، وأن العذاب إنما هو اشتغال أصحاب الشرائع بالصلاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد .... الخ) [٣] .

إنهم ينكرون اليوم الآخر كما يصوره ويقرره الإسلام ، ويرون أن الثواب والعقاب في هذه الدنيا ولا شيء وراء هذه الحياة . **وهذا يشبه قول اليهود** الذين حرفوا وبدلوا ديانة موسى عليه السلام ، وسوف يأتي مزيد توضيح لذلك أثناء عرضنا لبعض فرق الباطنية .

ومن تأويلاتهم الباطلة :

١ ـ ما نقله البغدادي من حوار بينَ أحد المنشقين عليهم ، وبين أحد الباطنيين الذي قال للمنشق : (ينبغي أن تعلم أن محمد بن إسماعيل بن جعفر هو الذي نادى

---

(١) **هو عبيد الله الملقب بالمهدي** والد الخلفاء العبيد بينَ الفاطميين . كان قد افترى أنه من ولد جعفر الصادق . وكان ببلدة سورية من أعمال حمص ، فبعث دعاته إلى اليمن والمغرب ، واستولى على بلاد المغرب ، وأنشأ فيها دولة أمتدت أيامه بضعا وعشرين سنة توفي ٣٢٢هـ ، وكان يظهر الرفض ويبطن الزندقة .
انظر في ذلكَ : « العبر في خبر من غبر » للحافظ الذهبي حـ٢ ص ١٩٣ .

(٢) **هو أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابي** دخل البصرة ليلاً فأحرق الجامع ، وسبى الحريم ، واستباح الحجيج ، وبني دارا سماها دار الهجرة ، ودعا إلى المهدي (ذلكَ الذي أرسل إليه كتابه) وتسارع إليه كل مريب .
انظر : « العبر » ١٦٣/٢ .

(٣) « الفرق بينَ الفرق » للبغدادي ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ (مرجع سابق) .

موسى بن عمران من الشجرة فقال له : ﴿ **إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى** ﴾ (١) .

قال : فقلت : سخنت عينك . تدعوني إلى الكفر بالرب القديم الخالق للعالم ، ثُمَّ تدعوني مع ذلكَ إلى الإقرار بربوبية إنسان مخلوق ، وتزعم أنه كان قبل ولادته إلهًا مرسلاً لموسى ؟

فإن كان موسى عندك ممخرقًا ـ أي متخلقًا بالكذب ـ فالذي زعمت أنه أرسله أكذب ، فقال لي : إنك لا تفلح أبدًا ، وندم على إفشاء أسراره إليّ) (٢) .

٢ ـ ومن غريب تأويلاتهم : تأويلهم ما نسب إلى النبي ﷺ « **نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر** » .

قالوا : هذا يدل على نبوة محمد ﷺ وألوهية (عليّ) ؛ لأن محمدًا حكم بالظاهر ، فلم يقاتل المنافقين ، وأمّا عليٌّ فقد حكم بالباطن فقاتل المنافقين ، وهذا تلاعب فاضح بالسنة المطهرة .

٣ ـ (وزعموا أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها !

وتأولوا في ذلكَ قوله : ﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ** ﴾ (٣) .

وحملوا اليقين على معرفة التأويل) (٤) .

والتأويل الذي يقصدونه هنا هو التأويل الباطني لا سواه .

٤ ـ ولم تقتصر تأويلاتهم على ما يمس أصول الدين ، فتطرقوا إلى تأويل

---

(١) سورة طه : الآية ١٢ .

(٢) « الفرق بينَ الفرق » للبغدادي ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ (مرجع سابق) .

(٣) سورة الحجر : الآية ٩٩ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٩٦ .

الشريعة تأويلاً يؤدي إلى الضلال ، **فزعموا أن معنى الصلاة** موالاة إمامهم ، **والحج** زيارته - أي زيارة الإمام - وإدمان خدمته ، **والمراد بالصوم** الإمساك عن إفشاء سر الإمام ، **ومعنى الجنابة** : سرعة إفشاء السر إلى المستجيب قبل أن يصل إلى الدرجة التي تؤهله لذلك ، **ومعنى الغسل من الجنابة** : تجديد العهد ، **ومعنى الزنا** : إلقاء نطفة العلم الباطني في نفس إنسان جديد لم يكن على عهد الباطنية من قبل .

والكعبة هي النبي ، والباب هو (عليّ) .

يقول البغدادي : (ثُمَّ إن الباطنية لما تأولت أصول الدين على الشرك احتالت أيضًا لتأويل أحكام الشريعة على وجوه تؤدي إلى رفع الشريعة ـ أي إلغائها ـ ، أو إلى مثل أحكام المجوس ، والذي يدل على هذا مرادهم بتأويل الشريعة ـ أنهم قد أباحوا لأتباعهم نكاح البنات والأخوات ، وأباحوا شرب الخمر وجميع اللذات)(١) .

وقد اتفقت جميع فرق الباطنبة على التأويل ، واختلفوا في تطبيق ذلكَ المبدأ العام . فتباينت تأويلاتهم وتفاوتت عقائدهم .

حيلهم لاصطياد أتباعهم

يذكر البغدادي في كتابه « الفرق بينَ الفرق » الحيل التي يلجأ إليها الباطنية لاصطياد أتباعهم والمنضمين إليهم عن طريق الدعوة إلى بدعتهم فيبين أنها (حيل على مراتب سموها : التفرس ، والتأنيس ، والتشكيك والتعليق ، والربط ، والتدليس ، والتأسيس ، والمواثيق بالأيمان والعهود ، وآخرها : الخلع والسلخ)(٢) .

وسوف نلقى الضوء على هذه الحيل الخبيثة التي تستهدف استدراج العوام وأهل الأهواء إلى المذهب الباطني الباطل :

---

(١) « الفرق بينَ الفرق » للبغدادي ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ (مرجع سابق) .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩٨ .

١ ـ حيلة التفرس :

وذلك بالتفرس في حال الشخص المراد ، استدراجه حتّى تتبين صلاحيته لذلك ، فهم لا يلقون بذورهم في أرض سبخة على حد تعبيرهم .

ولا بد أن يكون الداعي إلى الباطنية قوى الحدس ، ذكى الخاطر يستطيع رد الظواهر إلى البواطن ، يتسم بالمرونة مع من يريد استدراجه ، فيدرس نفسيته ، وميوله ، وطباعه ، ويعامله بما يتناسب مع حالته .

٢ ـ حيلة التأنيس :

وذلك بالنفاق القولي ، أو العملي ، أو كليهما معا بما يناسب حال المدعو ، حتّى يأنس لمصاحبة الداعي ويطمئن إليه ، فمثلاً يمدح أقوال المدعو وأعماله ، ويظهر ترديد هذه الأقوال وتقليد هذه الأعمال ؛ ليزين للمدعو مذهبه في عينه ، ثُمَّ يسأله بعد ذلكَ عن تأويل ما هو عليه وتشكيكه فيه .

٣ ـ حيلة التشكيك :

لما كان أكثر أتباع المذهب الباطني من العوام فإن دعاة الباطنية يتوجهون إلى هؤلاء العوام ببعض الأسئلة المتعلقة بأحكام الشريعة يوهمونهم فيها خلاف معانيها الظاهرة ، أو أسئلة يجهل هؤلاء العوام حججها الصحيحة ، والغرض هو إلقاء الشكوك في قلوب فرائسهم .

من هذه الأسئلة :

ما المراد بمعاني حروف الهجاء في أوائل السور القرآنية مثل ﴿ الم ﴾ ، ﴿ حم ﴾ الخ ؟!!

وما معنى كل حرف من حروف الهجاء ؟ ولم كان على بعضها نقط ، وخلا

بعضها من النقط ؟

و لم جعل اللّٰه أبواب الجنّة ثمانية ، وأبواب النّار سبعة ؟

و لم صارت صلاة الصبح ركعتين ، والظهر أربعًا ، والمغرب ثلاثًا ؟

و لم صار في ركعة ركوع واحد ، وسجدتان ؟

و لم وجب الغسل من المنى ، وهو طاهر عند أكثر المسلمين ؟

وما بال الحائض تقضي الصوم ، ولا تقضي الصلاة ؟

و لم كانت العقوبة في السرقة بقطع اليد ، وفي الزنى بالجلد ؟

لماذا لم يقطع الفرج الزاني كما قطعت اليد السارقة ؟

وهم أسئلة من نوع آخر تتعلق بالمحسوسات منها :

لم صار للإنسان أذنان ، ولسان واحد ؟

و لم صار ثدي الإنسان على صدره ، وثدي البهائم على بطونها ؟

وما الفرق بينَ الحيوان الّذي يلد ، والّذي يبيض ؟

إلى آخر ما يسوقونه من أسئلة على هذا النحو . والرد عليها بسيط موجز . فهم إمَّا منكرون لوجود اللّٰه فلا معنى لأسئلتهم المتعلقة بالدين . وإمَّا مقرون بوجود اللّٰه فهو سبحانه ﴿ **لاَ يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ** ﴾ [١] .

فهو سبحانه يجوز له أن يكلف عباده بما شاء . سواء بينَ لهم حكمة التكليف ، أو أخفاها عنهم .

(١) سورة الأنبياء : ٢٣ .

أما أسئلتهم المتعلقة بالمحسوسات وبالخلق ، فليس علم ذلكَ قاصر على علماء الباطنية ، بل هو من بحوث الأطباء ، والفلاسفة ، وحكماء العرب ، وهو موجود في كتبهم وما نقل إلينا من أخبارهم قبل وجود الباطنية بزمن بعيد .

٤ ـ حيلة التعليق :

لا شك أنه بعد إلقاء مثل هذه الأسئلة تتوق نفس الإنسان المدعو إلى معرفة الحقيقة فيسأل عنها ذلكَ الداعي من الباطنية فلا يجيبه إلى طلبه ، بل يتركه معلقًا مشغول القلب والفكر ، متشوقًا إلى المعرفة وإزالة ما اعتراه من الشك ! ويطلب منه أن يتأنى فالأمر ليس هينًا ولا سهلاً كما يتصور ، وتعلق الإجابة ؛ ليظل الفريسة مشغولاً دائمًا بطلب الإجابة التي يظهرون له دائمًا أنها سر خطير .

٥ ـ حيلة الربط :

حيثُ يظل المدعو مربوطًا بطلب الإجابة إلى أن يقبل تأويلها منهم على الوجه الذي يريدون ، أو يبقى في شكه وحيرته .

٦ ـ حيلة التدليس :

من ذلكَ قولهم لفريستهم من الجهلة والعوام : إن الظواهر عذاب ، وباطنها فيه الرحمة ، ويذكر له قوله تعالى : ﴿ **فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ** ﴾ (١) .

إن الظاهر كالقشر والباطن كاللب ، واللب خير من القشر .

والباطل ظاهر جلى ، أمَّا الحق فدقيق خفي ، وطلابه معدودون لا تجدهم إلاَّ من الباطنيين !

---

(١) سورة الحديد : الآية ١٣ .

٧ ـ حيلة التأسيس :

وذلك بإقناع المدعو بأن علماء الباطنية وزعماءها المخصوصون بمعرفة أسرار الأشياء وخواصها ، ولا يمكن التوصل إلى حقائق الأشياء إلاَّ عن طريق الإمام الباطني .

٨ ـ حيلة المواثيق بالأيمان والعهود :

فهم يأخذون على المدعو مختلف الأيمان المغلظة كالطلاق ، والعتق ، والتخلي عن جميع الأموال ..... الخ ألاَّ يفشى سرًا إلاَّ في حدود ما يؤذن له مهما كان الأمر . فلا شيء على الإطلاق يجعله يفشى سرًا ويعصي الإمام !

(فإن داعيهم يقول للحالف : جعلت على نفسك عهد اللَّه وميثاقه وذمته وذمة رسله وما أخذ اللَّه تعالى على النبيين من عهد وميثاق أنك تستر ما تسمعه مني ، وما تعلمه من أمري ، ومن أمر الإمام الذي هو صاحب زمانك ، وأمر أشياعه وأتباعه في هذا البلد وفي سائر البلدان ، وأمر المطيعين له من الذكور والإناث ، فلا تظهر من ذلكَ قليلاً ولا كثيرًا ، ولا تظهر شيئًا يدل عليه من كتابة أو إشارة إلاَّ ما أذن لك فيه الإمام صاحب الزمان ... وإنك إن فعلت شيئًا من ذلكَ فأنت بريء من اللَّه ورسله وملائكته ومن جميع ما أنزل اللَّه تعالى من كتبه .... وكل ما تملكه في الوقت الذي أنت فيه صدقة على الفقراء والمساكين ... وكل أمرأة لك الآن أو يوم مخالفتك أو تتزوجها بعد ذلكَ تكون طالقا منك ثلاث طلقات ، واللَّه تعالى الشاهد على نيتك وعقد ضميرك فيما حلفت به)[1] .

وعندما يحلف الفريسة . بهذه الأيمان يعتقد أنه لا يمكن حلها ، ويجهل أن هؤلاء الباطنيين ليس لأيمانهم عندهم حرمة ولا مقدار ، ولا يرون في حلها إثمًا ولا كفارة ولا عقابًا في الآخرة . وكيف يكون لهم ذلكَ وهم لا يقرون بإله قديم ، بل لا يقرون

---

(١) « الفرق بينَ الفرق » للبغدادي ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ (مرجع سابق) بتصرف .

بحدوث العالم ، ولا يثبتون كتابًا منزلاً من السماء ، ولا رسولاً ينزل عليه الوحي من السماء [١] .

٩ ـ حيلة الخلع والانسلاخ :

عندما يقبل الأحمق ما تلقاه من تأويلاتهم الباطلة وقد حلف على صيانته وحفظه فقد سلخوه بذلك عن دين الإسلام وخلعوه منه ، وأسقطوا عنه جميع التكاليف ، وأباحوا له جميع المحرمات ، فمن تأويلاتهم الباطلة ـ والتي أشرنا إليها من قبل ـ في قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [٢] .

قالوا : الإنسان يؤدي العبادات إلى أن يأتيه العلم الباطني ، فإذا وصل إلى العلم الباطني ، فهو غير مطالب بأداء العبادات !! .

وبهذا يصل المستجيب لهم إلى منزلة الانسلاخ من الدين وإنكار الشريعة والانغماس في الإباحة المطلقة .

هذا وقد رد علماء المسلمين على أباطيل الباطنية ، وقعدوا لهم كل مرصد ، وفضحوا أمرهم وكشفوا زيغهم . فليحذر المسلمون الوقوع في شراكهم .

---

(١) المرجع السابق ص ٣٠٤ .

(٢) سورة الحجر : الآية ٩٩ .

من فرق الباطنية

١ ـ الرافضة

ـ نشأتها وأصولها :

بعد مقتل الحسين بن علي ﷺ كان جوهر حركات الزيدية قول إمامهم الأول (زيد بن علي) وهو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كان يقول (ما كره قوم قط حر السيف إلاَّ ذلوا) . وكانت له شعبة كبيرة ، والتف حوله أناس كثيرون من بلدان متعددة بما في ذلكَ أهل السند بلد أمه .

تلقى العلم على « واصل بن عطاء » شيخ المعتزلة ، فكان بذلك ملتزمًا للمنهج العقلي الذي اشتهر به المعتزلة ، فطلع على العالم الإسلامي بمذهب جديد في الخلافة حل به عقدة طالما أبعدت النَّاس عن الشيعة .

هذا المذهب مؤداه (**جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل**) .

وشرح زيد ذلكَ بقوله : كان علي بن أبي طالب أفضل الصحابة إلاَّ أن الخلافة فوضت لأبي بكر لمصلحة رأوها ، وقاعدة راعوها من تسكين ثائرة الفتنة ، وتطييب قلوب العامة .

وصرح زيد بأنه ما سمع أحد من أهل بيته يتبرأ من أبي بكر وعمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ أو يقول فيهما إلاَّ خيرًا .

هذا الرأي لزيد ومن وافقه قوبل بالرفض من بعض الشيعة والعلويين ، وعندما طلبوا إليه أن يتبرأ من أبي بكر وعمر قال : بل أتبرأ ممن تبرأ منهما . فقالوا : إذا نرفضك ، وسمو « **رافضة** » ومن بقي مع زيد سموا « **زيدية** » .

ويقول الإمام الرازي في حديثه عن الروافض :

(إنما سموا بـ « الروافض » لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ خرج على هشام بن عبد الملك فطعن عسكره في أبي بكر ، فمنعهم من ذلك ، فرفضوه ، و لم يبق معه إلاّ مائتا فارس فقال لهم : - أي زيد بن علي - رفضتموني ؟! قالوا : نعم ، فبقى عليهم هذا الاسم ، وهم طوائف : الزيدية [١] . الإمامية . الكيسانية) [٢] .

ويذكر البغدادي افتراقهم - أي الرافضة - إلى : (أربعة أصناف : زيدية ، وإمامية ، وكيسانية ، وغلاة) [٣] .

وقد افترقت كل فرقة من فرق الرافضة إلى فرق يكفر بعضها بعضا ، ولن نسترسل في ذكر تفريعات كل فرقة وما يميزها عن غيرها فإن المقام يضيق عن ذلك ، ولكننا نكتفي بما يظهر لنا أبرز عقائدهم .

أما الزيدية فثلاث طوائف :

١ - الجارودية :

أتباع أبي الجارود زياد بن المنذر الهمذاني الأعمى الكوفي وهو كذاب ممن

(١) تطلق الزيدية على أتباع زيد بن علي الباقين على اتباعه . فهي على هذا فرقة من الشيعة . وذكرت هنا في كلام الرازي والبغدادي على أنها فرقة من فرق الرافضة . والسبب : أن البعض يطلق اسم الرفض على كل من يتولى أهل البيت وبهذا نطق أحد الشعراء :

إن كان رفضا حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أني رافضي

(٢) « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » للإمام الرازي ص ٧٧ ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة .

(٣) « الفرق بين الفرق » للبغدادي ص ٢١ (مرجع سابق) .

والغلو في الدين : تجاوز الحد والإفراط فيه ، وكان سبب هلاك من قبلنا من أهل الكتاب . قال تعالى : ﴿ **قل يأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل** ﴾ [المائدة : ٧٧] ، وقال ﷺ : « **إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين** » أخرجه أحمد في مسنده .

وضعوا الحديث في مثالب أصحاب النبي ﷺ . ويقوم مذهب الجارودية على ما يلي :

١ ــ أن الإمام بعد رسول اللّه ﷺ هو عليّ ، وأن النبي نص عليه بالوصف دون التسمية .

٢ ــ يطعنون في أبي بكر وعمر - رضي اللّه عنهما - .

٢ ــ *السليمانية* :

أتباع سليمان بن جرير ومذهبهم يقوم على ما يلي :

١ ــ يقولون بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل ؛ ولذلك فهم يعظمون أبا بكر وعمر - رضي اللّه عنهما - .

٢ ــ يقولون : إن الأمة أخطأت في البيعة لأبي بكر وعمر مع وجود علي لكنه خطأ لا يفسق .

٣ ــ يكفرون عثمان ، وعائشة ، وطلحة ، والزبير .

٣ ــ *الصالحية* :

وهم أتباع الحسن بن صالح ، وهم يعظمون أبا بكر وعمر ، ويتوقفون في حق عثمان ، والحسن بن صالح يلقب بالأبتر ؛ ولهذا تسمى فرقته أحيانًا بـ « البترية » .

- *وأما الكيسانية* :

فهم أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وقيل هو تلميذ لمحمد بن الحنفية ، وهم يعتقدون فيه اعتقادًا كبيرًا .

وتجمع فرق الكيسانية على القول : بأن الدين طاعة رجل ، وأن الإمامة كانت

حقًا لمحمد بن الحنفية [١] .

كما يقولون أيضًا بجواز البداء على الله ﷻ [٢] ، وسيأتي توضيح ذلكَ عند ذكر أخطر العقائد .

ـ وأما الإمامية :

فهم فرق تقول بإمامة علي بن أبي طالب ﷺ بعد رسول اللّه ﷺ ، ويرون أن النبي ﷺ نص على إمامة (عليَّ) بالتسمية ، إما تعريضًا أو تصريحًا .

أما التعريض : فقد أمر الرسول ﷺ عليًا على أبي بكر وعمر ، وفي كل بعث خرج فيه علي لم يكن إلاَّ أميرًا .

وأما تصريحًا : فعندما كان المسلمون قلة مستضعفة قال رسول اللّه ﷺ : **« من الذي يبايعني على روحه وهو وصيي وولي هذا الأمر من بعدي . فلم يبايعه أحد حتّى مد علي يده فبايعه على روحه »** .

وكذلك قوله ﷺ في بعض المواطن : **« من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ...»** الخ .

والإمامية كما يقولون بإمامة (علي) يقولون باتفاق بإمامة الحسن والحسين وعلي بن الحسين ، وبعد هؤلاء يختلفون ويفترقون .

ـ وأما الغلاة من الرافضة :

فهم الذين غالوا في حق أئمتهم فحكموا على الأئمة بأنهم آلهة ، وأنكروا

---

(١) **محمد بن الحنفية هو أبو القاسم** ، ويقال أبو عبد اللّه محمد بن علي بن أبي طالب ، وأمه خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة من بني حنيفة بن لجيم ، وقد كان محمد عالمًا فاضلاً شجاعًا ، توفي ٨١ هـ .
انظر : « تهذيب التهذيب » لابن حجر ٣٥٤/٩ و« العبر » للذهبي ٩٣/١ .

(٢) انظر « الفرق بينَ الفرق » للبغدادي ص ٥٢ (مرجع سابق) .

بشريتهم ، فمنهم من شبه الإمام بالإله ، وبعضهم شبه الإله بالخلق ، وهم فرق كثيرة أهمها :

١ ـ السبائية :

أتباع عبد اللّه بن سبأ اليهودي الأصل ، الذي أظهر الإسلام وأبطن العداء للإسلام وأهله ، وأثار الفتنة ضد عثمان ﷺ . وكان عبد اللّه بن سبأ يزعم أن عليًا هو اللّه تعالى ، وزعم أن عليًا لم يقتل وإنما رفعه اللّه إليه كما رفع عيسى بن مريم !

وغالى أصحابه فوق ذلكَ فقالوا بالغيبة والرجعة وتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي .

٢ ـ الخطابية :

(وهم يزعمون أن اللّه تعالى حل في علي ، ثُمَّ في الحسن ، ثُمَّ في الحسين ، ثُمَّ في زين العابدين ، ثُمَّ في الباقر ، ثُمَّ في الصادق ، وتوجه هؤلاء إلى مكة في زمن جعفر الصادق وكانوا يعبدونه ، فلما سمع الصادق بذلك أبلغ ذلكَ أبا الخطاب وهو رئيسهم . فزعم أن اللّه تعالى قد انفصل عن جعفر ـ وحل فيه ـ وأنه هو أكمل من اللّه تعالى ، ثُمَّ إنه قتل) [١] .

إنهم أتباع أبي الخطاب محمد بن زينب الأجدع الأسدي ... كنيته أبو الخطاب كان يقول بألوهية جعفر الصادق ، وقد تبرأ منه جعفر ومماقاله . وقد قتل أبو الخطاب على يد عيسى بن موسى في خلافة أبي جعفر المنصور .

ويزعم الخطابية : أن الدنيا لا تفنى وأن الجنّة هي ما يصيب النّاس في الدنيا من الخير ، وأن النّار هي ما يصيبهم من الشر ، وقد تركوا الفرائض ، وأباحوا لأنفسهم

---

(١) انظر « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » للرازي ص ٨٧ (مرجع سابق) .

الزنا ، وشرب الخمور ! .

٣ ـ *اليونسية* :

هم أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي . أفرط في باب التشبيه ، فزعم أن اللّه يحمله حملة عرشه وهو أقوى منهم ، كما أن طائرًا يُسمَّى (الكركي) يشبه الأوز ، رمادي اللون ، دقيق الرجلين ، تحمله رجلاه وهو أقوى من رجليه ، واستدل على قوله هذا بما ورد في القرآن ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ (١) .

ومعلوم أن الآية دالة على أن العرش هو المحمول دون الرب .

واليونسية يزعمون أن النصف الأعلى من اللّه مجوف ، وأن النصف الأدنى منه مصمت ـ تعالى اللّه عن قولهم علوًا كبيرًا ـ (٢) .

أخطر عقائد الرافضة :

١ ـ *التأويل الفاسد* :

وإنما كان فاسدًا لأنه صدر عن اعتقادهم أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا ، وأن المراد منه باطنه دون ظاهره ، وأن علم الباطن مقصور عليهم وحدهم ، فانطلق غلاة الرافضة كغيرهم من غلاة الباطنية يحرفون لفظ القرآن عن معناه إلى ما يتفق مع عقيدتهم وأهوائهم ، فهذا بيان بن سمعان الذي تنتسب إليه « البيانية » (٣) يفسر قوله تعالى :

---

(١) سورة الحاقة : الآية ١٦ .

(٢) انظر في كل ما ذكرنا من فرق الرافضة : « الفرق بين الفرق » للبغدادي ص ٢٩ ـ ٧٠ ، و« اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » للإمام الرازي ص ٧١ ـ ١٠٠ بتصرف (مرجع سابق) .

(٣) **البيانية أو البنانية** : فرقة من الرافضة أتباع بيان بن سمعان التميمي ، زعموا أن روح الإله دارت في الأنبياء والأئمة حتّى انتهت إلى علي ، ثُمَّ دار إلى محمد بن الحنفية ، ثُمَّ صارت إلى ابنه أبي هاشم ، ثُمَّ حلت بعده في بيان بن سمعان ، وادعوا بذلك إلهية بيان بن سمعان . انظر « الفرق بين الفرق » ص ٢٥٥ .

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١] .

بقوله : (أنا البيان ، وأنا الهدى ، والموعظة) . وبالتأويل الفاسد تحلل الروافض من القيم الأخلاقية ، والشعائر الدينية ، ونشروا الإباحة والإلحاد . فالخطابية استحلوا الزنا ، وشرب الخمر ، وقالوا بترك الصلاة ، مؤولين قوله تعالى : ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ....** ﴾ الآية [٢] .

وقالوا : خففت عنا يا أبا الخطاب ، وقالوا من عرف الإمام فلا حرج عليه .. الخ . وهذا شبيه بنهج اليهود في التأويل والتحريف ، وله صلة قوية بما كان عليه المجوس من الفرس .

٢ ـ *التشبيه والحلول* :

أي القول بتشبيه اللّه بالإنسان ، وأن له تعالى أعضاء كأعضائه ، والقول بالحلول أيضًا حين اعتقد غلاتهم حلول الإله بذاته أو روحه جزءً أو كلا في البشر ، وهذا قوى الصلة بوثنية الفرس وتحريفات اليهود والنصارى ، وهو مناف لعقيدة التوحيد [٣] .

٣ ـ *البداء* :

وهو مما قالت به اليهود ، ولا يجوز على اللّه ؛ لأنه مخالف تمامًا للنسخ المقرر شرعًا إذ أن البداء بمعنى أنه بدا للّه شيء كان يجهله أو يجهل الحكمة منه ، ثُمَّ بدا له أن يفعله ، وهذا مفهوم يؤدي إلى جواز التغير عليه سبحانه . وهو مختلف

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٣٨ .

(٢) سورة النساء : الآية ٢٨ .

(٣) **والقول بالحلول باطل ومحال :** فحلول الشيء لا يتصور إلاّ إذا كان الحال بحيث لا يتعين إلاّ بتوسط المحل . ولا يمكن أن يتعين واجب الوجود سبحانه بغيره ، فحلوله في غيره محال . وأما التشبيه فقد نتج عن تأويلهم لبعض النصوص الشرعية على غير وجهها الصحيح فوصفوا اللّه سبحانه بما لا يليق به ، وما ذلكَ إلاّ لركونهم إلى التأويل المهلك وتركهم للتفويض المدرك .

تمامًا عن معنى النسخ .

٤ ـ الرجعة :

وهو القول برجعة الإمام مرة أخرى إلى الحياة بعد موته ليؤدي دوره في هداية النَّاس إلى مذهبه ، وهذه أيضًا يقول بها اليهود .

٥ ـ التناسخ :

أي القول بتناسخ الأرواح وانتقالها من جسم إلى جسم وهذا هو الثواب والعقاب ، وهو معنى القيامة عندهم ، ويكون ذلكَ في الدنيا فيثاب المطيع مثلاً بأن تنتقل روحه إلى شيءٍ حسن كالطاووس مثلاً ، ويعاقب المجرم العاصي بأن تنتقل روحه إلى شيء قبيح مثل الكلب أو قرد . فالجزاء في الدنيا وليس هناك حياة آخره . يقول ابن حزم : (ويبلغ الأمر بمن ذهب منهم إلى هذا أنه يأخذ أحدهم البغل والحمار فيعذبه ويضربه ويعطشه ويجيعه على أن روح أبي بكر وعمر ﷺ حلت فيها) [1] .

والقول بالتناسخ يوافق قول المجوس ، واليهود ، وبعض الفلاسفة ، وهو كفر يناقض الإيمان باليوم الآخر .

ولا غرابة أن نجد أفكار اليهود المسمومة مدسوسة ومبثوثة في مذهب الرافضة ، إذ كان منهم عبد اللَّه بن سبأ اليهودي المعروف بعدائه للإسلام ، وهم جميعًا من الباطنية التي تضمر العداء للإسلام وأهله .

(١) « الفصل في الملل والأهواء والنحل » لابن حزم ١٨٢/٤ .

٢ ـ الإسماعيلية

ـ *نشأتها وأصولها* :

الإسماعيلية فرقة من فرق الرافضة الإمامية [١] ، وهي معدودة بالطبع ضمن فرق الباطنية ، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى « إسماعيل بن جعفر الصادق » .

ويرى الإسماعيلية أن الإمام جعفر الصادق نص على أن يكون الإمام بعده ابنه إسماعيل . وقد اختلفوا في موت إسماعيل في حياة أبيه فقال بعضهم : إنه حي لم يمت وإنما غاب ، ولا يجوز موته ؛ لأنه لا ولد له ولا يمكن أن تخلو الأرض من الإمام .

ويقول بعضهم : إنه لم يمت بل هو حي مستتر لا يظهر ، ولكنه سوف يظهر عندما يعم الفساد في الأرض فيملؤها عدلاً وإنصافًا .

يقول البغدادي وهو يذكر « الإسماعيلية » : (وهؤلاء ساقوا الإمامة إلى جعفر ، وزعموا أن الإمام بعده ابنه إسماعيل ، وافترق هؤلاء فرقتين :

١ ـ *فرقة* : منتظرة لإسماعيل بن جعفر ، مع اتفاق أصحاب التواريخ على موت إسماعيل في حياة أبيه .

٢ ـ *وفرقة قالت* : كان الإمام بعد جعفر سبطه محمد بن إسماعيل بن جعفر حيثُ إن جعفرًا نصب ابنه إسماعيل للإمامة بعده ، فلما مات إسماعيل في حياة أبيه علمنا أنه إنما نصب ابنه إسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بن إسماعيل . وإلى هذا القول مالت الإسماعيلية من الباطنية) [٢] .

وعلى ذلكَ فـ « الإسماعيلية » كما ترى على رأيين :

---

(١) انظر « الفرق بينَ الفرق » للبغدادي ص ٥٣ (مرجع سابق) .

(٢) « الفرق بينَ الفرق » ص ٦٢ ، ٦٣ (مرجع سابق) .

الأول : قال بعضهم : إن إسماعيل بن جعفر لم يمت ، وأن والده قد غيبه ؛ خوفًا عليه من الخلفاء العباسيين فكتب محضرًا بوفاته وأشهد عليه عامل الخليفة المنصور ـ وكان إسماعيليًا ـ ، وسافر إسماعيل إلى دمشق سنة ١٤٥هـ التي غادرها إلى العراق ؛ خوفًا على نفسه ، وقد شوهد في البصرة ، بل عرف عنه فيها أنه مر على إنسان مقعد فشفاه بإذن اللّه ، وبقي بها سبع سنوات حتّى توفي ١٥٨هـ في البصرة ورزق بأولاد هم : محمد ، علي ، فاطمة . وقد نص على إمامة ولده محمد .

والذين رأوا هذا الرأي وتكلموا بهذا الكلام قالوا : إن الإمام السابع هو « إسماعيل » ؛ ولذلك يسمون بالسبعية [١] .

والثاني : قال البعض الآخر : إن الإمامة انتقلت بعد إسماعيل إلى ولده محمد المكتوم « محمد بن إسماعيل » [٢] ؛ لأن الإمامة لا تنتقل من أخ لأخ بعد الحسن والحسين ، وإنما من أب لإبن . وزعيم القائلين بهذا الرأي هو المبارك مولى إسماعيل بن جعفر وهو كوفي من العراق ؛ ولذلك يطلق على هؤلاء « المباركية » وقد ذكرهم الإمام الرازي فقال : المباركية : وهم يقولون : إن إسماعيل لما مات انتهت الإمامة إلى ولده محمد بن إسماعيل دون أخيه ـ أي أخو إسماعيل ـ) [٣] .

---

(١) انظر في ذلك : « تاريخ الدعوة الإسماعيلية » للدكتور مصطفى غالب ص ١٢٨ .

(٢) **ومحمد بن إسماعيل** هو الذي يروي عنه أنه سأل عمه الإمام أبا الحسن موسى أن يأذن له في الخروج إلى العراق وأن يوصيه فأذن له وأوصاه ، وأعطاه ثلاث صرر في كل منها مائة وخمسون دينارًا ، وأعطاه ألفًا وخمسمائة درهم ، ولما وصل إلى العراق دخل على هارون الرشيد فقال : له : ياأمير المؤمنين : خليفتان في الأرض : موسى بن جعفر بالمدينة يجي له الخروج وأنت بالعراق يجبى له الخراج فقال : واللّه . فقال : واللّه . فأمر له هارون الرشيد بمائة ألف درهم ولما ذهب بها إلى منزله أخذته الريح في الليل فمات و لم يعقب .

انظر : « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » للرازي ص ٨٢ ، فإن صحت هذه الرواية دلت على عداء الولد لعمه بسبب الإمامة .

(٣) « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » ص ٨٢ (مرجع سابق) .

وقد انقسمت المباركية إلى فريقين :

فريق وقف عند إمامة محمد المكتوم ، وزعم أنه المهدي المنتظر وقالوا برجعته .

وفريق آخر قال باستمرار الإمامة في أئمة مستورين إلى الوقت الذي حكمت فيه الدعوة الإسماعيلية على يد الإمام عبيد الله المهدي الذي أسس دولة إسماعيلية فاطمية في المهدية بإفريقية (تونس) وتتابع بعده الفاطميون [1] .

وقد امتد نفوذ الإسماعيلية إلى مصر حين فتحها المعز لدين اللّه الفاطمي سنة ٣٥٨ هـ ، وانتقل إليها في رمضان سنة ٣٦٢ هـ ، ثُمَّ انتشرت في الهند وإيران حيثُ ظهر أعظم فلاسفة الإسماعيلية الباطنية من أمثال : أبي يعقوب السجستاني ، وناصر خسرو ، وأبي حاتم الرازي ، وحميد الدين الكرماني ، وقد أشارت إلى ذلكَ دائرة المعارف الإسماعيلية بالإنجليزية .

ومع بداية القرن الخامس الهجري دب الضعف والانحلال في صفوف الإسماعيلية وانقسمت على نفسها وصارت فرقًا متعددة توجد بصورة هزيلة في أجزاء من اليمن وإيران والهند وباكستان .

أخطر عقائد الإسماعيلية

١ ـ ينفون عن اللَّه ما وصف به نفسه ، ويرون أن ذلكَ من مستلزمات التوحيد الخالص على غرار ما قال به أفلوطين من فلاسفة اليونان عن العلة الأولى ، وأنها واحدة من كل وجه . وبذلك لا يوصف اللّه بصفات تستوحى معانيها من تجارب الحس ؛ لأنها إضافات لا تتفق مع الوحدة الخالصة .

---

(١) انظر « الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة » ـ الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالسعودية ص ٤٦ ط . سنة ١٤٠٩ هـ .

يقول « الكرماني » أحد علمائهم : إنه لا يجوز أن نصف اللّه بصفة الوجود[١] ؛ ذلكَ لأن وصفه بالوجود يقتضي كونه محتاجًا للوجود ، وبالتالي كونه محتاجًا إلى غيره ، واللّه لا يحتاج إلى أحد فباطل كونه آيسا (يقصد موجودًا) .

إنهم يرون أن الأسماء والصفات إنما جعلت للمخلوقين ليكون الخلق مميزًا عن غيره ، واللّه متعال عن ذلكَ فليس له صورة نفسانية ولا طبيعية ، بل يتعالى بعظيم شأنه وقوة سلطانه عن أن يوصف بما توصف به أسباب خلقته وفنون بريته ، ويؤكد الكرماني ذلكَ فيقول : إن اللّه لا يوصف بصفات المخلوقين ولا يقال عنه ما يقال عن المخلوقين ... فليس اللّه في نظرهم كريمًا ، ولا رحيمًا ، ولا غفورًا ، ولا سميعًا ، ولا عليمًا ، ولا بصيرًا ؛ لأنها من صفات المخلوقين يتنزه اللّه عنها ! .

ثُمَّ يقول الكرماني في كتابه « راحة العقل » : وإذا كان اللّه غنيًا عن كل صفة ، فإن صفات الكمال موجودة في أول مبدع أبدعه .

فبعد نفيهم لأسماء اللّه وصفاته أثبتوا صفات الكمال لأول مبدع أبدعه اللّه وسموه « العقل الأول » ، ووصفوه بأنه الحق ، والحقيقة ، والوجود الأول ، والوحدة ، والواحد ، والأزل ، والمعقول ، والعلم ، والعالم الأول ، والقدرة ، والقادر الأول ، والحياة ، والحي الأول [٢] .

ونلاحظ أن الصفات التي يصفونها « العقل الأول » توافق ما فعله المعتزلة ومن وافقهم من الفلاسفة في وصفهم للذات الإلهية حين عطلوا الصفات وقالوا هي عين الذات .

(١) وهو يسمى كلمة الوجود (آيس) حتّى يخف وقعها على مشاعر المسلمين .

(٢) « راحة العقل » حميد الدين الكرماني ص ١٨٩ .

ومعنى ذلكَ أن إله الإسماعيلية هو إله فوق إله المعتزلة وبعض الفلاسفة . فلا هو واجب الوجود ، ولا المحرك الأول ، وإنما هو ذات غامضة وعماء تام (فهو لا موجود ولا غير موجود ، ولا عالم ولا جاهل ، ولا قادر ولا عاجز .... ليس بالقديم وليس بالمحدث ، فالقديم أمره وكلمته والحديث خَلْقه وفطرته) [١] .

إنهم يعتقدون أن اللّه لم يخلق العالم خلقًا مباشرًا ، بل كان ذلكَ عن طريق العقل الأول أو المبدع الأول أو عقل الكل ، وسموه القلم وهو الخالق الذي أبدع النفس الكلية ، فوجود العقل الأول سابق ومتقدم على وجود النفس الكلية وهما حدى اللّه . وبواسطتهما وجدت المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية .

إن حدى اللّه في العالم العلوي (عقل الكل ، النفس الكلية) يقابلها في العالم السفلي :

حد النبي أو الرسول وحد الوصي أو الإمام . وعلى ذلكَ فإن وجود العالم حسب آرائهم تم على النحو التالي :

١ ـ أوجدت القدرة الأزلية عقل الكل أو المبدع الأول وهو الرسول .

٢ ـ ثُمَّ ظهر عن عقل الكل (الرسول) نفس الكل وهو (الإمام) .

٣ ـ ثُمَّ ظهر عن نفس الكل (الإمام) سلسلة عقول أخرى هم الأئمة كأوصياء متممين للرسالة الإلهية .

وانتقال الإمامة من إمام إلى من بعده يتم بتناسخ الجزء الإلهي وحلوله في واحد بعد الآخر ، كما ينتقل هذا الجزء من كاهن إلى كاهن عند النصارى .

---

(١) « الموسوعة الميسرة » ص ٥٠ (مرجع سابق) .

وواضح مما ذكرنا أن الإسماعيلية يذهبون إلى أن وجود الموجودات عن الله لا يتم عن طريق الفيض كما قال به بعض الفلاسفة ؛ لأن الفيض يكون من جنس ما فاض عنه مشاركًا له ومناسبًا ، وهذا لا يليق بالله عندهم . وإنما وجود الموجودات يتم بطريق الإبداع على النحو الذي ذكرنا . وهو يتفق مع الأفلوطينية الحديثة . وهذا يوضح اتفاق عقيدتهم مع الفلسفة الكافرة والمسيحية المحرفة ، ولا تقف خطورة مذهبهم عند هذا الحد (بل الخطر الأشد في طبع ذلكَ كله بطابع الاعتقاد . وإبعاد الطابع الإنساني عن الإمام القابل للأخذ والرد .

إن جعل حقائق الحق وحيًا للأمة وما أضيف إلى أصول الإسلام من وثنية إغريقية ومعرفة مفلسفة يحول دون الفصل بينَ ما هو إسلام وما هو طارىء عليه) (١) .

وهذا ما اشترك فيه الإسماعيلية مع غيرهم من الفرق الضالة التي حاولت طمس معالم الإسلام وتقويض أصوله .

٢ ــ بناء على عقيدتهم في (الألوهية) فإن العقل الأول هو الذي دبر الكون وأرسل الرسل والوحي إلى الأنبياء .

والنبي - عندهم - شخص فاضت عليه من (السابق) بواسطة (التالي) قوة قدسية صافية . والأنبياء لم يتصل بهم الوحي إلاّ عن طريق الجد ، وهو إسرافيل فيبلغه إلى الفتح ، وهو ميكائيل الذي أبلغه إلى الخيال ، وهو جبرائيل فيوحيه إلى الناطق الحي الذي يمثل دور السابق وينسخ الشريعة السابقة حتّى وصل الدور إلى الناطق السابع « محمد بن إسماعيل » الذي نسخ شريعة الإسلام .

---

(١) « الفكر الإسلامي في تطوره » أ د . محمد البهي ص ٥١ .

أما علي بن أبي طالب ﷺ فينسبون إليه قولهم : (كنت وليًا وآدم بينَ الماء والطين) ، ولا بد أن يمر النبي بمرتبة الولاية قبل مرتبة النبوة . وأولوا العزم من الرسل . هم النطقاء الذين ارتقت نفوسهم بالانتساب إلى حظيرة القدس والتعلق بها وقبول فيضها فارتفعت إلى درجة العقول الإبداعية ، فتنقلب ذاتها عقلاً تفيض بالبركات التي تصير النفس كاملة .

و« **النطقاء** » عند الإسماعيلية سبعة لكل (ناطق) (أساس) يعتمد عليه فهو المفسر . والسبعة هم :

١ ــ آدم ، وأساسه شيث .

٢ ــ نوح ، وأساسه سام .

٣ ــ إبراهيم ، وأساسه إسماعيل .

٤ ــ موسى ، وأساسه هارون .

٥ ــ عيسى ، وأساسه شمعون الصفا .

٦ ــ محمد ﷺ ، وأساسه علي بن أبي طالب .

٧ ــ إسماعيل بن جعفر الصادق ، وأساسه قداح الحكمة [1] .

و« **الإمام** » هو محور الدعوة الإسماعيلية ، وهو وارث الأنبياء جميعًا ، ووارث كل من سبقه من الأئمة ، ويصفونه بصفات ترفعه إلى ما يشبه الإله ، ويخصونه بعلم

---

(١) ذكر البغدادي في « الفرق بينَ الفرق » ص ٢٢ عبد الله بن ميمون القداح مؤسسًا لدعوة الباطنية ، ثُمَّ ذكر في موضع آخر حكاية عن أصحاب المقالات أن الذين أسسوا « دعوة الباطنية » جماعة : منهم « ميمون بن ديصان » المعروف بالقداح ، وكان مولى لجعفر بن محمد الصادق ، وادعى كذبًا أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الذي مات ، ولم يعقب . ص ٢٨٢ ، فإما أن يكون الإسمين المذكورين لشخص واحد اختلف في نقل اسمه ، أو لشخصين فيكون لأب وولده . وسواء هذا أو ذاك فهو المقصود (بقداح الحكمة) .

الباطن لما له من صفات قدسية ، فهو يد الله وجنب الله ووجه الله [١] .

وهكذا نرى الإسماعيلية تصل إلى أخطر النتائج ، وهي فتح باب النبوة وعدم إغلاقه على الإطلاق ، وهذا يعني أن محمدًا ﷺ لم يكن خاتم النبيين ، ولا برسالته أكمل الدين . فالنبوة مستمرة بصفة دورية !! .

وعلى هذه الفكرة الخبيثة قامت « **دعوة القاديانية والبهائية** » في العصر الحديث ، وهذا القدر من عقائد الإسماعيلية كاف للحكم بكفرهم وموضح لخبث هدفهم ، وسوء نيتهم ، وتهافت فكرهم .

جذور أفكارهم وعقائدهم

لقد تأثر مذهب الإسماعيلية بعقائد الفرس القديمة ، والأفكار الهندية المشوشة ، والمسيحية المحرفة ، وعناصر من الفلسفة اليونانية التي انصهرت كلها في عقيدة باطنية تقوم على استخلاص الباطن من الظاهر عن طريق التأويل الفاسد المهلك الذي يمكنهم من توجيه دعوتهم إلى كافة مستويات أتباعهم .

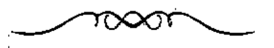

(١) انظر : « دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة » عبد الله الأمين ص ٦٧ بتصرف ، دار الحقيقة بيروت .

٣ ـ النصيرية

نشأتها :

حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث الهجري ويعد أصحابها من غلاة الشيعة الذين قالوا بألوهية علي بن أبي طالب بناء على اعتقادهم بأن ظهور الروح بالجسد الجسماني أمر يجيزه العقل ، فهو يشبه ظهور جبريل عليه السلام بصورة بشر ، وظهور الشيطان بصورة إنسان يتكلم بلسانه ، إلى آخر ما قالوا به من معتقدات فاسدة باطلة قصدوا بها نقض عري الإسلام وزلزلة بنيانه . فلا عجب أن تراهم مع كل غاز لأرض المسلمين . وقد أطلق عليهم الاستعمار الفرنسي لسوريا اسم « **العلويين** » سترًا وتغطية لحقيقة أمرهم .

وينتسب النصيريون إلى مؤسس فرقتهم : أبو شعيب محمد بن نصير (ت . ٢٧٠هـ) الفارسي الأصل ، والذي زعم أنه كان الباب إلى الإمام الحسن العسكري ، وأنه وارث علمه والحجة والمرجع للشيعة من بعده ، وأن الإمام الثاني عشر الغائب أوصى له بالإمامة من بعده ، فادعى النبوة والرسالة وغلا في حق الأئمة وورث ذلكَ من أتى بعده من مشايخ المذهب النصيري .

وبعد وفاة ابن نصير تولى الزعامة من بعده محمد بن جندب ، ومن بعده أبو محمد عبد اللّه بن محمد الجنان الجنبلاوي الفارسي نسبة إلى (جنبلان) (ت ٢٨٧هـ) ، وكنيته العابد والزاهد ، وكان عالمًا بالفلسفة والنجوم وبقية علوم عصره . سافر إلى مصر . وهناك عرض دعوته على « الحسين بن حمدان الخصيبي » المصري المولود (٢٦٠ هـ) وضمه إلى طريقته فصار الخصيبي من أتباعه ، وسافر مع أستاذه إلى جنبلان حيثُ صاحبه بقية حياته ، وتسلم رئاسة الطائفة من بعده فأنشأ للنصيرية مركزين : أولهما في حلب ، ورئيسه « محمد علي الحلبي » ، والآخر في بغداد ،

ورئيسه « علي الجسري » ، وقد انقرض مركز بغداد بعد حملة (هولاكو) عليها .

وانتقل مركز حلب إلى اللازقية (بسوريا) ، وصار رئيسه « أبو سعيد الميمون سرور بن قاسم الطبراني » (٣٥٨ ـ ٤٢٧هـ) ، وتوالت رئاسة المذهب الذي أرسيت قواعده في جبال اللازقية .

(كان أبو سعيد الميمون الذي ولد في طبرية أعظم رجل بعد (الخصيبي) ألف كتبًا عديدة في المذهب ، وكان مشهورًا بالسباب على الشيخين وأتباعهما ، ثُمَّ انفرط عقد الطائفة من بعده لعدم وجود من يحل محله في العلم والقيادة . وبقي للطائفة مجلسهم الطائفي الذي يخطط للوصول إلى الحكم ، كما وأن لجوءهم إلى الجبال الحصينة في محافظة اللازقية ليؤكد شعورهم بالعزلة الدينية .

وذلك : بسبب احتقار المسلمين لهم في وقت يعتبرون فيه أنفسهم شعب اللّه المختار ، كما يؤكد عزلتهم عن المجتمع الذي ناصبوه العداء ، فكانوا مع الغزاة ممن يكيدون له ولوطنه ولعقيدة شعبه) (١) .

ومعلوم أن فرنسا أقامت لأصحاب المذهب النصيري دولة أطلقت عليها اسم (**دولة العلويين**) التي استمرت من سنة ١٩٢٠م إلى سنة ١٩٣٦م .

أخطر عقائد النصيرية

١ ـ يقولون بألوهية الإمام وعصمته :

وهي ألوهية ـ في نظرهم ـ مثلثة الأجزاء متحدة الحقيقة كما هي عند النصارى . فهي عندهم : معنى واسم وباب . كما هي عند النصارى : أب وابن وروح قدس .

أما المعنى فهو : علي بن أبي طالب ، وهو اللّه العلي القدير .

---

(١) « دراسات في الفرق » .... عبد اللّه الأمين ص ١٢٧ (مرجع سابق) .

وأما الاسم فهو : محمد بن عبد الله ، وهو حجابها النوراني .

وأما الباب فهو : سلمان الفارسي الذي يوصل إلى الحجاب النوراني .

وبعد انتهاء دور النبوة أصبح هؤلاء الثلاثة يتنقلون في الأئمة الأثنى عشر حتّى خلفوها إلى « محمد بن نصير النميري » حسب ادعائه [1] .

وهم (يعتقدون بأن عليًا قد خلق محمدًا ، وأن محمدًا قد خلق سلمان الفارسي ، وأن سلمان الفارسي قد خلق الأيتام الخمسة الذين هم :

١ ـ **المقداد بن الأسود** : ويعدونه رب النّاس وخالقهم والموكل بالرعود .

٢ ـ **أبو ذر الغفاري** : الموكل بدوران الكواكب والنجوم .

٣ ـ **عبد اللّٰه بن رواحة** : الموكل بالرياح ، وقبض أرواح البشر .

٤ ـ **عثمان بن مظعون** : الموكل بالمعدة ، وحرارة الجسد ، وأمراض الإنسان .

٥ ـ **قنبر بن كادان** : الموكل بنفخ الأرواح في الأجسام .

... ويزعمون بأن للعقيدة باطنًا وظاهرًا ، وأنهم وحدهم العالمون بباطن الأسرار . من ذلكَ قولهم بأن القرآن : هو مدخل لتعليم الإخلاص لعلي ، وقد قام سلمان « تحت اسم جبريل » بتعليم القرآن لمحمد ! [2] .

ولهم قداسات شبيهة بقداسات النصارى تدل بألفاظها على صريح كفرهم .

٢ ـ *القول بالتناسخ* :

قال به الغلاة في كل ملة ، فهو عقيدة مشتركة بينَ أهل الديانات . وقد لخص (النوبختي) قولهم بقوله : ومقتضى مذهب هؤلاء الغلاة أن لا دار إلاَّ دار الدنيا ، وأن

---

(١) انظر « دراسات في الفرق » المرجع السابق ص ١٠٨ .

(٢) « الموسوعة الميسرة » (مرجع سابق) ص ٥١٣ ، ٥١٤ بتصرف .

القيامة إنما هي خروج الروح من البدن ودخولها في بدن آخر . إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر ، وأنهم مسرورون في هذه الأبدان أو معذبون فيها .

والأبدان هي الجنات وهي النَّار ، وأنهم منعمون في الأجسام الحسنة الأنيسة المنعمة ، ومعذبون في الأجسام الرديئة المشوهة من كلاب وقرود وخنازير وحيات ، وأن المؤمن عندهم يتحول سبع مرات قبل أن يأخذ مكانه بينَ النجوم [١] .

وعلماء الإسلام مجمعون على كفر القائلين بالتناسخ لإنكارهم معلومًا من الدين بالضرورة وهو الإيمان باليوم الآخر وما يتعلق به .

٣ ـ قال ابن نصير بإباحة المحارم وأحل اللواط بينَ الرجال [٢] :

وأسقط التكاليف الشرعية استنادًا إلى تأويلاتهم الباطنية الفاسدة التي لا تستند إلى دليل . وتلك نزعة قديمة ترتبط بالمجوسية [٣] ، والزرادشتيه [٤] ، والمزدكية [٥] ، ذلكَ أن للمجوس طبقة من الكهنة كانت تبيح الزواج بالأقارب المقربين ، يقول الشهرستاني : عرف عن مزدك دعوته إلى الإباحية ، واستحلال النساء فقد تزوج « يزدجرد » الثاني الذي تولى الحكم في القرن الخامس الميلادي من ابنته ، كما عرف « أن بهرام جور » الذي حكم في القرن السادس الميلادي قد تزوج من أخته ، ويذكر أيضًا أن عادة الزواج بالمحارم كانت عادة منتشرة في « الزرادشتية » . وكانت أكثر

---

(١) « فرق الشيعة » للنوبختي ص ٣٢ .

(٢) « الموسوعة الميسرة » ص ٥١٣ (مرجع سابق) .

(٣) **المجوس** : عبدة النَّار ويقولون : إن للعالم إلهين : النور والظلمة ، والأول قديم ، والثاني حادث خلافًا للثنوية الذين يقولون بأزليتهما واختلافهما في الجوهر والطبع ، ونشأت المجوسية في بلاد الفرس .

(٤) أتباع زرادشت من أهل أذربيجان ، وهو من المجوس وادعى النبوة .

(٥) أتباع مزدك بن نامذان من الثنوية . كان إباحيًا زنديقًا ادعى النبوة ، وأظهر دين الإباحة . انظر الحديث عن المجوس وما ذكرنا : « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » للرازي ص ١٣٤ ، ١٤١ (مرجع سابق) .

شيوعًا بينَ أهل التقى إرضاء لآلهتهم [١].

جذور أفكارهم وعقائدهم

واضح أن النصيرية استمدت عقائدها من الوثنية القديمة فقدسوا الكواكب والنجوم وجعلوها مسكنًا للإمام علي بن أبي طالب ، وأقاموا عقائدهم على أفكار المجوس وفلسفتهم .

كما أخذوا عن النصرانية أو المسيحية المحرفة . فقالوا بالتثليث ، والقداسات ، وأباحوا شرب الخمور .

ونقلوا فكرة التناسخ والحلول عن المعتقدات الهندية والآسيوية الشرقية ، وتأثروا بالأفلاطونية الحديثة حين قالوا بالفيض النوراني على الأشياء ، أضف إلى ذلكَ أنهم من غلاة الشيعة مما جعل فكرهم وثيق الصلة بمعتقدات الشيعة الفاسدة .

مواطن تواجدهم :

يستوطن النصيريون منطقة جبال النصيريين في اللاذقية ، ولقد انتشروا مؤخرًا في المدن السورية المجاورة لهم مثل : حماه ، وحمص ، وحلب .

كما يوجدون في تركيا ، وألبانيا ، ويعرفون في أجزاء منهما باسم « البكتاشية » ، وأعداد منهم تجمعها قبائل إيرانية يعرفون باسم « العلي إلهيه » ، وبعضهم يعيش في لبنان ، وفلسطين ، وأكثر أعدادهم في سوريا .

أشهر المؤلفين في النصيرية ومؤلفاتهم :

١ ـ المؤلفون الأقدمون :

أما مؤلفوا النصرية الأقدمون فهم : الخصيبي (أبو عبد اللّه بن حمدان) ، ويلقب

---

(١) انظر « الملل والنحل » للشهرستاني ٢/٤٢٤ .

بالشيخ يبراق ، توفي في حلب ٣٥٧هـ ، وله كتب : « الهداية الكبرى » الذي أهداه لسيف الدولة و« المائدة » ، و« المجموع » .

والحلى محمد بن أحمد وله رسالة في « باطن الصلاة » ، و« شرح المجموع » ، و« الفتن » ، و« الرتق » ، وغيرها .

والقطيعي أبو الفتح محمد بن حسن البغدادي له « الرسالة الاسمية » .

والجسرى علي بن عيسى له « كتاب الأوحد » .

والشيخ الطبراني أبو سعيد ميمون بن قاسم : له « مجموع الأعياد » ، و« الحاوي » ، و« الدلائل » ، و« الرد على المرتد » ، وغيرها .

٢ ـ *المؤلفون الحديثون* :

ـ منهم : الكركي علي بن الحسين . له « السر الخفي » ، و« الإفادة في إيضاح الشهادة » .

ـ ومحمد بن يونس كلازوجراني من أنطاكية . له « التأيد » ، و« الجدول النوراني » ، و« الباطن » .

ـ ومحمد أمين غالب الطويل الآذني (متوفي ١٩٣٢) في اللازقية له كتاب « تاريخ العلويين » ، وغيرهم [١] .

حكم الإسلام في النصيرية

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (هؤلاء القوم الموصوفون المسمون بـ « النصرية » هم وسائر أصناف القرامطة [٢] الباطنية : أكفر من اليهود والنصارى ، بل

---

(١) انظر : « دراسات في الفرق » ... عبد الله الأمين ص ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) فرقة من فرق الرافضة الباطنية تنسب إلى رجل يقال له حمدان قرمط بكسر القاف ، ظهروا سنة ٢٨١هـ في =

وأكفر من كثير من المشركين ، وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين ... فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهاد المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت ، وهم في الحقيقة لا يؤمنون باللّه ، ولا برسوله ، ولا بكتابه ، ولا بأمر ولا بنهي ، ولا بثواب ولا عقاب ، ولا جنة ولا نار ، ولا بأحد من المرسلين قبل محمد ﷺ ، ولا بملة من الملل السالفة ، بل يأخذون كلام اللّه ورسوله المعروف عند المسلمين ويتأولونه على أمور يقرونها ، ويدعون أنها علم الباطن من ذلكَ قولهم : إن الصلوات الخمس : معرفة أسرارهم ، والصيام المفروض : كتمان أسرارهم ، وحج البيت العتيق : زيارة شيوخهم ، وأن يدي أبي لهب هما : أبو بكر وعمر ، وأن النبي العظيم والإمام المبين هو علي بن أبي طالب ، ولهم في معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة وكتب مصنفة .... وصنف علماء المسلمين كتبًا في كشف أسرارهم ، وهتك أستارهم ، وبينوا ما هم عليه من الكفر والزندقة .... وقد اتفق علماء الإسلام على أن مثل هؤلاء لا تجوز مناكحتهم .... ، ولا تباح ذبائحهم ، ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين ، ولا يصلى على من مات منهم أبدًا ... وأما استخدام هؤلاء في ثغر من ثغور المسلمين أو حصونهم وجندهم فهو من الكبائر بمنزلة من استخدم الذئاب في رعي الغنم ، فإنهم من أغش النّاس للمسلمين ولولاة أمرهم ، ومن أحرص النّاس على إفساد الملة والدولة [1] .

وبمثل هذا قال أكثر علماء الإسلام ممن يوثق في دينهم ويعتد بآرائهم في هؤلاء المارقين الخارجين على تعاليم الدين .

- خلافة المعتضد باللّه ، وطالت أيامهم ، وعظمت شوكتهم وأخافوا السبيل . انظر : « الفرق بينَ الفرق » للبغدادي ص ٢٨٢ ، و« مقالات الإسلاميين » للأشعري حـ١ ص ١١٠ (مرجعان سابقان) .

(١) « مجموع فتاوى » شيخ الإسلام ابن تيمية ٤٧٧/٢٨ ـ ٥٠١ ، ٤١٥/٣٥ ، ٣٥٦/٣ ، ٣٥٧ ، بتصرف .

٤ـ الدروز

نشأتها :

الدروز إحدى الفرق الباطنية التي تأثرت كثيرًا بعقائد الإسماعيلية وقد اشترك في تأسيس هذه الفرقة عدة شخصيات جعلت الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر اللّه [1] محور العقيدة الدرزية وأبرز هذه الشخصيات :

١ ـ حمزة بن علي بن محمد الزوزني (٣٧٥ هـ ـ ٤٣٠ هـ) ، وهو الذي أعلن ألوهية الحاكم بأمر اللّه سنة (٤٠٨ هـ) ، ودعا النّاس إليها ، وألف كتبًا في العقائد الدرزية ، ويعتبر المؤسس الفعلي لعقيدة الدروز ؛ ولهذا كانت له مكانة مقدسة عند طائفته هي بمثابة مكانة نبي الإسلام عند المسلمين !

ويسمونه العقلي الكلي .

٢ ـ محمد بن إسماعيل الدرزي المعروف (**بنشتكين**) ، اشترك مع « حمزة » في تأسيس عقائد الدروز ، غير أنه تسرع في إعلان ألوهية الحاكم سنة (٤٠٨ هـ) وهي السنة التي جعلوها مبدأ التاريخ عندهم .

وقد أغضب « حمزة » هذا الإعلان فأثار النّاس ضده ففر إلى الشام ودعا إلى مذهبه ، وظهرت فرقة الدروز التي ارتبطت باسم « نشتكين » .

٣ ـ الحسين بن حيدرة الفرغاني المعروف بالأخرم أو الأجدع وهو المبشر بدعوة « حمزة بن علي » بينَ النّاس .

---

(١) **هو الخليفة الفاطمي : أبو علي المنصور بن العزيز باللّه بن المعز لدين اللّه الفاطمي الملقب بالحاكم بأمر اللّه** ولد سنة ٣٧٥هـ /٩٨٥م ، وقتل سنة (٤١١هـ) ، وحكم مصر في الفترة (٣٨٦هـ إلى ٤١١هـ) ، وكان عمره عند توليه أحد عشر عامًا ، وكان يتصف بالشذوذ في الفكر والسلوك والتصرف ، شديد القسوة والتناقض والحقد على النّاس ، فقد قتل وعذب الكثير دون سبب أو مبرر .

٤ ـ **أبو إبراهيم إسماعيل بن محمد التميمي** ، ويُسمَّى بالنفس باعتبارها فيضًا من العقل . وهو صهر « حمزة » وساعده الأيمن في الدعوة ، وهو الذي يليه في المرتبة .

٥ ـ **أبو عبد اللّه محمد بن وهب القرشي** ، ويُسمَّى (الكلمة) .

٦ ـ **أبو الخير سلامة بن عبد الوهاب السامري** ويُسمَّى (السابق) .

٧ ـ **أبو الحسن علي بن أحمد السحوقي** (أو السموقي) المعروف بالضيف والمشهور باسم بهاء الدين واسمه (التالي) ، كان له أكبر الأثر في انتشار المذهب وقت غياب حمزة (٤١١هـ) . وقد ألف كثيرًا من نشراتهم من مثل : « رسالة التنبيه والتأنيب والتوبيخ » و« رسالة التعنيف والتهجين » وغيرها ، وهو الذي أغلق باب الاجتهاد في المذهب حرصًا على بقاء الاصول التي وضعها هو وحمزة والتميمي .

ومن الزعماء المعاصرين لهذه الفرقة :

١ ـ **كمال جنبلاط** : زعيم سياسي لبناني أسس الحزب التقدمي الاشتراكي ، وقام بتلفيق مصحفه من القرآن الكريم ، والحكمة اليونانية والهندية متمشيًا مع عقائد الدروز . وسماه « المنفرد بذاته » .

٢ ـ **وليد جنبلاط** : وهو زعيمهم الحالي وخليفة والده في زعامة الدروز وقيادة الحزب .

٣ ـ **د . نجيب العسراوي** رئيس الرابطة الدرزية بالبرازيل .

٤ ـ **عدنان بشير رشيد** : رئيس الرابطة الدرزية في استراليا .

٥ ـ **سامي مكارم** الذي ساهم مع كمال جنبلاط في عدة تآليف في الدفاع عن الدروز . فحاول هو وشريكه إرجاع أصول مذهبهم الدرزي إلى مسالك الحكمة في

التاريخ القديم من فرعونية وهندية وفارسية والنصرانية واليهودية [١] .

هذا ، ويتكون الشعب الدرزي أو أبناء الديانة الدرزية من حوالي ٢٥٠ ألف نسمة يمكن توزيعها كالآتي :

١٢١ ألفًا في سورية ، وحوالي ٩٠ ألفًا في لبنان ، والباقون بفلسطين . وهم حاليًا ضمن المنطقة المحتلة منها . وهم ممثلون في الكنيست « البرلمان الصهيوني » ، وتتكون منهم إحدى فرق الجيش الإسرائيلي ، وهي التي تقوم بمهاجمة الحدود العربية في الغالب ... ، وهم يتمركزون في مناطق جبلية غالبًا ... ، وجبل الدروز بحوران « جنوب سوريا » عبارة عن هضبة بركانية وهو بيضاوي الشكل يبلغ طوله ١٢٥ كم وعرضه ٦٠ كم (وأقصى ارتفاعه ١٨٠٠م) ، وهو وعر المسالك ، كثير المتاهات مما يجعله صالحًا للاعتصام والتخفي [٢] .

أخطر عقائد الدروز

١ ـ يقولون بألوهية الحاكم بأمر اللّه الفاطمي ، وأن روح الإله قد حلت في جسده ، وهذه العقيدة تقوم على أن للحاكم بأمر اللّه طبيعتين :

(أ) **طبيعة لاهوتية** خفية لأن اللّه ﷻ اتخذ الحاكم حجابًا له .

(ب) **وطبيعة ناسوتية** ظهر بها بصورة الحاكم بأمر اللّه المتجسد أمام النّاس ، ليعبد اللّه ظاهرًا موجودًا رحمة منه بعبادة .

وقد ظهر الإله في صورة إنسان ؛ لأن الإنسان أفضل المخلوقات .

والحاكم بأمر اللّه هو الصورة الناسوتية الأخيرة لله ؛ ولهذا فهم يعبدونه

---

(١) انظر : « الموسوعة الميسرة » ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ (مرجع سابق) ، و« دراسات في الفرق » .. لعبد اللّه الأمين ص ١٦٠ (مرجع سابق) بتصرف .

(٢) انظر : « دراسات في الفرق » ... لعبد اللّه الأمين ص ١٤٢ بتصرف (مرجع سابق) .

ويقدسونه . وحين قتل الحاكم بأمر الله سارع دعاة تأليهه إلى القول بأنه لم يقتل و لم يمت ولكنه اختفى أو رفع إلى السماء وسيرجع ويملأ الأرض عدلاً .

وإنما غاب الحاكم بأمر الله اختبارًا لهم أو غضبًا منهم ، وسوف يظهر في اليوم الموعود من تحت صخرة بيت المقدس .

٢ ـ **ويقولون بالتناسخ** : فكل درزي يموت تنتقل روحه ليحل في أول مولود منهم لا من غيرهم . وهم جميعًا من أهل الجنّة ، والمسيىء فيهم تطهر روحه بتنقلها في أجسام فقراء أو مرضى فإذا طهرت لبست أجسام السعداء من الرؤساء والأغنياء .

وأرواح رؤساء الديانة الدرزية في كل عصر تذهب إلى الصين لتقيم مع الحدود الخمسة (من المؤسسين الأوائل وقد مر ذكرهم) أما بقية الأفراد فأرواحهم تتناسخ فالنفس عندهم لا تموت وإنما يموت قميصها ، وهو الجسم البشري فتنتقل الروح إلى جسم بشري آخر ولد حديثًا فتحل فيه .

والفرق بينَ تناسخ الدروز وتناسخ النصيرية يكمن في الجسم الذي تنتقل إليه الروح ، فهو عند الدروز لا يكون غير جسم الإنسان بالذات بخلاف النصيرية . ويوم الحساب ـ عندهم ـ هو نهاية مراحل انتقال الأرواح وتناسخها في الأجسام ، وحينئذ ينتصر التوحيد على عقائد الشرك .

وعقيدة التناسخ التي يقول بها الدروز وغيرهم من الفرق الباطنية تخالف الإسلام وإجماع علماء المسلمين .

٣ ـ **وهم يبغضون أهل الديانات الأخرى والمسلمين** على وجه الخصوص ، ويستبيحون دماءهم ، وأموالهم ، وغشهم كلما تيسر لهم ذلكَ .

٤ ـ **ويعتقدون بأن ديانتهم نسخت كل ما قبلها** ، وينكرون جميع أصول الإسلام وفروعه .

٥ ـ **وينكرون القرآن الكريم** ، ويقولون إنه من وضع سلمان الفارسي ، ولهم مصحف خاص بهم يُسمَّى « المنفرد بذاته » .

٦ ـ **التستر والكتمان من أصول معتقدانهم** وليس هذا من باب التقية وإنما هو من أصول ديانتهم [(١)] .

جذور أفكارهم وعقائدهم

١ ـ تأثروا بالباطنية وخاصة الباطنية اليونانية ممثلة في أرسطو وأفلاطون وأتباع فيثاغورث .

٢ ـ أكثر معتقداتهم مأخوذة عن طائفة الإسماعيلية .

٣ ـ كما تأثروا بالدهريين قديمًا وحديثًا في قولهم بالحياة الأبدية .

٤ ـ بعض أفكارهم وثيقة الصلة بالبوذية ، وما ذهب إليه بعض فلاسفة الفرس والهند والفراعنة القدامى .

وللدروز كتبهم ومؤلفاتهم نذكر منها :

١ ـ مصحف يُسمَّى « المنفرد بذاته » .

٢ ـ النقض الخفي وهو الذي نقض فيه حمزة الشرائع كلها وخاصة الإسلام .

٣ ـ أضواء على مسلك التوحيد . د . سامي مكارم .

وللدروز رابطة في البرازيل ، وفي استراليا وغيرهما ، وأكثرهم يعيش الآن في لبنان وسوريا وفلسطين . ونفوذهم أقوى في لبنان ولهم دور كبير في الحرب اللبنانية وعداوتهم للإسلام والمسلمين ظاهرة جلية . ولايشك مؤمن صادق الإيمان في كفرهم وخروجهم عن ملة الإسلام .

---

(١) « انظر الموسوعة الميسرة » ص٢٢٤ ـ ٢٢٦ ،« دراسات في الفرق » لعبد الله الأمين ص ١٤٤ ـ ١٥٧ .

٥ ـ البابية والبهائية

أولاً : البابية

ـ نشأتها ومؤسسها :

كان ظهور البابية في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي ، وكانت هذه الفترة من أسوأ الفترات في تاريخ البلاد الإسلامية بصفة عامة وإيران بصفة خاصة ، فقد كان هدف الدول الكبرى تقسيم البلاد الإسلامية فيما بينها لتكون غنيمة يسهل ابتلاعها .

وفي هذه الفترة كانت إيران خاضعة للشيوعيين الروس ، وفي الوقت نفسه مسرحًا لنزاع الدول الأجنبية في محاولة جادة للسيطرة على البلاد الإيرانية . فسادها القلق والاضطراب ، وغيم على سمائها ضباب الصراع والعنف سواء بسبب الأسر الداخلية الإيرانية التي كانت تتجاذب زمام الملك ، أو بسبب الدول الأجنبية الطامعة في السيطرة عليها .

ولم تكن الحياة الدينية في هذا الوقت أقل فسادًا من الحياة السياسية :

فقد شغل رجال الدين في إيران ببث الخرافات الإثنى عشرية [(١)] في قلوب النّاس ، وغرقوا في شعبذات الصوفية فكلموا النّاس بما يفهمون ومالا يفهمون ! .

(وكان أكثر الإيرانيين يدينون ـ في ذلكَ الوقت ـ بمذهب الإثنى عشرية ، ويرقبون ظهور الغائب أو المهدي المنتظر .

---

(١) الشيعة الإمامية (الإثنى عشرية) تقول برجعة الإمام محمد بن الحسن العسكري المتوفى (٢٦٠هـ) ، وتنتظره كل يوم أمام (السرداب) الذي سيعود منه بالحصان المطهم حسب اعتقادهم الفاسد . ولقبت بالإثنى عشرية لأنها تدين باثنى عشر إمامًا لهم العصمة والمعجزات .

انظر : « البهائية » لعبد الرحمن الوكيل ص ٧٣ ، نشر دار المدني بالسعودية ، ط٢ .

أما البقية الأخرى التي كانت تعيش في إيران فكان منهم (زرادشتيون) يرقبون ظهور موعودهم « بهرام شاه » .

ومنهم يهود يرقبون ظهور « المخلّص » الموعود .

ومنهم مسيحيون يترقبون رجعة المسيح عليه السلام .

ومنهم مسلمون يترقبون ظهور « المهدي » وغير ذلكَ كثير .

وهكذا كانت كل فرقة تترقب منتظرًا ، وترجو غائبًا استكن وراء روعة الغيب وسحر المجهول ...؟؟) [1] .

وإلى جانب ذلكَ كانت هناك فرقة شيعية تُسمَّى (الشيخية) [2] أسسها أحمد الإحسائي ، وأدار شئونها تلميذه كاظم الرشتي (١٢٠٥ هـ - ١٢٥٩ هـ) .

وقد ذهبت هذه الفرقة إلى القول بالبعث الروحاني ، وإنكار البعث الجسماني ، فعدلت القول بالرجعة الذي ذهبت إليه (الإثنى عشرية) ، فيقول الإحسائي عن الغائب : إن (روحه طارت إلى الملأ الأعلى ، ولكنها ستعود لتحل مرة أخرى بجميع خصائصها في إنسان جديد يولد ولادة حقيقية من أب وأم جديدين غير والدي الإمام

---

(١) « المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها »د . عبد الرحمن عميرة ص ٢٢٩ ، نشر دار اللواء بالسعودية ، ط ٢ ، ١٩٧٩م .

(٢) تنسب هذه الفرقة إلى أحمد زين الدين الإحسائي المولود ١١٥٧هـ / ١٧٤٣م .

وهو أحد علماء الشيعة الإثنى عشرية وقد اشتهر بالفلسفة وانحرف بمذهبه عن مذهب الشيعة الإثنى عشرية حيثُ قال : إن البعث روحاني لا جسماني لأن الروح جوهر الجواهر ، أما الجسم فيلحقه الفناء الأبدي لأنه مؤلف من عناصر الأرض ، والشخصية الإنسانية التي تميز الأفراد عن بعضهم ليست أكثر من مجموعة صفات وأخلاق إذا وجدت تامة في شخصية أخرى في أي زمان أو مكان دلت على رجوع الشخصية السابقة إلى الوجود . وهذا إنكار للرجعة بمفهومها عند الأثنى عشرية أو تعديل لها : فالإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري قد مات وستعود روحه لتحل في أحد الأشخاص .

الثاني عشر الغائب) [١] .

وقد اعتمد الإحسائي على (الرؤى والأحلام) في ترويج مذهبه فلعب بعواطف العوام على وجه الخصوص ، وسار على دربه ومنهجه تلميذه كاظم الرشتى خاصة في مجال التبشير بقرب ظهور المهدي المنتظر ، وحث أتباعه على النشاط في البحث عنه وقد ألهب (الرشتى) قلوب تلاميذه بالآمال العريضة التي تنتظر الشيعة بظهور القائم . مما جعل أفئدتهم تصاب بالوله والشوق . ووجداناتهم ترق بأحلام ناعمة . حتّى حبسوا حياتهم على التفكير في « المهدي المنتظر » وقد حافظت (الروشتية على « الشيخية » حتّى أسلمتها إلى « البابية » [٢] .

في هذا الجو العجيب من الأساطير والخرافات والأوهام والقلق والاضطراب ولد مؤسس فرقة البابية الميرزا [٣] علي محمد الشيرازي عام (١٢٣٥هـ / ١٨١٩م) بمدينة « شيراز » الفارسية الإيرانية مات أبوه : محمد رضا الشيرازي قبل بلوغ والده سن الفطام فكفله خاله التاجر وأرسله إلى معلم ليتعلم على يديه . وكان لهذا المعلم مدرسة يسميها « قهوة الأنبياء والأولياء » [٤] وواضح أن اسم هذه المدرسة يحمل الإلحاد في طياته ويشير إلى نوع الشراب الفكري الذي شربه علي محمد في بداية حياته العلمية .

استطاع علي محمد أن يتعلم الفارسية والعربية وأظهر براعة في الخط وسرعة في الكتابة والحفظ .

ثُمَّ ارتحل به « خاله » إلى مدينة « بوشهر » فاشتغل مع خاله بالتجارة إلى أن بلغ

---

(١) « البهائية » . عبد الرحمن الوكيل ص ٨٤ (مرجع سابق) .

(٢) انظر « البهائية » د . عبد الرحمن الوكيل ص ٨٥ (مرجع سابق) ، و« الروشتية » أو « الكشفية » هي امتداد « للشيخية » .

(٣) الميزرا والملاّ لقب يطلق على البعض في إيران وهو كلقب السيد والشيخ والأستاذ عند الناطقين بالعربية .

(٤) « البابية تاريخها وعقيدتها » . عبد الرحمن الوكيل ص ٨٧ ط المدني ١٩٨٦م .

سن العشرين فترك خاله وترك التجارة وعكف على قراءة كتب الصوفية الحلولية ، وانقطع للعبادة وتسخير الروحانيات ، ومراقبة الكواكب ، وعمل الطلاسم ، وحاول أن يتعرف على هذا الوجود ويكشف عن أسراره وألغازه فلم يزده هذا إلاَّ حيرة واضطرابًا ، فعمل على إذلال نفسه بسهر الليل ، ووقوفه تحت أشعة الشمس المحرقة فأصابه وجوم وذهول ، وتأثرت قواه العقلية ، وأصيب بلوثة كادت أن تعصف به ، أشار عليه الأطباء بالسفر إلى كربلاء والنجف لتغيير الهواء وطلب الشفاء ، فحمل إلى هناك حيثُ التقى برجل يسمى « كاظم الرشتى الجيلامي» [(١)] .

وكان يجمع بينَ التصوف والفلسفة والشريعة ، ومزج بينها وبين اعتقادات الشيعة الإمامية والإسماعيلية والأصول الفلسفية على نحو جديد ، فتلقى عنه « الباب » هذه العلوم وكان مما سمعه منه : أن المهدي المنتظر سيظهر عند الشيعة وهو الآن من سكان عالم روحاني ، فلازم « الباب » هذا الرجل وتأثر بكلامه وبنى عليه أحلامه وخيالاته ، ثُمَّ اختفى فترة ، ولازم الرياضة في مسجد الإمام علي ـ كرم اللّه وجهه ـ ثُمَّ خرج إلى النَّاس بهذه النحلة وادعى أنه باب المهدي المنتظر . وأنه المراد من الأثر المشهور عندهم « **أنا مدينة العلم وعلي بابها** » ـ وينسبونه إلى النبي ﷺ [(٢)] .

وادعى أن اللّه أرسله لإصلاح ما أفسده علماء الدين الإسلامي لسوء فهمهم ، وتبعه كثير من النَّاس) [(٣)] .

---

(١) شيخ الطائفة الكشفية التي هي امتداد للشيخية ـ كما سبق .

(٢) هذا الحديث موضوع وتكملته « **فمن أراد العلم فليأت الباب** » ذكره الشوكاني في كتابه « الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة » باب مناقب الخلفاء الأربعة وأهل البيت ص ٣٤٨ . دار الكتب العلمية . بيروت .

وقال ابن تيمية عن هذا الحديث : (إنما يعد في الموضوعات المكذوبات) انظر : « الفتاوي » لابن تيمية ٤/ ٤١٠ (مرجع سابق) .

(٣) « البابية والبهائية في الميزان » للشيخ مصطفى الحديدي الطير ص ٧ ، ٨ بتصرف ، ط الأزهر .

أخذ « علي محمد الشيرازي » يتكلم بألفاظ خارجة عن منهج الشريعة الإسلامية ويردد أقوالاً غامضة مثل : (فادخلوا البيوت من أبوابها) فلا يمكن التوصل إلى اللّه إلاّ بواسطة ، وهو هذه الواسطة ، ولا يدخل البيت إلاّ من الباب وهو ذلكَ الباب . وعندئذ سمى نفسه « الباب » [١] وأتباعه البابية .

وكان أول أتباعه : الملاحسين البشروئي (أحد تلاميذ كاظم الرشتي) ، الذي وجد في « الباب » الطريق إلى المجد والوصول إلى الشهرة من أقرب طريق ، فسافر إلى شيراز ليلتقي بالميرزا علي محمد الشيرازي ، (وبينما كان ملا حسين البشروئي ماثلاً بحضور الباب ـ علي محمد الشيرازي ـ إذ أعلن له دعواه بغتة . وظهر بمقام المهدية والقائمية . ودعاه إلى الإيمان به . وكان عمر جنابة ـ الباب ـ وقتئذ : خمسة وعشرين عامًا .

وقد اعتبر ذلكَ اليوم : عيد البعث . إذ أظهر فيه حضرة الباب دعوته ورفع بها الصوت جهرًا) [٢] .

(ويدعى « البشروئي » أنه قد دهش عندما دهم بدعوى « الباب » المباغتة من أنه : المهدي المنتظر .

وأنه لم يقبل من الباب هذه الدعوى بلا دليل فطالبه بالدليل .

وهكذا عينت « الشيخية » البشروئي : مجيزًا للباب يصدقه ويمتحنه في « تمثيلية » مضحكة) [٣] .

---

(١) **الباب في اصطلاح الشيعة** : هو الشخص الذي يكون واسطة بينَ الشيعة الإمامية وإمامهم الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري الذين يزعمون أنه ولد سنة ٢٥٥هـ ، وأنه غاب الغيبة الصغرى في سرداب سامر سنة ٢٦٠هـ ، ولا يزالون ينتظرونه . راجع ص ٦ من « البهائية » للاستاذ محمد الخطيب (مرجع سابق) .

(٢) « الكواكب الدرية في مآثر البهائية » : لمؤرخ البهائية : عبد الحسين أواره ص ٧٢ .

(٣) انظر : « اليهودية » د . أحمد شلبي ص ٢٤٣ .

سأل « البشروئي » الباب : ما آية المهدي المنتظر ...؟

فأجابه الباب : آية المهدي أنه يكتب تفسيرًا لسورة يوسف !!! [١] .

وأسرع « الباب » وأخرج التفسير من ثوبه كما يفعل « الحواة » ...

(فخر البشروئي ساجدًا [٢] معلنًا في صراحة أن هذا المراهق المخنث هو المهدي المنتظر والقائم صاحب الزمان ...) [٣] .

وعندما سجد « البشروئي » للباب كفرًا وضلالاً كافأه « الباب » على ذلكَ فسماه « باب الباب » .

كان الإعلان عن البابية سنة ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م واختير « البشروئي » ليكون باب الباب وأول المبشرين بالمهدي ، فأخذ يجوب الآفاق مبشرًا بالمهدي المنتظر ومعلنًا عن نفسه أنه وكيله . وانتشر ذلكَ بينَ النَّاس ، وبلغ عدد المؤمنين بقائمية « الباب » ثمانية عشر شخصًا (سبعة عشر رجلاً وامرأة واحدة) هي المعروفة « بقرة العين » . وقد سماهم الباب ولقبهم بحروف « حي » وهذه الكلمة بحساب الجمل تساوي ثمانية عشر فإذا أضيف الباب إليهم صار عددهم تسعة عشر ، وهو رقم مقدس عند الباب .

ومضت الدعوة إلى « الباب » في طريقها أول أمرها محاطة بالسرية تشويقًا إلى معرفة المجهول . فلم يذكر الدعاة في باديء الأمر شيئًا عن اسم الباب أو مكانه أو شيئًا من صفاته ، بل كانوا يدعون إليه في البلاد الإيرانية والعراقية همسًا وخفية تمشيًا مع وصية الباب لهم أن يكونوا على حذر بالغ وهم يبشرون بظهوره . ولكن سرعان ما تحول الهمس إلى جهر وأخذ بعض النَّاس يتهمون الباب وأتباعه بالمروق من الذين

(١) لقد فسر الباب سورة يوسف تفسيرًا باطنيًا فاسدًا يدل على التخبط والتآمر على الإسلام .

(٢) والسجود لغير الله يخرج صاحبه من ملة الإسلام .

(٣) « البهائية » : د . عبد الرحمن الوكيل ص ٩١ (مرجع سابق) .

والنيل من الإمامية التي تعارف عليها الشيعة وقالوا بها .

لقد بالغ أتباع الباب في الدعايات الباطلة المضللة طمعًا في الشهرة والمجد ، فأثار ذلكَ العلماء عليهم فطلبوا من حاكم « شيراز » حسين خان أن ينفذ شرع اللّه في هؤلاء المارقين ، فاستجاب لطلبهم وأمر بالقبض على هؤلاء المارقين وسجنهم ونكل بهم .

وعندما جمع العلماء وحاكم « شيراز » مجلس واحد أثار العلماء قضية الباب مع حسين خان ووضحوا له أن هؤلاء الأتباع الذين أمر بالزج بهم في قاع السجن بعد أن قطع أعصاب كعوبهم ليسوا إلاّ قطرات متعفنة من المستنقع الآسن الذي يمثله (الباب) وطالبوا بالقبض عليه حتّى لا يستمر في التغرير بالبسطاء وضعاف العقول .

(وحمل الباب إلى مجلس الحاكم . فخر على الأرض ترتعد فرائصه ، والحاكم يلطمه ويبصق في وجهه . ثُمَّ رمي به في السجن ...) [١] .

عندما قبضت الحكومة على الباب وسجنته ثار أتباع البابية الأوائل (الثمانية عشر) ودعوا كل مؤمن بعقيدتهم أن يشاركهم في القيام بثورة مسلحة عامة يمهدون لها بما يثير الاضطراب في المجتمع حتّى يتمكنوا من فك سراح (الباب) وإخراجه من سجنه ، فكان أن دعوا أتباعهم لعقد مؤتمر عام في (بدشت) [٢] سنة ١٨٤٨م وأوهموا العامة بما سيعلن من بشائر بشر بها الإمام المنتظر .

ورغم الخلاف بينَ المؤتمرين استطاعت « قرة العين » أن تعلن على سمع الحاضرين : أن أحكام الشريعة المحمدية قد نسخت الآن بظهور الباب [٣] .

---

(١) « المذاهب المعاصرة » د . عبد الرحمن عميرة ص ٢٣٦ (مرجع سابق) .

(٢) « بدشت » مدينة فارسية تقع على نهر « شاهروا » بينَ خراسان ومازندان تجاورهما صحراء واسعة .

(٣) سوف نفصل القول في ذلكَ عند الكلام عن عقائدهم .

وأدى ذلكَ إلى فتنة كبرى في المجتمع الإيراني اختلطت بالثورة السياسية على الشاه في هذا الوقت لرفضه إصدار الدستور ، فساد إيران قلق واضطراب عنيف .

و(حينما اشتدت فتنة البابية طلب رجال الدين من الشاه أن يتدارك الأمر قبل أن تعم الفتنة البلاد فأرسل الشاه إلى ولي عهده « ناصر الدين » وهو في « تبريز » أن يحضر الباب من سجنه إلى مجلس العلماء ليناقشوه وليروا فيه رأيهم .

ولما حضر الباب أقر أمام العلماء بما صدر منه من كتب [١] وبأنه هو صاحب الزمان . فوجه العلماء إليه هذا السؤال :

(إن الباب يفترى أنه جاء بدين جديد ، ومن سنن اللّه أن الشرع اللاحق يأتي مكملاً للشرع السابق ، فإن كان الباب صادقًا في زعمه فليبين النقص الذي زعم أنه كان في الإسلام ، وليبين ما كمله هو به) .

فلم يستطع أن يقول شيئًا أو يلقى ببينة .

وهنا أصدر العلماء فتوى بقتله . فطلب الصدر الأعظم الموافقة على قتل « **الباب** » فوافق الشاه ، وأرسل إلى عمّه الأمير حمزة والي أزربيجان في تنفيذ هذا الحكم) [٢] .

---

(١) ترك الباب بعض المؤلفات التي تحوي أفكارًا مفككة بأسلوب ركيك لا يفهم .

وأهم كتبه « البيان » الذي ادعى أنه أفضل من القرآن وقد جعله على قسمين : أحدهما باللغة العربية ، والآخر بالفارسية . وسوف نورد لك شيئًا من هذا البيان حتّى تقف على تفاهة مؤلفة ومدى تناقضه وتخبطه .

قال « الباب » في كتابه « البيان » : (بسم اللّه الواحد المقدام .. بسم اللّه المقدم المقدم . بسم اللّه القادم القدام ، بسم اللّه القادم القدوم ، بسم اللّه القادم القدمان ..) إلى غير ذلكَ من الكلام الركيك والسجع الممل الذي لا معنى له ولا يستسيغه العقل البشري السليم .

ومن كتبه أيضًا : تفسير سورة يوسف تفسيرًا بابيًا . انظر : « التيارات المعاصرة » د . علي حسن ص ٢٢ ، ٢٣ (مرجع سابق) .

(٢) « المذاهب المعاصرة » .... د . عبد الرحمن عميرة ص ٢٤٣ (مرجع سابق) .

وفي ميدان عسكري فسيح في إيران احتشد النّاس ينظرون مصير الأفاك الأثيم ويستعجلون الفتك به فقد سيق إلى مصيره المحتوم وهو القتل رميًا بالرصاص . ورغم مناصرة اليهود والروس « **للباب** » ومحاولتهم تخليصه ومساعدته على الفرار إلاَّ أن الجنود ما لبثوا أن عثروا عليه في غرفة سجنه الأول التي فر إليها فمزقوا جسده شر ممزق وتركوا جثته طعامًا للوحوش والسباع وعبرة لكل متطاول على دين اللّه .

ـ عوامل ظهورها ونشاطها :

تتعدد العوامل والأنساب التي ساعدت على قيام الدعوة البابية ونشاطها ، فكان منها عوامل بيئية وشخصية وسياسية .

أولاً : العوامل البيئية :

١ ـ تأثر طائفة (الشيخية) التي واكبت ظهور الباب ـ بالعقائد الشيعية والأفكار اليهودية في القول بظهور المهدي المنتظر ، فكان لهذا أثره في ترقب الإيرانيين لظهور المهدي وتهيئة نفوسهم لانتظاره . فلما أعلن « **علي محمد الشيرازي** » بابيته تأثر بها الإيرانيون وأيدوها ، مما ساعد على قيام نحلته الضالة الباطلة . فقد اعتبر « الباب » نفسه أول أمره واسطة ، وبابًا إلى المهدي المنتظر . وهذا من شأنه أن يعالج اليأس من عودة الإمام الغائب .

٢ ـ انتشار الآراء الباطنية في مدينة « شيراز » مسقط رأس الباب ساعد على تأييد الباب في أفكاره ومعتقداته ؛ لقربها الشديد من العقائد والأفكار الباطنية [1] .

٣ ـ دور والي أصفهان ـ الذي أظهر الإسلام وأبطن المسيحية ـ في إلقاء بذور الفتن والفساد في البيئة الإسلامية الإيرانية ، (وساعد دعاة البابية ، وعمل على حمايتهم

---

(١) سوف يتضح لك عند استعراض عقائد البابية أن البابية ربيبة الباطنية وتجديد لفكرها .

من الحكومة والعلماء ، كما أمدهم بالأموال الطائلة وسخر لهم كل وسائل التبشير لنشر الدعوة البابية) [١] .

٤ ـ ادعاء « **الباب** » أنه مناصر للشيعة ـ عقيدة العامة ـ ، وتأثره ببعض معتقداتها كالمهدي المنتظر وعصمة الأئمة ... وغيرهما ؛ لكي يضم لدعوته النجاح والانتشار [٢] .

ثانيًا : العوامل الشخصية :

١ ـ نشأته وثقافته :

في حديثنا عن نشأة البابية ومؤسسها تعرفنا على التكوين النفسي والتربوي لمؤسس « البابية » علي محمد الشيرازي الذي كان يعيش لنفسه ويحاول التعرف على أسرار الوجود ، فتلقى عقائد الشيعة والباطنية ، والتقى بعلمائها ، وعكف على قراءة كتب الصوفية الحلولية ، وعلم الكواكب والنجوم ، كما اشتغل بالفلسفة ، والرياضة الروحية ، فأصابه وجوم وذهول ، وتأثرت قواه العقلية ، وصار بذلك أرضًا صالحة لإنبات بذور الفتنة الدينية .

فتلقفته الطائفة « **الكشفية** » التي هي امتداد للطائفة « **الشيخية** » ـ كما ذكرنا من قبل ـ ؛ ليكون مجددًا للباطنية في العصر الحديث .

بل جنده أعداء الإسلام أيًا كانت هويتهم ؛ للقيام بدوره المرسوم .

يذكر أحد الباحثين أنه (قد استحوذ عليه يهوديان ، فأوهماه أنه سيكون له شأن ، وتعهده هذان الرجلان بتقديم أفكار اعتقدها « الميرزا » وجند لنشرها) [٣] .

---

(١) « تاريخ البابية » . د . محمد مهدي خان ص ١٤٣ .

(٢) « مجلة المنار » الشيخ محمد رشيد رضا ٣٤٣/٩ ، ط المنار .

(٣) « اليهودية » أحمد شلبي ص ٣٤٢ ،وذكر أن زعيم البهائية التي ورثت البابية أحد حاخامات اليهود ص٣٤١.

ويرى آخرون أن الذي جنده هو ذلكَ « الدبلوماسي الروسي » الذي انـدس في صفوف « الرشتية » [١] .

ولا مانع من صدق القولين ، فقد يكون الروسي يهوديًا .

وعمومًا فقد أظهر « الباب » من الزهد والصلاح ما أمـال إليـه بسـطاء العقـول والعوام من النّاس ، (وأضحى كل شيء مهيأ حسب الخطة المرسومة سلفًا ـ أن ينهـض الميرزا على محمد بدوره) [٢] .

٢ ـ دعوى انتسابه لآل البيت ـ رضوان الله عليهم ـ :

فقد كانت أمه ـ كما يقول بعض الباحثين ـ من آل البيـت ، بـل يقـال إن نسـبه من جهة أبيه يرجع إلى علي بن أبي طالب ـ كرم اللّه وجهـه ـ . وكـان هـذا النسـب الشريف سببًا في التفاف النّاس حوله ، وإحيائهم لدعوته التي دعا إليها) [٣] .

ثالثًا : العوامل السياسية :

١ ـ الأطماع الاستعمارية في السـيطرة علـى الدولـة الإيرانيـة : فقـد تصـارعت روسيا وبريطانيا وفرنسا على تحقيق أطماعهـا في إيـران ، ونتـج عـن ذلـكَ خصومـات عنيفـة بـينَ الأسـرتين اللتـين كانتـا تتجاذبـان زمـام الملـك في إيـران ، فضـاع الأمـن وعمت الفوضى أرجاء البلاد ، وغرق النّاس في بحر من الظلام . فلمـا ظهـرت الدعـوة « البابية » التف النّاس حولها وحول صاحبها علهم يجدون فيها الخلاص .

---

(١) « خطر البابية والبهائية » د . مصطفى غلوش ص ٢٣ ط ١٩٨٩م .

(٢) « تهافت البابية والبهائية » د . مصطفى عمران ص ٤١ .

(٣) انظر : « الكواكب الدرية » ص ٦٨ (مرجع سابق) .

وبعض الباحثين ينكر نسب الباب لآل البيت ويرى أنها فرية ابتدعها اليهـود والماسـونيون . نقـول : وحتـى لـو كان « الباب » ينتسب لآل البيت فهل هذا يبرر اتباعه وإقراره على إلحاده وضلاله وكفره ؟ إن معيـار المفاضلـة بينَ النّاس هو تقوى اللّه ﷻ بمعناها الواسع الشامل . ومن أخره عمله لا يسرع به نسبه .

٢ ـ وكما لحق الفساد بالأمراء لحق أيضًا بالعلماء : فقد كان رجال الدين في إيران غارقين في شعبذات الصوفية ، وترهات الدروشة ، وخرافات الشيعة وضلالاتها ، فأضاعوا حقائق الإسلام وجوهر الدين ؛ ليبقوا على شهواتهم وضلالهم ، وهم بهذا قد أفسحوا المجال للبابية وغيرها من النحل الباطلة .

ومعلوم (أن أمثال هذه « النحل » الكاذبة ما كانت تقوم في « فارس » لولا أن علماء الإسلام فيها في ذلكَ العصر تباعدوا عن معرفة (جوهر الدين) وحقيقته . وشغلوا أنفسهم بقراءات واطلاعات في كتب ملئت بالدجل والخرافات ، فتمكن منهم أمثال : الإحسائي والرشتي والشيرازي) [1] .

٣ ـ عرفنا أن الفساد في إيران كان قد شمل الحاكم والعالم . وكان ذلكَ واضحًا للناس فلما قاوم الحاكم والعلماء دعوة الباب وتعقبوا أتباعها ، واستخدموا العنف والقسوة في مقاومتها ، زاد ذلكَ من التفاف النَّاس حولها والتعاطف مع صاحبها .

لقد تضافرت هذه العوامل فكانت سببًا في ظهور الدعوة البابية ، وانتشار هذه النحلة الضالة في إيران ، ثُمَّ الانتقال إلى البلاد المجاورة لها ، بل إلى بعض البلاد الأوربية والأمريكية .

وسوف نؤجل الكلام عن عقائد البابية الآن لنذكرها مع عقائد البهائية بعد الحديث عن نشأة البهائية وتأسيسها لأنها امتداد للبابية ووريثتها في الإفك والضلال .

---

(١) « البهائية وسائل وغايات » د . طه الدسوقي ص ١٩ .

ثانيًا : البهائية

نشأة البهائية ومؤسسها :

بعد قتل « الباب » وإعدامه رميًا بالرصاص قام بالأمر من بعده أحد أتباع الباب بل هو الرجل الثاني في البابية واسمه : حسين علي بن عباس بزرك النوري الملقب بالبهاء وأحد الذين حضروا مؤتمر « بدشت » حيثُ كان أهم أهداف المؤتمرين هو الدعوة إلى نسخ الشريعة الإسلامية .

ولد « البهاء » بمدينة طهران سنة ١٢٣٣هـ /١٨١٧م . وقد ورث زعامة أسرته بعد موت أبيه الذي كان يعمل في وظيفة « مأمور مالية » ، وعمره ــ آنذاك ــ إثنان وعشرون عامًا .

ولم ينل من التعليم إلاّ ما لقنه المعلمون في المنازل من مبادىء العلوم المتاحة في عصره . وكان يجاهر بإنكاره الاطلاع والقراءة ، والوقوف على معارف عصره وتوجه « البهاء » إلى التصوف القائم على « الحلول » يتعلم من شيوخه أسراره ورموزه .

وعكف « البهاء » على هذا النوع من المعرفة يتدبر كتبها ويستوعبها ، ويعيش في « غنوصها » (١) وما تدعو إليه (٢) .

وحسين علي الملقب « بالبهاء » كان له أخ اسمه يحيى علي ، وكان يلقب « بصبح الأزل » . وقد استخلف هذا الأخير قبل موته وكتب بذلك وصيته وختمها ،

---

(١) **الغنوص** : هو المعرفة عن طريق (الحدْس) وتقبل المعرفة المحاطة بالأسرار . ولا شك أن هذا النوع من المعارف إنما يقوم على الخرافة والأساطير . لإقامة (الوجدان) الشخصي مقام العقل والدين . والغنوص : دستور كل فكر ضال لأنه (ذاتي) في الجانب العقائدي وما زال يعمل إلى اليوم تحت أجنحة متعددة .. و (الغنوصية) خليط من المسيحية والفلسفة والأساطير الفارسية والهندية واللاهوت اليهودي والفلسفة الإغريقية . انظر ص ٢٥٠ د . عبد الرحمن بدوي / التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ـ بيروت .

(٢) انظر : « البهائية » أ . محب الدين الخطيب ص ١٦ نشر المطبعة السلفية بمصر ١٩٧٣م بتصرف .

وفي نفس الوقت عين « الباب » ـ قبل إعدامه ـ حسين علي « البهاء » وكيلاً عنه وأوصاه أن يخفي أخاه حفاظًا عليه .

وقد بالغ « البهاء » في إخفاء أخيه « صبح الأزل » حتَّى أخفاه نهائيًا بعد محاولة كل منهما تكفير الآخر ودس السم للآخر ! .

ونشط « البهاء » في جمع البابية حوله وساعده اليهود والمستعمرون على ذلكَ ، فادعى الرسالة ، بل ادعى الألوهية ، وأنه أنزل عليه كتاب سماوي خاص به ناسخ لما قبله من الشرائع سماه « الأقدس » ، وأطلق على نفسه لقب « الذكر » ، مدعيًا أنه المراد في قوله تعالى : ﴿ **إنَّا نحنُ نَزَّلنَا الذكرَ وَإنَّا له لحافظونَ** ﴾ (١) .

ثُمَّ سمى نفسه « جمال القوم » و« الحق » أما لقب « بهاء اللَّه » فقد قدمه له اليهود أخذا من أسفار العهد القديم « التوراة » خاصة « مزامير داود » (فقد وجدت فيها « ترنيمات » عن بهاء اللَّه . فقد ورد فيها « إن السموات تحكى عن بهاء اللَّه » وقد خلعت اليهود عليه هذه الصفة فاستحسن اللقب وصار بهاء اللَّه ، وهو لعنة شيطانية) (٢) .

لقد صار لقب البهاء علمًا عليه وعلى فرقته الضالة المفتونة .

وقد عاون البهاء في ضلالة ولده « عباس » الذي لقب بلقب الإلحاد « عبد البهاء » ، وهو صورة من أبيه مخادع ماكر أفاك أثيم .

لقد أمهل اللَّه البهاء كثيرًا ومدله في أسباب التوبة فلم يرجع عن ضلاله وغيه : اتهم بالاشتراك في مؤامرة لاغتيال ناصر الدين شاه « ملك إيران » انتقامًا لإعدام الباب ، وتدخل السفير الروسي وتم العفو عنه ، ثُمَّ نفى إلى العراق ، ثُمَّ الاستانة ، ثُمَّ

---

(١) سورة الحجر : الآية ٩ .

(٢) « خطر البابية والبهائية » د . مصطفى غلوش ص ٩١ (مرجع سابق) .

أدرنة ، ثُمَّ إلى سجن « عكا » بفلسطين ١٨٦٨م ، ثُمَّ أفرج عنه فانتقل إلى « البهجة » من قرى عكا ، كل هذه الأحداث وغيرها لم تغير من عقلية البهاء الإجرامية ، ولم توقف أطماعه وشهواته عند حد ، (وقد تدخلت القدرة الإلهية فسلبت عقله وتركته لا يميز بينَ النَّار والنور ، ولا يدرك الفرق بينَ الأبيض والأسود ، ولا يسيطر على كلمة يقولها فانحدر بذلك إلى مرتبة « الحيوان الأعجم » ، فاضطر ولده « عباس » إلى حبسه حتَّى لا يراه النَّاس ، وتحدث باسمه فترة مرضه الجنوني . ثُمَّ ابتلاه اللَّه ﷻ بالحمى فهلك غير مأسوف عليه في عام ١٨٩٢م) [١] .

لقد أخذه اللَّه أخذ عزيز مقتدر بعد أن قضى أربعة وعشرين عامًا في فلسطين يخدم أطماع اليهود ويساعد في رفع رايات الصهيونية .

أخطر عقائد البابية والبهائية وموقف الإسلام منها

أولًا : الإلهيات :

يعتقد البابيون والبهائيون بألوهية « الباب » و« البهاء » ، وأنهما منزهان عن الأخطاء والزلات .

فالبابيون يعتقدون أن ذات اللَّه تعالى حلت بالباب ، وهم بذلك يرفعون الباب بالحلول إلى مرتبة الألوهية ! .

فيقولون عنه : (إنه هو « أي الباب » الذي أوجد كل شيء بكلمته ، والمبدأ الذي ظهرت عنه جميع الأشياء فهو : أرفع مراتب الحقيقة الإلهية « الذات الإلهية » التي

(١) « البهائية » د . طه الدسوقي ص ٧٣ (مرجع سابق) .

حلت في شخصه حلولاً ماديًا وجسمانيًا) [١] .

وعلى هذا فالباب هو الذي خلق كل شيء بكلمته ، وهـو المبـدأ الـذي ظهرت عنه جميع الأشياء .

(وادعت البهائية ألوهية البهاء ؛ لأنها تزعم أن الحقيقة الإلهية لا بد لها من التعين في جسد بشري [٢] ، وأنها تظل تنتقل من جسد إلى جسد حتّى تبلغ كمـا لهـا الأعظـم في هيكل إنساني يكون هو أعظم هياكلها أو تجسداتها أو تناسخها . وأن الميرزا حسين علي النوري « البهاء » هـو هـذا الجسـد البشـري الـذي تجسـدت فيـه الحقيقـة الإلهيـة بكمالها الأعظم وأنه المقصود بقوله تعالى : ﴿ **وَجَآءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾ [٣] .

وأنه قيوم الوجود أولاً وآخرًا ، وهو الروح الإلهي الذي كان يوحـي إلى الأنبيـاء والرسل ، وأنه هو اللّه الـذي كلـم موسـى ورفـع عيسـى وأنـزل القـرآن علـى محمـد . أما هؤلاء الأنبياء فلم تكن لهم مهمة إلاّ التبشير بظهـور اللّـه في جسـد البـاب وإعـداد القلوب وتهيئتها لقبول تجلى اللّه الأتم الأكمل الأبهى في الميرزا النوري ....

كما تزعم البهائية أن البهاء خالق لكل شيء !!

يقـول البهـاء عـن نفسـه : (إنـه لا شـريك لـه في ملكـه أو حكمـه ، وأن كـل ما سواه مخلوق بكلمته وأمره وليس لأحد مـن حركـة أو سـكون إلاّ بإذنـه ؛ لأنـه هـو الحاكم الآمر العليم الخبير !!) [٤] .

---

(١) « العقيدة والشريعة في الإسلام » ـ جولد زيهر ص ٢٤٣ .

(٢) فقد جاء على لسان البهاء : إن اللّه لا يتحقق وجوده إلاّ مرئيًا في هيكل بشرى ..!! . راجع ص ٢٢ من كتاب « مكاتيب » لعبد البهاء .

(٣) سورة الفجر : الآية ٢٢ .

(٤) « انظر التيارات المعاصرة » د . علي حسن ص ٧٩ ـ ١٨١ (مرجع سابق) .

وانظر أيضًا ص ٢٠٨ من كتاب « مكاتيب » لعبد البهاء وكذلك كتاب : الإشرافات للبهاء ص ١٠ ، ١٤٤ .

وعلى هذا فالإله عند البابية والبهائية لا وجود له إلاَّ في جسد بشرى ، وهذا ناتج عن قولهم بالحلول والاتحاد .

وهم يرتبون الحلول الإلهي ترتيبًا جسديًا وزمانيًا .

فالباب يقول عن نفسه : (كنت في يوم نوم نوحًا . وفي يوم إبراهيم إبراهيم . وفي يوم موسى موسى ، وفي يوم عيسى عيسى ، وفي يوم محمد محمدًا ، وفي يوم عليّ - قبل نبيل [١] ـ عليًا ، ولأكونن في يوم من يظهره اللَّه من يظهره اللَّه ، وفي يوم من يظهره اللَّه من يظهره اللَّه من بعد من يظهره اللَّه إلى آخر الذي لا آخر له ، أول الذي لا أول له ... !! كنت في كل ظهور : حجة اللَّه على العالمين) [٢] .

والبهائيون يقولون : إن لله مظاهر على الأرض ، وله تجليات في عالم الوجود على الكائنات الجسمانية ، وأن إشراقات هذا الظهور ومجالات هذا التجلي هم المرايا الحقيقية للذات « الأحدية » . معنى هذا أن اللَّه قد تجلى على « الباب والبهاء » كما تجلى نور الشمس في المرآة .

أي أن اللَّه هو الشمس ، والباب والبهاء هما المرايا التي سطعت بتجلي اللَّه [٣] .

ـ موقف الإسلام من هذه العقيدة :

نريد أولاً أن نوضح مفاهيم (الاتحاد والحلول ووحدة الوجود) عند القائلين بها حتّى يتضح لنا الأساس الذي بنى عليه البابية والبهائية عقيدتهم وأقوالهم الباطلة .

---

(١) والمقصود (بنبيل) هنا محمد ﷺ فهو اصطلاح شيعي . راجع خطر البابية والبهائية ص ٦١ (مرجع سابق) .

(٢) « التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية » (دراسة استشراقية) ترجمة د . عبد الرحمن بدوي ص ٢٣٨ ، ط ٤ ، دار القلم بيروت .

(٣) « أضواء على البهائية » صالح عبد الحي وأمينة الصاوي ص ١٠٧ ، ١٠٨ دار مصر للطباعة .

١ ـ مفهوم الاتحاد :

أن يتحد الإنسان مع الله ويتصف بالصفات الإلهية .

قال به بعض الفلاسفة : (قال : إذا عقل العاقل شيئًا اتحد بذلك المعقول وإذا عقل الأشياء اتحد بالعقل اتحاد انفعال فصار هو مع العقل انفعال واحد .

وأيضًا قالت النصارى به حين قالوا : اتحدت الأقانيم الثلاثة : الأب والإبن وروح القدس واتحد ناسوت المسيح باللاهوت [١] . وأيضًا قال بعض المتصوفة من المسلمين به حيثُ قالوا : إذا وصل العارف نهاية مراتبه انتفى تعينه وصار الموجود هو الله ، ويقولون لتلك المرتبة : الفناء في التوحيد .

ودلل الإمام الرازي على أنه تعالى لا يتحد بغيره : لأنه تعالى حال الاتحاد إن بقيا (أي الله وغيره) موجودين فهما اثنان لا واحدًا .

وإن صار (أي الله وغيره) معدومين فلم يتحدا بل عدما وحدث ثالث (الذي أعدمهما) . وإن عدم أحدهما وبقي الآخر فلم يتحدا ؛ لأن المعدوم لا يتحد بالموجود) [٢] .

إن المفهوم من لفظ الاتحاد أنه امتزاج واختلاط كامتزاج اللبن بالماء وهو ظاهر البطلان ؛ لأن الامتزاج يتم بينَ حادثين أما القديم فلا يجوز امتزاجه بغيره ليصيرا شيئًا واحدًا .

---

(١) النصارى يعتقدون ألوهية المسيح وبشريته في آن واحد ! فاللاهوت هو الجانب الإلهي والناسوت هو الجانب البشري .

(٢) « محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلين » لفخر الدين محمد بن عمر الرازي وبذيله « تلخيص المحصل » لنصير الدين الطوس ، مراجعة طه عبد الرؤف سعد ص ١٥٦ ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية بمصر .

فإن قال البهائيون إن الاتحاد الذي نعنيه إنما هو من جهة انطباع الصورة في المرآة فهو قول باطل كذلك ؛ لأن صورة « الباب والبهاء » صورة بشرية معروفة ، وصورتهما ليست صورة اللّه تعالى الذي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [1] فضلاً عن استحالة انتقال الصفات من موصوف إلى آخر .

٢ ـ *مفهوم الحلول* :

ذهب بعض النصارى إلى حلول اللّه تعالى في المسيح .

وبعض المتصوفة إلى حلوله في العارفين الواصلين .

والمعقول من الحلول عند الجمهور : قيام موجود على سبيل التبعية بشرط امتناع قيامه بذاته . والحلول بهذا المعنى محال على واجب الوجود بذاته (اللّه تعالى) ... والحق أن حلول الشيء لا يتصور إلاَّ إذا كان الحال بحيث لا يتعين إلاَّ بتوسط المحل ، ولا يمكن أن يتعين واجب الوجود بغيره ، فإن حلوله في غيره بهذا الوجه محال [2] .

إن القول بالحلول يصف اللّه تعالى بالإحتياج والتحيز ـ تعالى اللّه عن ذلكَ علوًا كبيرًا ـ . و« البهائية » لا ترى غضاضة في القول باحتياج الخالق إلى الخلق : فهم يقولون : (إن اللّه لا يستطيع أن يعمل إلاَّ وهو حال في بدن . وأنه لا يحل من بدن لأن مظاهر جماله لا يعرف لها بداية ... !!) [3] .

ألا ما أضعف إله البهائية وأعجزه ! ذلكَ الإله الذي يبحث عن جسد بشرى يقبله !! .

ولو سلمنا جدلاً إمكانية حلول الإله في جسد « الباب والبهاء » فلم لا يكون

(١) سورة الشورى : الآية ١١ .

(٢) « تلخيص المحصل » للعلامة نصير الدين الطوسي ص ١٥٧ (مرجع سابق) .

(٣) « البهائية » : عبد الرحمن الوكيل ص ١٥٣ (مرجع سابق) .

ذلكَ ممكنًا لجميع الأجساد والنفوس ؟ ! ومعنى ذلكَ أن يصبح العالم كله آلهة ! (فمن المحال أن يحل اللَّه في النفس وأن ينطبع فيها انطباع الخمر في اللبن ، فإن ذلكَ من صفات الأجسام) (١) .

٣ ـ مفهوم وحدة الوجود :

معناها : عدم التعدد في الوجود . فاللَّه والعالم بكل ما فيه شيء واحد ، وأنه لا يوجد شيئان أحدهما واجب لذاته كامل الوجود وعلة موجدة للغير ، وآخر ممكن ناقص يستمد وجوده من الغير (٢) .

وهذا المفهوم لوحدة الوجود يخالف ما قال به المسلمون من فلاسفة وعلماء (٣) ومتكلمين . أما الفلاسفة فيذهبون إلى أن (الموجود إما أن يكون واجب الثبوت لذاته وهو اللَّه تعالى . وإما أن يكون ممكن الوجود لذاته ، وهو كل ما عداه .... والوجوب بالذات لا يكون مشتركًا من اثنين ، وإلاَّ لكان هو مغايرًا لما به يمتاز كل واحد منهما عن الآخر فيكون كل واحد منهما مركبًا (وكل مركب ممكن) ..

.. والممكن لذاته هو الذي لا يلزم من فرض وجوده ، ولا من فرض عدمه من حيثُ هو محال ، فالممكن لا تقتضي ذاته وجودًا ولا عدمًا ، وإنما وجوده وعدمه سواء ، فهو يستمد وجوده أو عدمه من غيره) .

وأما المتكلمون فيقولون : الموجود : إما أن يكون قديمًا أو حديثًا .

أما القديم فهو لا أول لوجوده وهو اللَّه ﷻ .

---

(١) « دراسات في الفلسفة الإسلامية » د . محمود قاسم ص ٨٨ ، ط دار المعارف .

(٢) « معالم الفلسفة الإسلامية » . محمد جواد مغنية ص ٣٣ ، مكتبة دار الهلال بيروت .

(٣) فقد ذهب علماء المسلمين إلى القول بأن الاعتقاد بوحدة الوجود يترتب عليه إسقاط صفة الربوبية لأنه لا يتصور رب دون مربوب ، وإسقاط صفة الخالق لأنه لا يتصور خلق ولا خالق . كما يلزم أيضًا المساواة بينَ النّاس مؤمنهم وكافرهم وسقوط التكاليف الشرعية وذلك يؤدي إلى الكفر الصريح .

والمحدث (هو الذي لوجوده أول ، وهو ما عدا اللّه) [١] .

إن وحدة الوجود تنافي وترفض الإثنينية في الوجود ، وترجع بالقائلين بها إلى معتقدات هندية فاسدة ، ومذاهب صوفية مضللة ، وآراء فلسفية ساقطة ، وقد تأثرت البهائية بهذا كله وشربت من معينه ، فاعتقدت أن « البهاء » هو المظهر الأكمل للروح الإلهية التي تجسدت في شخص « البهاء » لإنقاذ البشرية .

يقول داعية البهائية الأكبر « أبو الفضل الجرفادقاني » : (نحن معاشر الأمة البهائية نعتقد بأن مظاهر أمر اللّه [٢] ومهابط وحيه هم بالحقيقة مظاهر جميع أسمائه وصفاته ومطالع شموس آياته وبيناته . وأن اللّه ـ تعالى ـ ليس له وجود الآن مدة حياة البهاء إلاّ بظهور في مظهر البهاء) [٣] . ﴿ **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا** ﴾ [٤] .

لقد كذب العقلاء كل من ادعى الألوهية على مر العصور . ولم يستجب لهذا الادعاء إلاّ الجهلة من العوام والسفهاء من النّاس وأصحاب الأطماع والأهواء ، وصدق اللّه إذ يقول عن فرعون مصر أحد المدعين للألوهية ﴿ **فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ** ﴾ [٥] .

وينفي القرآن نفيًا قاطعًا صدور دعوى الألوهية من نبي قط ؛ لأنه لا يصح أصلاً ولا يتصور عقلاً . فقال تعالى : ﴿ **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ**

---

(١) « انظر المحصل » للرازي ص ٦٥ ، ٦٨ ، ٨٢ بتصرف (مرجع سابق) .

(٢) (أمر اللّه) مصطلح بهائي معناه (ظهور الإله) . انظر : « البهائية » لعبد الرحمن الوكيل ص ٢٩١ .

(٣) « تهافت البابية والبهائية » د . مصطفى عمران ص ١١٥ وما بعدها .

(٤) سورة الكهف : الآية ٥ .

(٥) سورة الزخرف : الآية ٥٤ .

تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿ وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُسْلِمُونَ ﴾ (١).

ثانيًا : النبوات :

لم يكن غريبًا على من ادعى الألوهية أن يدعى النبوة .

فقد زعم « الباب » أنه جاء ناسخًا لشريعة محمد ﷺ وأحكامها نسخًا مطلقًا ، وأن من كان على هذه الشريعة الإسلامية فهو على حق حتّى ليلة ظهوره « الباب » بالنحلة البابية وهي الساعة الثانية والدقيقة الحادية عشرة من غروب شمس اليوم الرابع ، وأول الليلة الخامسة من شهر جمادي الأولى سنة ١٢٦٠هـ (٢) .

وأتباع الباب يقولون مرة بمهدويته ، وأخرى بنبوته ورسالته ، وأنه شخص اللَّه أو مظهر اللَّه !! .

لقد أعلن عن نسخ الشريعة الإسلامية في « مؤتمر بدشت » وقاد الدعوة إلى الانسلاخ من الإسلام والتبشير بالدين البابي الجديد تلك المرأة البابية الساقطة التي باعت دينها وشرفها وأسرتها ؛ لتبقى على شهواتها وأهوائها والتي تُسمى « قرة العين » فقد صاحت في المؤتمرين بأعلى صوتها (إني أنا الكلمة التي لا ينطق بها القائم السجين ـ الباب ـ والتي يفر منها نجباء الأرض .

لقد نسخت الشريعة المحمدية بظهور الباب) (٣) .

ومن المضحك المبكي تلك الرسالة التي أرسل بها « الباب » إلى الشيخ

---

(١) سورة آل عمران : الآيتان ٧٩ ـ ٨٠ .

(٢) انظر : « تاريخ البابية » د . محمد مهدي خان ص ٣٥١ بتصرف (مرجع سابق) .

(٣) « قراءة في وثائق البهائية » د . بنت الشاطيء ص ٤٣ (مرجع سابق) وانظر : « الكواكب الدرية » ص ٢١٩ .

محمود الألوسي صاحب تفسير « روح المعاني » عن الدين البابي الذي يدعو إليه قال فيها : (من لم يدخل في دين الله ـ أي دين الباب ـ مثله كمثل الذي لم يدخل في الإسلام) (١) .

ولهذا فقد حرم الباب على أتباعه قراءة القرآن الكريم ، فأحرقت المصاحف وذُرَّ رمادها في الهواء . وكيف لا ؟ و« الباب » يقول : (إنني أفضل من محمد ﷺ كما أن قرآني « كتابه البيان » أفضل من قرآن محمد ﷺ .

وإذا قال محمد بعجز البشر عن الإتيان بسورة من سور القرآن ، فأنا أقول بعجز البشر عن الإتيان بحرف مثل حروف قرآني !!) (٢) .

وهكذا نجد « الباب » الذي اختلت عقليته ، وتلوثت سيرته ، وضاعت رجولته وكرامته ، تبلغ به صفاقته إلى حد الادعاء بأفضليته على أكرم الرسل وخاتم النبيين ﴿ **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِمَّا يَكْسِبُونَ** ﴾ (٣) .

ولم يكن « البهاء » أحسن حالاً من « الباب » .

فلم تسلم « النبوات » من عبث البهائية : فقد ادعى البهائيون استمرار النبوة بعد محمد ﷺ ؛ لأنها المظهر الإلهي في كل زمان ومكان ، ويزعمون أن الله لا يعلم ولا يعبد إلاَّ وهو متعين في جسد بشرى ، فإذا لم يوجد المظهر ـ النبي محل الظهور ــ فلا تصدر الأفعال عن الله ، وهذا يستلزم ديمومة وجود النبي حتّى لا يتوقف الوجود الذي هو مظهر الحياة .

(١) « رسائل الإصلاح » للشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر الأسبق جـ ٣ ص ٩٨ .
(٢) « البهائية » .... لعبد الرحمن الوكيل ص ١٢٦ (مرجع سابق) .
(٣) سورة البقرة : الآية ٧٩ .

وعلى هذا فالرسول ـ عند البهاء ـ حقيقة واحدة تتناسخ في الهياكل البشرية فأول الأنبياء هو آخرهم ! [١] .

إن هذا الكلام يسفر عن أمرين :

الأول : استمرار النبوة وعدم ختمها بمحمد ﷺ .

الثاني : أن كل الأنبياء والرسل ذات واحدة ، وإن تعددت أسماؤهم وهذا باطل عقلاً ونقلاً .

ثُمَّ ادعى البهاء النبوة : فهذا هو ابنه عباس الملقب بالبهاء يقول : (وبهاء اللَّه حياته تشهد له أنه هو الموعود في كل الكتب السماوية ، وأن له القدرة على أن يفتح أختام النبوات ، ويسقى النَّاس من رحيق الأسرار الربانية المختوم .

فلتسرع إليه لتسمع بياناته وتتعود التعمق في فحص تلك الكلمات المرموزة والمتشابهة والتي نطق بها الأنبياء منذ القدم .... إن الأخبار عن مجيء الرب في الأيام الأخيرة تنبأ بها منذ القدم جميع الأنبياء وتغنوا بذكرها بأبهى التغنيات) [٢] .

لقد قال « البهاء » باستمرار النبوة ؛ ليفتح الباب لنفسه لادعائها . والنبي عند البهائيين يجمع بينَ البشرية والألوهية ، وبهاء اللَّه هو المسيح قد رجع [٣] وعاد ونزل !! .

يقول البهاء : (قل يا قومي قد جاء الروح مرة أخرى ليتم ما قاله من قبل ...

(١) الإيقان للبهاء نقلاً عن كتاب البهائية تاريخها وعقائدها عبد الرحمن الوكيل ص ٢١٢ (مرجع سابق) .
وانظر : « حقيقة البهائية » د . مصطفى محمود ص ١٣٠ ، ط دار المعارف .

(٢) انظر « التيارات المعاصرة » د . علي حسن ص ١٠٠ ، ١٠١ نقلاً عن كتاب بهاء اللَّه ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٣) تعتبر الرجعة عند البهائية القطب الذي يدور حوله رحى الإرسال والتشريع . ومعنى الرجعة عندهم : رجوع روح اللَّه إلى الشروق من جسد آخر . ورجوع أرواح المؤمنين والكفار السابقين إلى أجساد أخرى وهذا يستلزم القول بالتناسخ والتشبيه والحلول . والقول بالرجعة هو أيضًا عقيدة الرافضة من الباطنية كما مر .

اعلم بأن الذي صعد إلى السماء قد نزل بالحق ، وتم الفضل على العالم وكان ربك على ما أقول شهيد ، وقد تعطر العالم برجوعه وظهوره)[1] .

وهكذا تتضح عقيدة البهائية في النبوة ، وهي متعددة الجوانب كما رأيت نلخصها فيما يلي :

١ ـ استمرار النبوة وعدم ختمها .

٢ ـ الأنبياء والرسل ذات واحدة .

٣ ـ النبي يجمع بينَ البشرية والألوهية .

٤ ـ البهاء نبي .

٥ ـ البهاء هو عيسى بن مريم عليه السلام قد رجع ونزل وعاد .

والبابيون يشتركون في القول بكل هذا عدا ما ادعاه « البهاء » من أنه المسيح المنتظر . وسوف نناقش هذه الجوانب في ضوء العقيدة الإسلامية ؛ لنتعرف على موقف الإسلام من قولهم في النبوة .

أولاً : القول باستمرار النبوة وعدم ختمها .

لا شك أن ادعاء أي إنسان للنبوة بعد محمد ﷺ يعني أن هذا الإنسان ومن تبعه وصدقه يعتقد باستمرار النبوة وعدم ختمها .

ونحن نعلم أن الإسلام دين للناس كافة ، لا يختص بهداية أمة دون أمة ، وهو بعد ذلكَ دين خالد ، لا يخلفه دين ، ولا يطرأ على شريعته نسخ ؛ ولذلك جعل اللّه في آيات صدق رسول الإسلام المبعوث به آية باقية ما بقيت السموات والأرض هي القرآن الكريم . وليس هناك أقوى من دليل يصدق الرسول فيما جاء به وادعاه ، وفي

---

(١) « التيارات المعاصرة » د . علي حسن ٨٩ (مرجع سابق) .

نفس الوقت هو موضوع رسالته !

ومعنى ذلكَ أن الدليل على صدق الرسول باق ومستمر ما بقيت رسالته .

وقد تكفل اللّه بحفظ القرآن الكريم من الضياع أو التحريف وتعهد بذلك في كتابه فقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١) .

فبقى القرآن الكريم محفوظًا بحفظ اللّه له تنهل منه البشرية على اختلاف أجناسها وألوانها ولغاتها وأوطانها . فتعاليمه كافلة لمصالح الإنسان في كل زمان ومكان .

وإذا كانت آية صدق نبينا محمد ﷺ باقية ، ودينه قيمًا ، وشريعته كافلة لمصالح النّاس كافة كلما تجددت العصور ، كان ختمه للنبوة على وفق الحكمة البالغة . قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ ﴾(٢).

وقال ﷺ : «.. **وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبوة** » رواه مسلم ، وقال أيضًا : « **إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي** » رواه الترمذي إلى غير ذلكَ من الأحاديث التي بلغت حد التواتر وتفيد القطع في هذه العقيدة .

والتاريخ شاهد على الأشخاص الذين ادعوا النبوة بعده ﷺ هم أخف النّاس عقولاً ، وأسخفهم قولاً ، وأبعدهم عن الفضل مكانًا وسرعان ما تنكشف سرائرهم ويظهر زورهم ، وتنتهي بالخيبة دعايتهم ولا يبقى من آثارهم سوى القيل والقال . فالباطل وحده جدير بالزوال .

فإن قال البهائيون : إن الذي ختم هو النبوة أما الرسالة فلا ـ بدليل قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الحجر : الآية ٩ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٤٠ .

(٣) سورة الحج : الآية ٧٥ .

فلفظ يصطفى في الآية فعل مضارع يفيد الحال والاستقبال .

ويقولون ختم النبوة في قوله تعالى : ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ** ﴾ (١) هو ختم وقع على النبوة وليس بواقع على الرسالة .. ، كما يؤولون لفظ « خاتم » بمعنى الزينة أي الخاتم الذي يلبس في اليد للتختم به أو للتزين به (٢) .

قلنا :

يفرق علماء العقيدة الإسلامية بينَ النبوة والرسالة (فالرسول : من أمر بإبلاغ ما أوحي إليه . والنبي من أوحى إليه بشيء و لم يؤمر بإبلاغه لاختصاصه به دون غيره من النَّاس . وعليه فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً) (٣) فمقام الرسالة خاص ومقام النبوة عام ؛ لأن النبوة أعم من الرسالة ونفي الأعم يستلزم نفي الأخص . فختم النبوة بمحمد ﷺ يعني نفيها عن أي إنسان يأتي بعده ، ويعني أيضًا نفي الرسالة عن غيره ممن أتى بعده . وجهور المسلمين متفقون على أنه لا نبي ولا رسول بعد محمد ﷺ فقد كمل الدين وأتم اللّه النعمة . قال تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا** ﴾ (٤) .

أما قولهم إن مجيء الاصطفاء في قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ** ... ﴾ الآية بصيغة المضارع ـ الذي يفيد وقوعه في الحال والاستقبال ـ يدل على استمرار الرسالة واختصاص الختم بالنبوة ، فهذا مدفوع بما ذكرنا من أن نفي

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٤٠ .

(٢) انظر : « تسعة عشر ملكًا » لحسن ناجي ص ٤٢ ، « أضواء على البهائية » ص ٦٧ الزهراء للإعلام (مرجع سابق) .

(٣) « عقيدة المؤمن » أبو بكر الجزائري ص ٢٦٩ . الصابوني للطباعة والنشر بمصر .

(٤) سورة المائدة : الآية ٣ .

الأعم يستلزم نفي الأخص ، وأيضًا : فإن الاصطفاء في الآية السابقة جاء بصيغة المضارع ليفيد استمرار قدرة اللّه على الاصطفاء وليس استمرار الاصطفاء .. والقرآن يعبر عن المستقبل بصيغة الماضي كما في قوله تعالى : ﴿ **أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ** ﴾ بمعنى سيأتي . ويعبر عن الماضي بصيغة المضارع كما في هذه الآية ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي** .. ﴾ بمعنى اصطفى ، وهذا التعبير يشير إلى نكتة بلاغية أفادت في الأول تحقق الوقوع وأفادت في الثاني استمرار قدرة اللّه على الاصطفاء بعد ختمها في البشر بمحمد ﷺ حتّى لا يظن أن الختم ناتج عن عجز أو نقص في القدرة الإلهية المطلقة .

أما تأويلهم للفظ ﴿ **خَاتَمَ النَّبِيِّنَ** ﴾ في الآية بمعنى الزينة أي الخاتم الذي يلبس في اليد ، فهو تأويل باطل ، لا سند له من اللغة ، ولا من الشرع .

ذلكَ أن ختم الشيء بمعنى آخره ، وختم القرآن : بلغ آخره (١) ، وخاتم القوم : آخرهم ، وقد أجمع اللغويون والمفسرون على أن معنى خاتم النبيين آخرهم الذي لا نبي بعده ، وحتى لو كانت كلمة ﴿ **خَاتَمَ النَّبِيِّنَ** ﴾ معناها زينة النبيين أو المحيط بهم كشأن الخاتم الذي يلبس في اليد ، فهذا يعني أيضًا أن محمدًا ﷺ زينة الأنبياء فلا يأتي بعده من هو أقل منه ، وأنه محيط بالأنبياء فلا نبي بعده ؛ لأنه يكون خارجًا عن المحيط .

ثانيًا : قولهم : إن الأنبياء والرسل ذات واحدة .

وهذا القول مبني على اعتقادهم بالرجعة ، واعتقادهم بالتناسخ ، والقول بالرجعة والتناسخ هو عقيدة « الرافضة » من الباطنية وعقيدة الشيعة الإثنا عشرية ، وهو أيضًا عقيدة اليهود الصهاينة . وهو مخالف للعقيدة الإسلامية ، ومخالف للعقل السليم .

أما مخالفته للعقيدة الإسلامية فظاهر ؛ لأن النصوص الشرعية الإسلامية تفيد أن

---

(١) « مختار الصحاح » للشيخ عبد القاهر الرازي ص ١٨٨ ، ط الحلبي ١٩٥٠ م .

اللّه خلق الإنسان ونفخ فيه من روحه ، خلق الإنسان الأول « آدم عليه السلام » من الطين مباشرة ، وخلق بني الإنسان من سلالة آدم على طول المدى ، ونفخ في آدم وفي كل إنسان من زريته من روحه تعالى : تدبر قوله تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ﴾ (١) .

إن هذه النفخة التي سرت في أوصال كل إنسان جعلته خلقًا آخر يستحق التأمل العميق ، فهو وسط بلايين البشر على مر العصور ليس نسخة من كتاب واحد ! كلا . إنه كما تختلف بصمات الأصابع وملامح الوجوه تختلف أيضًا المواهب الفكرية والمشاعر النفسية .

إن اللّه الخالق العظيم قد أشرف على كل جنين وتابع أطواره ، حتّى اكتمل وتميز بخصائصه التي تميز بها عمن سواه من المخلوقات تدبر قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ (٢) .

إن الإنسان الذي جاء إلى الدنيا عاريًا ، وتقلب فيها ما شاء اللّه له أن يتقلب يتركها كما جاءها لا يحمل من مادياتها شيئًا ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ (٣) ـ فهو راجع إلى اللّه ليحاسبه على

(١) سورة السجدة : الآيات ٧ ـ ٩ .

(٢) سورة المؤمنون : الآيات ١٢ ـ ١٦ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ٩٤ .

ما قدم من عمل .

وقد أفادت النصوص الشرعية أن الموتى لا يرجعون إلينا ، والكافر والمؤمن في ذلكَ سواء ، تدبر قوله تعالى : ﴿ حتّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ ... ﴾ الآية (١) .

والروح مخلوقة لله ﷻ فهي محدثة مع حدوث جسدها .

قال تعالى :﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾(٢) .

وقوله تعالى لزكريا ﵇ : ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ (٣) .

والإنسان اسم لروحه وجسده ، والخطاب لزكريا خطاب لروحه وجسده معا .

إلى غير ذلكَ من النصوص والأدلة الشرعية التي يضيق المقام عن ذكرها .

ويتكلم ابن أبي العز الحنفي في « شرح الطحاوية » عن مستقر الأرواح بعد الموت ثُمَّ يقول : (وقالت فرقة : مستقرها بعد الموت أبدان أخر تناسب أخلاقها وصفاتها التي أكتسبتها في حالة حياتها ، فتصير كل روح إلى بدن حيوان يشاكل تلك الروح وهذا قول التناسخية منكري المعاد . وهو قول خرج عن أهل الإسلام كلهم) (٤) .

وأما مخالفة قولهم للعقل فنوضحه بإيجاز يناسب المقام .

ونريد أن تنبه في البداية إلى اختلاف النّاس في مُسمَّى النفس والروح : هل هما

---

(١) سورة المؤمنون : الآيتان ٩٩ - ١٠٠ .

(٢) سورة الدهر : الآية ١ .

(٣) سورة مريم : الآية ٩ .

(٤) « شرح الطحاوية » لابن أبي العز الحنفي ٢/ ١٦٧ تحقيق عبد الرحمن عميرة ، نشر مكتبة المعارف بالرياض .

متغايران ، أو مسماهما واحد ؟

(فالتحقيق : أن النفس تطلق على أمور وكذلك الروح ، ولكن غالب ما يسمى نفسًا إذا كانت متصلة بالبدن ، وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها .. والذي يدل عليه الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، وأدلة العقل أن النفس جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ، ينفذ في جوهر الأعضاء ، ويسري فيها سريان الماء في الورد ، وسريان الدهن في الزيت ، والنّار في الفحم) (١) .

ونستنتج من هذا ما يلي :

١ ـ التفريق بينَ النفس والروح يكون حسب العلاقة بالجسم خلافًا للفلاسفة ، فعند الاتصال بالجسم تسمى نفسًا ، وعند الانفصال تسمى روحًا .

٢ ـ أن النفس أو الروح جسم وهي حادثة .

وما دامت النفس حادثة فإن حدوثها مشروط بحدوث البدن .

(فالبدن الحادث الذي يتعلق به نفس على سبيل التناسخ لا بد وأن يستعد لقبول نفس أخرى ابتداء ، فيجتمع النفسان على بدنٍ واحد ، وهو محال ؛ لأن كل واحد يجد ذاته شيئًا واحدًا لا شيئين ...

وأيضًا كما يقول العلامة الطوسي : وإذا كان البدنُ مستعدًا للنفس المستنسخ والنفس الحادث تغايرا ، وإن لم يكن مستعدًا لهما بطل التناسخ . وتعلق نفسين ببدن يوجب اختلاف أحواله بأن يحصل المتقابلان معا ، كالنوم ، واليقظة ، والحركة ، والسكون ، وذلك محال بالبديهة) (٢) .

---

(١) ابن أبي العز الحنفي « شرح الطحاوية » ص ١٥٤ ، ١٥٢ (مرجع سابق) .

(٢) انظر : « المحصل » للفخر الرازي ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ (مرجع سابق) .

ولو كانت أرواحنا موجودة قبل أجسامنا في جسم آخر لتذكرنا هذه الحالة . وذلك لم يقل به عاقل قط . فالحاصل أن القول بالتناسخ قول باطل .

ثالثًا : قولهم : النبي يجمع بينَ البشرية والألوهية .

هذا القول مبني على مذهبهم في الحلول والاتحاد وقد أوضحنا بطلانه من قبل . والإسلام يؤكد أن الرسول أو النبي بشر يعتريه ما يعتري سائر الأفراد وإنما هو معصوم فيما يتعلق بالرسالة والتبليغ وما يناسب اصطفاء اللّه له . وهذه العصمة الممنوحة من اللّه إلى النبي أو الرسول لا تجعل النبي إلهًا ولا صانعًا للمعجزات يجريها متى شاء وأين شاء !

بل اللّه يجريها على يديه حسب إرادته تعالى وعلمه وقدرته تصديقًا للنبي في دعواه . فالنبوة لا تخرج النبي عن بشريته . تدبر قوله تعالى : ﴿ **وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا ۞ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا ۞ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً ۞ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً** ﴾ (١) .

لا يتم هذا أو غيره إلاّ بإذن اللّه وإرادته ؛ لأن كل شيء خاضع له وحده ، ولا فضل لأحد من الأنبياء والرسل في وقوع شيء من المعجزات : إذ لا مجال لأي تدخل بشرى ولا فضل لبشر مهما كان ، وإنما الفضل أولاً وآخرًا للواحد القهار .

ولهذا فقد استبعد القرآن صدور دعوى الإلهية من نبي قط . قال تعالى : ﴿ **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا**

---

(١) سورة الإسراء : الآيات ٩٠ - ٩٣ .

لِي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (١) .

رابعًا :

أما عن ادعاء « الباب والبهاء » للنبوة وادعاء « البهاء » أنه عيسى بن مريم قد رجع وعاد . فهذا ادعاء باطل لما تأكد لدينا من ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ وقد مر بك تفصيل الكلام فيه .

وأيضًا فلو كان « الباب أو البهاء » نبيًا مرسلاً من عند اللَّه لأيده اللَّه بالمعجزات الدالة على صدقة في دعواه . فأين المعجزات ؟ ! .

ولكي يهرب البابيون والبهائيون من هذه المواجهة التي تفضح أمرهم قالوا بإنكار المعجزات ، وطعنوا في إعجاز القرآن الكريم باعتباره معجزة رسول الإسلام محمد ﷺ ، و لم يقبلوا من القرآن الكريم إلاَّ ما اعتقدوه بتأويلهم الباطني أنه تبشير بالبهاء !

فنسخ الشرائع هو المعجزة ! وهذا النسخ هو الخارق للعادة !! .

ومعلوم أن كتاب « البيان » للباب ، و« الأقدس » للبهاء ، يحوى كل منهما ألفاظًا وأفكارًا تضحك الثكلى (٢) يضيق المقام عن ذكر أمثلة منها .

أما ادعا « البهاء » أنه المسيح المنتظر فهو محض افتراء لما يلي :

١ ـ بطلان قولهم بالحلول والاتحاد ، وقد مر ذكره .

٢ ـ والعقيدة الحقة في المسيح عيسى بن مريم أن اللَّه رفعه إليه ، وأنه سينزله إلى

---

(١) سورة آل عمران : الآيات ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) **الثكلى** : هي التي فقدت ولدها .

الأرض بنفسه وجسده في آخر الزمان ، وسيكون نزوله كواحد من أمة محمد ولا يوحي إليه بشرع جديد . وهذا يعارض ما ادعاه « البهاء » من أنه جاء بشرع جديد نسخ ما قبله من شرائع سماوية ! .

و« البهاء » فارسي الأصل ، والمسيح من بني إسرائيل وأوصافه غير أوصافه .

وقد جاء في السنة قول الرسول ﷺ : « **والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ...** الحديث »[1] فهل حدث شيء من ذلكَ في أيام البهاء ؟

هل كسر الصليب ؟ وهل قتل الخنزير ؟ وهل وضعت الجزية ؟

وفي حديث آخر : أنه سينزل بينَ المسلمين ـ وهم أتباعه الحقيقيون ـ فيقاتل معهم الصليبيين حتَّى يهزمهم ويسقط دولتهم . فهل حدث هذا ؟

إن المسيح ينزل ليكذب بنفسه من زعموه إلهًا ! .

لا أن يدعي الألوهية كما ادعاها البهاء الماجن المفتون ! .

ثالثًا : السمعيات :

ونقصد بالسمعيات : كل ما يتعلق بالدار الآخرة ومصير الإنسان بعد الموت من أمور اعتقادية .

وقد سمى علماء العقيدة هذا الجانب بالسمعيات باعتبار أنه أخذ بطريق السماع عن نبينا محمد ﷺ الصادق الأمين .

ولما كانت البابية والبهائية تدعى نسخ الشريعة الإسلامية وما رأيناه من منهجهم

---

(١) « صحيح البخاري » ، ٥/ ٢٠٥ من « فتح الباري » ط السلفية كتاب « بدء الخلق » باب نزول عيسى بن مريم ، صحيح مسلم بشرح النووي حـ ١ ص ١٣٥ كتاب الإيمان باب (نزول عيسى) ط ١ الشعب .

الذي يقوم على هدم العقيدة الإسلامية فإننا لا ننتظر منهم إيمانًا بالسمعيات كما أقرها الإسلام ، ولكننا نشير إلى ضلالهم أيضًا في هذا المجال حتّى تكتمل أمامنا صورة كفرهم وعدائهم للدين الإسلامي الحنيف .

وأهم أخطر ما قالوا به في هذا الباب : أن الكائنات خالدة وأن الثواب والعقاب للأرواح فقط مع قولهم بتناسخ الأرواح .

فالبعث ـ عند البهائيين ـ (هو اليقظة الروحية في هذه الدنيا فلا عودة بعد الموت ببعث جثماني أو غيره .... وترى البهائية أن الحساب دنيوي ويكون بالفصل بينَ المؤمنين : بتجسد « الإلـه » في البهاء وبين الكافرين بهذا التجسد ... ، وصحف الأعمال هي الصحف السيارة والتي تطبع وتوزع على النّاس في عصرنا الحديث وتعرف باسم « الدوريات » .

ولقاء اللّه ... هو لقاء « البهاء » ؛ لأنه « الإله » في ظلل من الأنوار !

.. والجنّة عند البهائية هي : رياض المعرفة لرموز الكتب الإلهية والتي فتحت في عهد « البهاء » وبواسطته ... ، والنّار هي الحرمان من هذه المعرفة !) [1] .

بهذا البعث والضلال قالت البابية والبهائية ، وهو قول لا يستند إلى دليل صحيح معقول ؛ لأنه يخالف المعقول والمنقول ، ويؤدي إلى عدم الإيمان باليوم الآخر كما أقره الإسلام ، وذلك واضح لكل مسلم لديه إلمام بسيط بتعاليم الإسلام ، ولن نسترسل في ذكر التشريعات التي قالوا بها في الصلاة ، والصوم ، والحج ، والزواج ، والطلاق ، والميراث ، والجهاد إلى آخر ما شرعوه من ضلالات يعف اللسان عن ذكرها . وما قالوا به في أمور العقيدة كاف للحكم بكفرهم وخروجهم من ملة الإسلام فضلاً

---

(١) انظر « خطر البابية والبهائية » د . مصطفى غلوش ص ١٤١ ، ١٤٢ بتصرف (مرجع سابق) وانظر أيضًا « مجموع الألواح » للبهاء ص ٨٩ وكذلك كتاب « الإيقان » للبهاء ص ٥٤ .

عن إظهار كيدهم وعدائهم للإسلام والمسلمين .

الجذور الفكرية لعقائد البابية والبهائية [1]

إن المتأمل في عقائد هذه الحركة يجد أنها قد استقت فكرها وعقيدتها من جملة من المصادر أهمها : ـ

ـ البوذية والبرهمية والزرادشتية والمانوية والمزدكية والفرق الباطنية بوجه عام .

ـ اليهودية والنصرانية والدهرية .

ـ الشيعة والتراث الفارسي قبل الإسلام .

ولقد كان وراء هذه الحركة يساندها في كل خطواتها :

ـ اليهود .

ـ الاستعمار الروسي .

الاستعمار الإنجليزي .

أما عن انتشارها ومواقع نفوذها : فالغالبية العظمى من البهائيين يقطن في إيران . وقليل منهم في العراق وسوريا ولبنان وفلسطين المحتلة .

حكم الإسلام فيها

يرى الإسلام أن « البابية والبهائية » ما هي إلاّ ديانة وضعية . وضعها البشر وصنعوها من ديانات محرفة ونحل باطلة وآراء فلسفية ساقطة ، وأن ما تقول به إنما هو كفر صريح لا يقره عقل ولا منطق ولا دين سماوي صحيح .

إنها مزيج من البوذية والوثنية واليهودية والمسيحية بعد التحريف والتزييف ، ومن اعتقادات الباطنية ، وانحرافات بعض الصوفية . وقد قصد بهذه الديانة الوضعية

تجديد العقائد الباطنية في المجتمع الإسلامي .

والمسلمون ليسوا بحاجة إلى هذه الديانة الوضعية ، أو هذه الخرافة العقلية التي تجافى العلم والمعرفة ، ولا تحترم العقل والفطرة السليمة في الإنسان .

ومما هو جدير بالذكر أن (البهائيين) انقسموا بعد موت رئيسهم إلى فرق عديدة يكفر بعضها بعضًا ، والعداء بينهم أكثر من عدائهم جميعًا لغيرهم . ذلكَ أن الباطل وحده جدير بالزوال لا يصمد أبدًا أمام الحق . ويوم القيامة يوفيهم اللّه جزاء هم الحق ويعلمون أن اللّه هو الحق المبين ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (١) .

(١) سورة الأنعام : الآية ٩٣ .

٦ ـ القاديانية

نشأتها ومؤسسها :

تنسب الطائفة القاديانية إلى مدينة « قاديان » بالهند .

وأحيانًا يطلق عليهم اسم « الأحمدية » نسبة إلى مؤسس مذهبهم : غلام أحمد (١٨٣٩ ـ ١٩٠٨م) الذي ولد بقرية « قاديان » إحدى قرى إقليم البنجاب بالهند والتي تبعد عن « لاهور » عاصمة الإقليم ستين ميلا ، من أسرة تنتمي إلى الأتراك عرفت بالغنى والثراء الفاحش . فقد كان جده (كل محمد) صاحب إمارة في البنجاب تبلغ خمسًا وثمانين قرية ولكنها ضاعت و لم يبق لوالده إلاَّ خمس قرى ، ولكن الاستعمار الإنجليزي رد له بعض القرى مما استجلب ولاء الأسرة لهم . يقول غلام أحمد : (... ثُمَّ رد اللَّه إلى أبي بعض القرى في عهد الدولة البريطانية) [١] وهذا يوضح ولاء أسرته للإنجليز .

اشتغل غلام أحمد منذ صغره بدراسة القرآن والحديث والتعبد والتفكير في أمور الدين ، كما تعلم اللغة الفارسية وقرأ كثيرًا من كتبها ، وكان مولعًا بمطالعة الأسفار القديمة . لكنه لم يتوغل في علوم الدين كما توغل في غيرها ، ورغم كثرة مطالعاته إلاَّ أنه كان في شبابه قليل الذكاء مضطرب الفكر والعقيدة (ولعل ذلكَ راجع إلى الأمراض الكثيرة التي أصيب بها ، فقد أصيب في شبابه بمرض « الهستريا » كما كان مصابًا بنوبات عصبية عنيفة يغمى عليه في بعضها ويخر صريعًا ، كما أصيب بداء البول السكري . فضلاً عن صداع مصحوب بآلام شديدة ظلت تلازمه حياته . وكان دائم الشكوى منها) [٢] .

---

(١) « تبليغ الرسالة » لغلام أحمد القادياني ص ٧٦ .

(٢) « القاديانية نشأتها وتطورها » حسن عيسى عبد الظاهر ص ٥١ مجمع البحوث الإسلامية بمصر .

وقد عبر غلام أحمد القادياني عن حالته فقال : (ذاكرتي سيئة جدًا إلى حد أنني مهما قابلت أحدًا من النّاس مرارًا وتكرارًا أنساه ولا أستطيع الإعراب عما أعاني من فساد الذاكرة من الآلام) (١) .

وقد جرته هذه العلل الصحية إلى تعاطي الكثير من الأدوية والعقاقير ؛ (لتقوية جسمه العليل أهمها : النبيذ الطبي ، والأفيون ، والمسك ، والعنبر ، ويشرب مستحضرات الزرنيخ ، فنتج عن ذلكَ كله اضطرابه العقلي والمرض النفسي ، وكان يعلل نفسيته المريضة على أنها براهين نبوته ! (٢) .

ورغم إدمانه واختلال مزاجه وكثرة أمراضه فقد تطلع إلى الزعامة وطمح في تأسيس ديانة جديدة ، وأن يكون له أتباع وتلاميذ وكيف لا ؟ وقد وجد هو وأتباعه المعونة والمساندة من قبل الحكومات الإنجليزية في مختلف المجالات ؛ لأنها وجدت في شخصية هذا الرجل ضالتها المنشودة في العمل على هدم الإسلام وتمزيق وحدة المسلمين . لقد ألف « غلام أحمد » كتبًا ورسائل ونشرات كثيرة منها :

١ ـ براهين أحمدية ، وهو أشهر كتبه وأضخمها فهو في خمسة أجزاء .

٢ ـ كتاب البرية .

٣ ـ كتاب الأربعين .

٤ ـ حقيقة الوحي .

٥ ـ تبليغ الرسالة .

٦ ـ ضميمة كتاب نزول المسيح .

---

(١) « القاديانية » : أبو الحسن الندوي ، أبو الأعلى المودودي ، محمد الخضر حسين ص ١٩ ط رابطة العالم الإسلامي .

(٢) « القاديانية الخطر الذي يهدد الإسلام » . محمد أحمد عوف ص ٢٨ . دار النهضة العربية .

٧ ـ مكتوبات أحمدية .

إلى آخر ما كتب من كتب تحمل بينَ طياتها الخرافات والأوهام والكذب والتضليل والتلفيق ، وكل هذا يعرض بأسلوب ركيك وعبارة مبتذلة وتكرار ممل ، الأمر الذي يخرجها من مجال البحث العلمي والأصالة العلمية ويدخلها في إطار الشذوذ الفكري والمرض النفسي .

وقد لقي حتفه بمرض « الكوليرا » عام ١٩٠٨م ودفن الكذاب بقريته « قاديان » تشيعه لعنة اللّٰه والملائكة والنّاس أجمعين .

صلتها بالإنجليز وعوامل ظهورها :

لا يخفى أن القاديانية وليدة السياسة الإنجليزية . فقد أقلق بريطانيا ما لقيته من مقاومة في أكبر مستعمراتها « الهند » ، ورأت أن الذي بث روح المقاومة وألهب شعلة الجهاد هم المسلمون المخلصون لدينهم ، فعملوا جاهدين على زعزعة العقيدة الإسلامية في نفوس أهلها . وآثرت أن يقوم بذلك رجل من المسلمين أنفسهم باسم منصب ديني رفيع يجمع حوله المسلمين ويخدم سياسة الإنجليز ويؤمنهم من جهة المسلمين . وقد وجدوا أن « ميرزا غلام أحمد القادياني » هو ذلكَ الرجل الذي يحقق مصالحهم ، فهو رجل مضطرب العقيدة يطمح إلى ديانة جديدة تجلب له أتباعًا ، ويكون له مسجد واسم في التاريخ مثل ما كان لمحمد بن عبد اللّٰه ﷺ .

وقد حماه الإنجليز ومكنوه من نشر دعوته وساندوه بشتى الوسائل ، ودفعوا إليه أناسًا من أجرائها لاتباعه ومناصرته وإعلان الإيمان بدينه الجديد إمعانًا في المكر وحرصًا على هدم الإسلام . وقد حفظ « القادياني » لا سيادة الإنجليز الفضل في ظهوره فكان وفيًا لهم ساهرًا على مصالحهم وتنفيذ مآربهم .

وإذا كان للاستعمار الإنجليزي دور بارز في ظهور « القاديانية » فإن البيئة

الفكرية في الهند لها أيضًا دورها الفعال في ظهور نحلة القاديانية الباطلة . ذلكَ أن الهند ـ منذ القدم ـ موطن للديانات والمذاهب الباطلة تعج بالفوضى العقائدية ، وتغرق في ظلام الكفر والإباحية ، فشرب من هذا المستنقع الآسن القادياني والقديانية ، ثُمَّ تقيؤوا هذا الضلال فيما أسموه بالمراكز الإسلامية التي أنشأوها في أوربا ، وآسيا ، وإفريقيا ، وغيرها . أضف إلى ذلكَ كله ظهور« البابية والبهائية » في هذا الوقت في إيران المجاورة للهند ، وما نتج عن هذا الجوار من تعاون بينَ أعوان الشيطان .

عقائد القاديانية [1]

١ ـ ادعى غلام أحمد القادياني في بادىء أمره أنه داعية إلى الإصلاح وتجديد الدين ، ثُمَّ ادعى أنه المسيح الموعود والمهدي المنتظر ، وأخيرًا ادعى النبوة وأفضليته على الأنبياء ـ عليهم السلام ـ .

والذي يظهر لنا أن الذي ادعاه قبل ادعاء النبوة كان تمهيدًا لادعائها حسب الخطة التي وضعها أعداء الإسلام ، وقام هذا الأفاك بتنفيذها . أما ما ذهب إليه بعض الباحثين الإسلاميين من أن القادياني لم يدع النبوة وإنما دعا إلى الإصلاح وتجديد الإسلام والتوفيق بينَ الأديان ، فهذا مبنى على قولهم فيه قبل ادعاء النبوة سنة ١٩٠٠م ـ ونظرة في (النصوص من كتبه المتأخرة تدل على ادعائه النبوة ، وأنه مات عليها . فقد صرح في مجلة « البدر » القاديانية الصادرة في الخامس من مارس ١٩٠٨م فقال : (دعوانا : أنا رسول ونبي) ،كما قال في جريدتهم « أخبار عام » في رسالة المسيح التي أرسلها إلى محرر الجريدة . وقبل وفاته بثلاثة أيام فقط قال : (أنا نبي وفقًا لأمر اللّه ، وأكون آثمًا إن أنكرت ذلكَ) [1] .

---

(١) انظر « التيارات المعاصرة » . د . علي حسن ص ١٩٦ (مرجع سابق) .

وهذا كذب وافتراء على اللّه . فقد أجمع المسلمون على أن محمدًا ﷺ خاتم النبيين لا نبي بعده . يقول الإمام الزمخشري في تفسيره : (فإن قلت : كيف كان آخر الأنبياء وعيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان ؟

قلت : معنى كونه آخر الأنبياء : أي لا ينبأ أحد بعده ، وعيسى ممن نبىء قبله ، وحين ينزل عاملاً على شريعة محمد ﷺ مصليًا إلى قبلته كأنه بعض أمته [١] .

ويقرر محمد إقبال : أن غلام أحمد ادعى النبوة . وكانت القاديانية ثورة على نبوة محمد ﷺ ومؤامرة على الإسلام ... [٢] .

وقد عرفنا عند الحديث عن « البابية والبهائية » ما يكفي للرد على هذا الكذب والادعاء .

٢ ـ ويعتقد القاديانيون بأن اللّه يصوم ، ويصلي ، وينام ، ويصحو ، ويكتب ويخطيء ، ويجامع ـ تعالى اللّه عن قولهم علوًا كبيرًا ـ .

كما يعتقد القادياني أن الإله الذي يعظمه إنجليزي لأنه يخاطبه باللغة الإنجليزية .

ـ ويعتقدون أن كتابهم منزل واسمه « الكتاب المبين » وهو غير القرآن الكريم .

ـ كما يعتقدون أن « قاديان » كالمدينة المنورة ومكة المكرمة ، بل أفضل منهما وأن أرض « قاديان » حرم ، وأنها هي قبلتهم ، وإليها حجهم .

ـ والقاديانية تحرم الجهاد ، وتقول بالطاعة العمياء للحكومات الإنجليزية ؛ لأنهم أولو الأمر بنص القرآن حسب زعمهم ، ومن لا يلتزم بتعاليم القاديانية فهو كافر !

ـ ثُمَّ هم يبيحون الخمر ، والأفيون ، والمخدرات ، والمسكرات .

---

(١) « الكشاف » للزمخشري ٣/ ٢١٥ ، ط دار النهضة بمصر .

(٢) انظر : « القادياني والقاديانية » . أبو الحسن الندوي ص ١٠ ، ١١ بتصرف الدار العصرية للنشر . جدة .

حكم الإسلام فيها

إن دعوى القاديانية دعوة صادرة عن شهوة نفسية دنيئة ، فهي لا تستند إلى دليل فتكون باطلة .

وأيضًا فهي مخالفة لإجماع المسلمين . يقول الإمام الغزالي : إن الأمة قد فهمت بالإجماع من هذا اللفظ « **لا نبي بعدي** » ، ومن قرائن أحواله ...عدم وجود نبي بعده أبدًا ، وأنه ليس فيه تأويل ولا تخصيص ، ومنكر هذا يكون منكرًا للإجماع [١] .

فالقاديانية وأتباعها أنكروا معلومًا من الدين بالضرورة فهم كفار مآلهم إلى النَّار وبئس القرار .

والقاديانية كشفت عن وجهها حين أنكرت الجهاد لتصبح الشعوب الإسلامية بقرة حلوبًا للمستعمرين يأخذون لبنها ، ويظلمونها في علفها .. وقد قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ** ﴾ [٢] .

(١) « الاقتصاد في الاعتقاد » للغزالي ص ١١٣ ، ط الجندي .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٤٩ .

التصوف
والطرق الصوفيه

التصوف وطرق الصوفية

تمهيد

إن التدين بدين الإسلام يعني التمسك بما أمر اللّه به ، واجتناب ما نهى اللّه عنه ، والتزام سنة نبينا محمد ﷺ ، والخلفاء الراشدين المهديين ، ومن اهتدى بهديهم وسار على دربهم إلى يوم الدين .

قال تعالى : ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾ (٢) .

وهذه الأوامر والنواهي موجودة محفوظة في الكتاب والسنة ، ولذلك حثنا رسول اللّه ﷺ على التمسك بهما بقوله : « **تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب اللّه وسنة رسوله** » رواه مالك في الموطأ .

وفي ظل الكتاب والسنة ربى رسول اللّه ﷺ صحابته الكرام ، فكان قدوة حسنة لهم ولجميع المسلمين إلى يوم الدين ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ** ﴾ (٣) .

وكان خلقه ﷺ القرآن الكريم ، وكان أصحابه الكرام - رضوان اللّه عليهم - نسخًا من هذا القرآن ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ...** ﴾ (٤) .

لقد كان الرسول وصحابته الكرام مثلاً صادقًا وكاملاً للمسلم الحق والإسلام

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٣٢ .

(٢) سورة الحشر : الآية ٧ .

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٢١ .

(٤) سورة الأنعام : الآية ٩٠ .

الصحيح . فمن خالف أعمالهم أو أقوالهم فهو مرفوض مطرود ؛ لأننا مأمورون بالاقتداء بهم ، إذ الحق ما كان عليه ﷺ ، وما كان عليه أصحابه الكرام .

﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُواْ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [1] .

وعلى هذا . فالكتاب والسنة وسيرة الرسول وصحبه الكرام هي المعيار الحق للحكم على أعمال الخلف من المسلمين ، فما وافق الكتاب والسنة وفعل الرسول وصحابته نحكم عليه بالصحة والصواب ، وما كان مخالفًا يحكم عليه بالفساد والبطلان ، ذلكَ أن « **أحسن الكتاب كتاب اللّه ، وخير الأمور أوسطها ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النّار** » رواه أبو داود ... ، وصح عن رسول اللّه ﷺ قوله : « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ** » متفق عليه .

وهذا المعيار الذي ذكرنا نبه عليه كثير من العلماء ، وحثوا على الأخذ به ، والاحتكام إليه في جميع الأمور .

يقول الإمام أبو إسحاق الشاطبي : (**والثاني** : إن الشريعة جاءت كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان ؛ لأن اللّه تعالى قال فيها : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا** ﴾ .

وفي حديث العرباض بن سارية : وعظنا رسول اللّه ﷺ موعظة ذرفت منها الأعين ، ووجلت منها القلوب ، فقلنا : يا رسول اللّه ، إن هذه موعظة مودع فما تعهد إلينا ؟ قال : « **تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، ولا يزيغ عنها**

---

(١) سورة يوسف : الآية ١٠٨ .

بعدي إلاَّ هالك ، ومن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي » الحديث .

وثبت أن النبي ﷺ لم يمت حتَّى أتى ببيان جميع ما يحتاج إليه في أمر الدين والدنيا ، وهذا لا مخالف عليه من أهل السنة .

فإذا كان كذلك فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقاله : إن الشريعة لم تتم ، وأنه بقى منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها ؛ لأنه لو كان معتقدًا لكمالها وتمامها من كل وجه ، لم يبتدع ولا استدرك عليها . وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم .

قال ابن الماجشون : سمعت مالكًا يقول : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا خان الرسالة ؛ لأن اللَّه يقول : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾ فما لم يكن يومئذ دينًا ، فلا يكون اليوم دينًا .

والثالث : إن المبتدع معاند للشرع ومشاق له لأن الشارع قد عين لمطلب العبد طريقًا خاصة على وجوه خاصة ، وقصر الخلق عليها بالأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، وأخبر أن الخير فيها وأن الشر في تعديها ـ إلى غير ذلكَ ؛ لأن اللَّه يعلم ونحن لا نعلم ، وأنه إنما أرسل الرسول ﷺ رحمة للعالمين . فالمبتدع رادّ لهذا كله ، فإنه يزعم أن ثَمَّ طريقًا آخر ، ليس ما حصره الشارع بمحصور ولا ما عينه بمتعين ، كأن الشارع يعلم ونحن أيضًا نعلم ، بل ربما يفهم من استدراكه الطرق على الشارع أنه علم ما لم يعلمه الشارع .

وهذا إن كان مقصودًا للمبتدع ؛ فهو كفر بالشريعة والشارع ، وإن كان غير مقصود ، فهو ضلال مبين .

وإلى هذا المعنى أشار عمر بن عبد العزيز ﷺ ، إذ كتب له عديّ بن أرطاة

يستشيره في بعض القدرية فكتب إليه : (أما بعد ، فإني أوصيك بتقوى اللّه والاقتصاد في أمره واتباع سنة نبيه ﷺ ، وترك ما أحدث المحدثون فيما قد جرت سنته وكفوا مؤنته ، فعليك بلزوم السنة ، فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق ، فارض لنفسك بما رضى به القوم لأنفسهم ، فإنهم على علم وقفوا ، وببصر نافذ قد كفوا ، وهم كانوا على كشف الأمور أقوى ، وبفضل كانوا فيه أحرى . فلئن قلتم أمر حدث بعدهم ، ما أحدثه بعدهم إلاَّ من اتبع غير سنتهم ، ورغب بنفسه عنهم ، إنهم لهم السابقون ، فقد تكلموا منه ما يكفي ، ووصفوا منه ما يشفي ، فما دونهم مقصر ، وما فوقهم محسر ، لقد قصر عنهم آخرون فقلوا ، وأنهم بينَ ذلكَ لعلى هدى مستقيم) ثُمَّ ختم الكتاب بحكم مسألته .

فقوله : (فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما في خلافها) فهو مقصود الاستشهاد .

والرابع : إن المبتدع قد نزل نفسه منزلة المضاهي للشارع ؛ لأن الشارع وضع الشرائع وألزم الخلق الجرى على سننها ، وصار هو المنفرد بذلك ؛ لأنه حكم بينَ الخلق فيما كانوا فيه يختلفون ، وإلاَّ لو كان التشريع من مدركات الخلق لم تنزل الشرائع و لم يبق الخلاف بينَ النَّاس ، ولا احتيج إلى بعث الرسل عليهم السلام .

هذا الذي ابتدع في دين اللّه قد صير نفسه نظيرًا ومضاهيًا حيثُ شرع مع الشارع وفتح للاختلاف بابًا ، وردّ قصد الشارع في الانفراد بالتشريع . وكفى بذلك [1] .

بعد هذا التمهيد المختصر الهام ننتقل إلى دراستنا حول التصوف والصوفية .

---

(١) « الاعتصام » للإمام الشاطبي ص ٤٨ ـ ٥١ مطبعة السعادة بمصر .

- أصل كلمة التصوف :

اختلف الباحثون في أصل كلمة التصوف ، ومصدر اشتقاقها ، وسبب إطلاقها على أهلها .

يقول تاج الإسلام الكلاباذي « من الصوفية » : (قالت طائفة : إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها .

وقال بعضهم : الصوفي من صفت لله معاملته ، فصفت له من الله ﷻ كرامته .

وقال قوم : إنما سموا صوفية ؛ لأنهم في الصف الأول بينَ يدي اللّه ﷻ بارتفاع هممهم إليه ، وإقبالهم عليه ، ووقوفهم بسائرهم بينَ يديه .

وقال قوم : إنما سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول اللّه ﷺ .

وقال قوم : إنما سموا صوفية للبسهم الصوف .

إلى أن قال الكلاباذي : فقد اجتمعت هذه الأوصاف كلها ، ومعاني هذه الأسماء كلها في أسامي القوم وألقابهم ، وصحت هذه العبارات وقربت هذه المآخذ .

وإن كانت هذه الألفاظ متغيرة في الظاهر ، فإن المعاني متفقة لأنها إن أخذت من الصفاء والصفوة كانت صفوية .

وإن أضيفت إلى الصف أو الصفة كانت صَفية أو صُفية ، ويجوز أن يكون تقديم الواو على الفاء في لفظ الصوفية ، وزيادتها في لفظ الصَّفية والصُّفية إنما كانت من تداول الألسن .

وإن جعل مأخذه من الصوف : استقام اللفظ وصحت العبارة من حيثُ اللغة ، وجميع المعاني كلها من التخلي عن الدنيا وعزوف النفس عنها وترك الأوطان ولزوم

الأسفار ، ومنع النفوس حظوظها ، وصفاء المعاملات ، وصفوة الأسرار وانشراح الصدور وصفة للسباق) (١) .

وقال أبو نعيم الأصبهاني م ٤٣٠ هـ في « الحلية » : واشتقاقه من حيث الحقائق التي أوجبت اللغة فإنه (تفعل) من أحد أربعة أشياء : من الصوفانة ، وهي بقلة رعناء قصيرة ، أو من صوفة ، وهي قبيلة كانت في الدهر الأول تجيز الحاج وتخدم الكعبة ، أو من صوفة القفاء ، وهي الشعرات النابتة في متأخره ، أو من الصوف المعروف على ظهور الضأن (٢) .

ويقول أبو العباس أحمد بن زروق « من أعلام الصوفية » : وقد كثرت الأقوال في اشتقاق التصوف ، وأمسى ذلكَ بالحقيقة خمسة :

الأول : قول من قال : من الصوفة ، لأنه مع اللَّه كالصوفة المطروحة لا تدبير له .

الثاني : أنه من صوفة القفا ، للينها ، فالصوفي هين لين كهي .

الثالث : أنه من الصفة ، إذا جعلته اتصاف بالمحاسن وترك الأوصاف المذمومة .

الرابع : أنه من الصفاء ، وصحح هذا القول ، حتّى قال أبو الفتح البستي ـ رحمه اللَّه ـ :

تنازع النَّاس في الصوفي واختلفوا وظنه البعض مشتقًا من الصوف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى صافي فصوفي حتّى سمي الصوفي

---

(١) « التعرف لمذهب أهل التصوف » للكلاباذي ص ٢٨ ــ ٣٤ بتصرف ، تحقيق محمود النواوي ، ط٢، ١٤٠٠هـ بالقاهرة .

(٢) « حلية الأولياء وطبقات الأصفياء » لأبي نعيم الأصبهاني ١/١٧ ، ط ٣ ، دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٠هـ .

الخامس : أنه منقول من الصفة لأن صاحبه تابع لأهلها فيما أثبت اللّه لهم من الوصف ، حيث قال تعالى : ﴿ **يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ** ﴾ وهذا هو الأصل الذي يرجع إليه كل قوله فيه (١) .

ويذكر الإمام القشيري الآراء ويعقب عليها فيقول : (فأمَّا قول من قال : إنه من الصوف ، ولهذا يقال : تصوف إذا لبس الصوف كما يقال : تقمص إذا لبس القميص ، فذلك وجه ، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف .

ومن قال : إنهم منسوبون إلى صفّة مسجد رسول اللّه ﷺ ، فالنسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي .

ومن قال : إنه مشتق من الصفا ، فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة .

وقول من قال : إنه مشتق من الصف ، فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم فالمعنى صحيح ، ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف) (٢) .

وهكذا يتضح لك اختلاف النّاس قديمًا وحديثًا حول معنى التصوف وأصل اشتقاقه ، ونظرة فاحصة في كتاب « الحلية » لأبي نعيم نجده قد ترجم لأكثر من ثمانمائة شخصية صوفية من الرجال والنساء ، وذكر في كل ترجمة معنى أو أكثر من معنى التصوف يختلف عن السابق أو اللاحق ، وهذا يدلنا على مدى الاختلاف الواقع في أصل لفظة التصوف واشتقاقها الأمر الذي دعا أحد الصوفية القدماء (علي الهجويري عام ٤٦٥هـ) إلى القول : (إن اشتقاق هذا الاسم لا يصح من مقتضى اللغة

---

(١) « قواعد التصوف » . لابن زروق ص ٢٩٣ ، ط ٢، ١٣٩٦ هـ بالقاهرة .

(٢) « الرسالة القشيرية » لأبي القاسم عبد الكريم القشيري ٢/٥٥٠ ، ط حسان بالقاهرة ١٩٧٤ م .

في أي معنى ؛ لأن هذا الاسم أعظم من أن يكون له جنس ليشتق منه) [١] .

وإلى مثل هذا القول ذهب القشيري حين قال : (ليس يشهد لهذا الاسم من حيثُ العربية قياس ولا اشتقاق) [٢] .

وربما كانت نسبة التصوف إلى الصوف هي الأقرب إلى العقل وإلى الاستقامة مع موارد اللغة العربية . يقول الشيخ مصطفى عبد الرزاق : (أما أصل هذا التعبير فالأقاويل فيه كثيرة ، فمن مرجح أنه لفظ جامد غير مشتق كالقشيري .

ومن قائل : إنه مشتق من الصفاء أو الصفو .

ومن قائل : أن اللفظ مأخوذ من الصوف ؛ لأن لباس الصوف كان يكثر في الزهاد .

وقال قائلون : إن الصوفية نسبة إلى الصفة التي ينسب إليها كثير من الصحابة ... لكن النسبة إلى الصفة لا تجيء على الصوفي ، بل على الصفى . وثَمَّ أقوال ضعيفة أخرى ، كالقول بأن الصوفي نسبة إلى الصف الأول ؛ لأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيثُ المحاضرة والمناجاة .

وكالقول بأنهم منسوبون إلى صوفة القفا .

أو منسوبون إلى صوفة بن مروان .

وأرجح الأقوال وأقربها إلى العقل مذهب القائلين بأن الصوفي نسبة إلى الصوف ، وأن المتصوف مأخوذ منه أيضًا ، فيقال : تصوف إذا لبس الصوف) [٣] .

---

(١) « كشف المحجوب » للهجويري ترجمة عربية د . إسعاد عبد الهادي قنديل ص ٢٣٠ ، ط دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٠م .

(٢) « الرسالة القشيرية » لأبي القاسم عبد الكريم القشيري ٢/٥٥٠ ، دار الكتب الحديثة بالقاهرة

(٣) « التصوف » ـ مصطفى عبد الرزاق ص ٥٧ ـ ٦٢ بتصرف ، ط دار الكتاب اللبناني ـ بيروت .

وعمومًا فإن الاختلاف حول معنى الكلمة واشتقاقها لا يعنينا كثيرًا بقدر ما يعنينا دراسة الصوفية كحركة روحية وفكرية نعايشها ونتفحصها في كل أطوارها ، وما يتصل بها من مذاهب وتعاليم .

ـ التصوف وأطواره :

وكما اختلف الصوفية في أصل التصوف واشتقاقه اختلفوا أيضًا في تعريفه . فالقشيري يذكر في رسالته أكثر من خمسين تعريفًا من الصوفية المتقدمين (١) .

وذكر السراج الطوسي في كتابه « اللمع » أن تعريفات التصوف تتجاوز مائة تعريف (٢) ، وليس هذا هو العدد الأخير والكبير في تعريف التصوف ، بل قال السهروردي : (وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول) (٣) .

ومما هو جدير بالذكر أن التعريفات المتعددة للتصوف تنبيء عن علاقته القوية بالإسلام ، وأنه ليس (مستجلبًا إليه من آفاق بعيدة عن الإسلام وإنما المستحدث منه هو هذه التسمية : « التصوف » وما تبعها من أمور نظرية دخلت على حقيقة التصوف العملية فنقلتها إلى وضع نظري فلسفي لم يعرفه السلف الصالح) (٤) .

ولقد كان رسول اللّه ﷺ وصحابته الكرام أزهد خلق اللّه في الدنيا وزخارفها حيث كان أكبر همهم ابتغاء مرضاة اللّه . يرجون لقاءه وثوابه ، ويخافون غضبه وعقابه ، منتهجين منهج القصد والاعتدال غير باغين ولا عادين .

وسار على دربهم ونهج نهجهم التابعون لهم بإحسان ، وأتباع التابعين أهل خير

---

(١) « الرسالة القشيرية » ٥٥١/٢ (مرجع سابق) .

(٢) كتاب « اللمع » للسراج الطوسي ص ٤٧ ، ط دار الكتب الحديثة بمصر .

(٣) « عوارف المعارف » لعبد القادر السهروردي ص ٥٧ ، دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٣هـ .

(٤) « التصوف في الإسلام » : منابعه وأطواره د . محمد الصادق عرجون ص ١١ مكتبة الكليات الأزهرية بمصر .

القرون المشهود لهم بالخيرية والفضل .

وكيف لا ؟ ورسول اللّه أسوتهم وقدوتهم في كل بر وخير .

ثُمَّ خلف من بعدهم خلف أو غلوا في متاع الحياة وزخارفها ، وفتحت عليهم أبواب الترف والرخاء ، وأقبلت عليهم الدنيا بكنوزها وبهجتها . فانغمسوا في زخارفها وملذاتها حتّى الآذان . وكان ذلكَ ردّ فعل عند أقوام آخرين زهدوا في متع الحياة ، ولم يقبلوا على الدنيا بقلوبهم ، وإنما رعوها رعاية تجعلها في خدمة الإيمان والمؤمنين . ولم يمنعهم زهدهم أن يحملوا راية الإسلام ويرفعوها فوق أكثر المعمور من الأرض ، فلم يكن زهدهم كراهية للحياة وتحقيرًا لها أو الهروب من ميادين الكفاح والجهاد فيها ، وعدم الصبر على ابتلاءاتها ، وإنما كان زهد القناعة الواجدة ، وزهد الرضا بما قسم اللّه والصبر عليه في صدق ويقين .

لم يكن زهدًا يدعو إلى الاستكانة للفقر أو الاستسلام للعجز أو يعطل المواهب الإنسانية . وفي عبارة واحدة إنه الزهد الذي يقره ويدعو إليه الشرع .

والنفس الإنسانية واقعة بينَ شراهة الغرائز ومنطق العقل وإشراق الروح ، ولكي تستجيب إلى المنطق العقلي وتتغلب على الشره الغرائزي ، وترقى إلى أفق الإشراق الروحي كان لا بد لها من قوة تؤثر عليها وتلزمها جانب التزكية والطهارة .

وقد شاءت حكمة اللّه تعالى أن تكون هذه القوة ذاتية في الإنسان ، وهو ما يعرف بالضمير .

إذا تربى هذا الضمير في أحضان الدين الصحيح استيقظ داخل النفس الإنسانية ، فاستشعرت مراقبة اللّه ، واستحضرت عظمته ، وعلمه المحيط ، وتمثلت قدرته وقهره وسلطانه ، فيصير للإنسان واعظ من نفسه يأمره وينهاه ، فيتقن عمله كله ويؤديه على

أكمل وجه .

وهذا الإتقان للأعمال كلها هو « الإحسان » الذي بينَ رسول اللّه ﷺ وسيلته في حديث جبريل حين قال : « **الإحسان أن تعبد اللّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** ... » الحديث [١] .

فمن أراد أن يكون من أهل الإحسان في العمل ، فليشعر قلبه أن عين اللّه تراقبه في خلوته وجلوته ، وأنه سبحانه لا تخفى عليه خافية ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [٢] .

فإذا أشعرت نفسك أن اللّه يراقبك بسمعه وبصره راقبته أنت أيضًا بقلبك وفكرك ، وهذه المراقبة القلبية تورثك الاستحياء من اللّه على قدر قربه وهيبته ، فلا تجعله أهون الناظرين إليك ، ولا أقل الحاكمين عليك ، بل ضاعف همتك في التماس رضاه ، حتّى تكون من المخلصين المراقبين للّه .

ولا شك أن مقام المراقبة هذا له شأنه العظيم ، فقد نادى به القرآن وحث عليه فهو مدخل الإخلاص إلى قلوب العابدين .

(ومقام المراقبة مفتاح لجميع المقامات الصوفية ، ينــدرج تحته مقامات : الصبر والشكر ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والإخلاص والحياء ، والرضا ، والتسليم ، والبذل ، والشفقة على الخلق ، وغيرها . وللصحابة ــ رضوان اللّه عليهم ــ في مقام المراقبة منازل خصوا بها تأسيًا برسول اللّه ﷺ .

---

(١) الحديث بتمامه رواه مسلم في كتاب « الإيمان » وكذلك الترمذي ، والنسائي ، ورواه أبو داود في كتاب « السنة » باب « القدر » وهو أول حديث في صحيح مسلم .

(٢) سورة المجادلة : الآية ٧ .

فالصديق كان من شدة مراقبته لله يشم من جوفه رائحة الكبد المشوي ، وكان كثيرًا ما يرى آخذًا بلسانه يجذبه ويقول : هذا الذي أوردني الموارد ...) (١) .

وهكذا كان بقية الصحابة الكرام ـ رضوان اللّه عليهم ـ والتابعون لهم بإحسان ، الذين أخذوا العلم عنهم ، ونهجوا نهجهم في العمل والخلق والسلوك ، فكانوا نماذج مشرفة وأخلاقًا قرآنية متجسدة ، وكان يقول الصحابي المعلم لبعض تلاميذه : لو رآك رسول اللّه ﷺ لسره ذلكَ .

ومقام المراقبة هذا له ثمرته المباشرة وهي « ذكر اللّه » الذي هو أفضل العبادات ، وأشرف الطاعات قال تعالى : ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ** ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ **وَاذْكُر رَّبكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالأَصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ** ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ۞ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّـهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ (٤) .

وقال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّـهِ تَطْمَئِنُّ**

---

(١) انظر : « التصوف في الإسلام » . محمد الصادق عرجون ص ٤٨ (مرجع سابق) .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٥٢ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٢٠٥ .

(٤) سورة آل عمران : الآيات ١٩٠ ، ١٩١ .

الْقُلُوبُ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** ﴾ (٣) .

والمقصود الذكر بمعناه الواسع : فيشمل ذكر اللّه بالقلب ، والفكر في دلائل وجوده تعالى ، وبراهين وحدانيته ، وجلال عظمته بما نصبه في الكون الفسيح من شهود حكمته ، وبديع صنعته ، ومحكم تدبيره ، وعظم فضله وإحسانه .

كما يشمل الذكر باللسان مع يقظة القلب ، وفهم ما ينطق به اللسان ، فيجمع الإنسان بينَ عمل الجوارح وعمل القلب ، ولا يكون ذلكَ إلاّ جمع بينَ العلم بأمور الدين والعمل بها .

وقد ورد في السنة المطهرة أذكار كثيرة تجلب لصاحبها عظيم الثواب ورفيع الدرجات ، منها ما جاء في الحديث المتفق على صحته : « **من قال لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير . كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة . وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلكَ حتّى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلاّ أحد عمل أكثر من ذلكَ** » متفق عليه .

وجاء في الحديث الذي ختم به الإمام البخاري جامعه الصحيح قوله

(١) سورة الرعد : الآية ٢٨ .

(٢) سورة الزمر : الآية ٢٢ .

(٣) سورة الزخرف : الآية ٣٦ .

ﷺ : « **كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان اللّٰه وبحمده ، سبحان اللّٰه العظيم** » .

وعمومًا فكل من أطاع اللّٰه تعالى فقد ذكره .

ولما كان رسول اللّٰه ﷺ وصحابته الكرام ومن تبعهم ونهج نهجهم قد أطاعوا اللّٰه مخلصين له الدين ، وعبدوا اللّٰه حق عبادته في سائر حركاتهم وسكناتهم ، فهم خير من ذكر الله ، ولم ينشغلوا أو يغفلوا عن ذكره تعالى طرفة عين طيلة حياتهم المباركة ، فكانوا القدوة الحسنة ، والمثل الأعلى .

وهكذا فقد قام « التصوف العملي » أو الجانب الأخلاقي في الإسلام على العناصر الثلاث التي ذكرناها ، وهي :

١ ــ الزهد في الدنيا .

٢ ــ مراقبة اللّٰه في السر والعلن .

٣ ــ ذكر اللّٰه تعالى وعدم الغفلة عنه .

وعرفنا أن هذه العناصر الثلاث بمفاهيمها الإسلامية الصحيحة مثلتها حياة الرسول ﷺ وصحابته الكرام ومن نهج نهجهم أكمل تمثيل ، وكان مرجعهم في كل قول أو عمل كتاب اللّٰه وسنة رسوله ﷺ ، لا يخرجون عنهما (حتّى نجم من اتسع وتوسع ، وتحدث وأحدث من العلم في « التصوف » نظريات نقلته إلى « تصوف » نظري له فلسفته وأصوله وقواعده واصطلاحاته ، واختلفت الأنظار ، وكثرت النقول والأقوال ، والخواطر والكلمات ، وبقى من حفظه اللّٰه على السمت الأطيب تحقيقًا لقول رسول اللّٰه ﷺ : « **لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق ، لا يضرهم من خالفهم ، حتّى يأتي وعد اللّٰه** » .

... أما اللون الثاني ــ يقصد التصوف المخالف للكتاب والسنة ــ وهو لون

الزهادة اليائسة والتعبد القاتم ، فهو اللون الوافد من خارج الإسلام مع العقائد الوثنية التي حملتها طوائف الزاحفين إلى ساحة الإسلام ، بقلوب مليئة بالأباطيل ، وهذا كله لا تعرفه طبيعة الإسلام ولا تقره ولا ترضاه مهما تأول المتأولون) [(١)] .

وعمومًا فلم يظهر التصوف كمذهب له مصطلحاته ، وكتبه ، وتعاليمه ، وفلسفته إلاّ في القرن الثالث الهجري وما تلاه .

أخطر المعتقدات عند الصوفية

أما الصوفية التي انحرفت عن الطريق المستقيم ، وخالفت الكتاب والسنة ، فقد ضلت وأضلت بما ذهبت إليه ، وقالت به من معتقدات ليست من الإسلام في شيء .

وسوف نذكر بإيجاز يناسب المقام أهم وأخطر هذه المعتقدات الضالة ، التي تخالف تمامًا عقيدة الإسلام .

أولاً : ادعاؤهم علم الغيب :

فقد نقل عن بعض الصوفية ما يفيد ذلكَ . وإليك أمثلة مما نقل :

١ ـ نقل الكلاباذي عن أبي عبد اللّه الأنطاكي قوله : (إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق ، فإنهم جواسيس القلوب ، يدخلون في أسراركم ، ويخرجون من هممكم) [(٢)] .

(... ومنهم من تجلى اللّه عليه بصفة السمع ، فيسمع نطق الجمادات ، والنباتات ، والحيوانات ، وكلام الملائكة ، واختلاف اللغات ، وكأن البعيد عنه

---

(١) « التصوف في الإسلام » . محمد الصادق عرجون ص ٣٧ ، ٣٨ ، ٧٣ (مرجع سابق) .

(٢) « التعرف لمذهب أهل التصوف » لأبي بكر محمد الكلاباذي ص ٣٣ ، ط٣ بالقاهرة ١٤٠٠هـ .

كالقريب) (١) .

ونقلوا عن الشبلي قوله : (لو دبت نملة سوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء ولم أشعر بها ، أو لم أعلم بها لقلت إنه ممكور بي) (٢) .

ونقل المنوفي الحسيني عن إبراهيم الدسوقي قوله : (إن للأولياء الاطلاع على ما هو مكتوب على أوراق الشجر ، والماء ، والهواء ، وما في البر والبحر ، وما هو مكتوب على صفحة قبة خيمة السماء ، وما في جباه الإنس والجان مما يقع لهم في الدنيا والآخرة) (٣) .

فإن صحت هذه النقول وغيرها مما نقل عنهم ، فهو معارض بما ورد في القرآن في مواضع متعددة تفيد أنه لا يعلم الغيب إلاَّ اللَّه ، ولا يظهر على غيبه أحدًا إلاَّ من ارتضى من رسول (٤) .

ثانيًا : تفضيل الولي على النبي :

فقد نقل عنهم قول بعضهم : (خضنا بحورًا وقفت الأنبياء بسواحلها) (٥) .

ونقل عن بعضهم : (معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب ، وأوتينا ما لم تؤتوه) (٦) .

ونقل عن أبي اليزيد البسطامي قوله :(تا لله إن لوائي أعظم من لواء محمد ﷺ ،

---

(١) « الإنسان الكامل » لعبد الكريم الجيلي ٦٤/١ ، ط ٤ ١٩٨١م .

(٢) « الإنسان الكامل » للجيلي ١٢٢/١ (مرجع سابق) .

(٣) « جمهرة الأولياء » لأبي الفيض المنوفي الحسيني ص ٢٤٢ ، ط الحلبي بمصر .

(٤) انظر في ذلك آيات كثيرة منها : الأنعام / ٥٩ ، هود / ١٠٣ ، النحل / ٦٥ ، الجن / ٢٦ ، ٢٧ إلى آخر ما ورد ذكره في القرآن الكريم بخصوص هذا المعنى .

(٥) « الإبريز لعبد العزيز الدباغ » ص ٢٧٦ ط مصر ، وأيضًا « جمهرة الأولياء » للمنوفي ٢٦٦/١ .

(٦) « الإنسان الكامل » للجيلي ١٢٤/١ (مرجع سابق) .

لوائي من نور تحته الجان والجن والإنس كلهم من النبيين) (١) .

والولي عند بعضهم يعلم علمين : علم الشريعة وعلم الحقيقة ، أي الظاهر والباطن ، أما الرسول من حيثُ هو رسول ، فلا علم له إلاَّ بالظاهر والشريعة ، (فإذا رأيت النبي يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيثُ هو ولى عارف ، ولهذا مقامه من حيثُ هو عارف أتم وأكمل من حيثُ هو رسول أو ذو تشريع وشرع) (٢) .

ثُمَّ قال ابن عربي : (وما يراه أحد من الأنبياء والرسل إلاَّ من مشكاة الرسول الخاتم ، ولا يراه أحد من الأولياء إلاَّ من مشكاة الولي الخاتم ، حتَّى أن الرسل لا يرونه ـ متى رأوه ـ إلاَّ من مشكاة خاتم الأولياء) (٣) .

إلى غير ما ذكر في هذا الباب ، ويدل على أن بعض الصوفية المنحرفة عن الصراط المستقيم ذهبت إلى الكثير من الأقوال الباطلة شرعًا وعقلاً ، وكذا لفظ « خاتم الأولياء » لفظ باطل لا أصل له . وأول من ذكره محمد بن علي الحكيم الترمذي ، وقد انتحله طائفة : كل منهم يدعى أنه « خاتم الأولياء » كابن حمويه ، وابن عربي ، وبعض الشيوخ الضالين بدمشق وغيرها ، وكل منهم يدعى أنه أفضل من النبي ﷺ من بعض الوجوه ، إلى غير ذلكَ من الكفر والبهتان ، وكل ذلكَ طمعًا في رياسة « خاتم الأولياء » لما فاتتهم رياسة « خاتم الأنبياء » ، وقد غلطوا ، فإن « خاتم الأنبياء » إنما كان أفضلهم للأدلة الدالة على ذلكَ ، وليس كذلك « خاتم الأولياء » ، فإن أفضل أولياء هذه الأمة : السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ﷺ ، ثُمَّ عمر ﷺ ، ثُمَّ عثمان ﷺ ، ثُمَّ علي ﷺ ، وخير قرونها القرن الذي بعث فيه النبي ﷺ ، ثُمَّ الذين يلونهم ، ثُمَّ الذين يلونهم .

---

(١) « لطائف المنن والأخلاق » لعبد الوهاب الشعراني ١٢٥/١ ، ط القاهرة .

(٢) « فصوص الحكم » لابن عربي تعليق د . أبو العلا عفيفي ١٣٥/١ ، ط ـ دار الكتاب العربي ، بيروت .

(٣) « فصوص الحكم » لابن عربي ، ص ٦٢ وما بعدها .

و« خاتم الأولياء » في الحقيقة آخر مؤمن تقى يكون في النّاس ، وليس ذلكَ بخير الأولياء ، ولا أفضلهم بل خيرهم وأفضلهم أبو بكر الصديق ﷺ ، ثُمَّ عمر : اللذان ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل منهما [(١)] .

ثالثًا : انتقال صفات اللّه من الرب إلى العبد :

كقول بعض الصوفية : « أنا الحق » .

وقول بعضهم : « سبحاني ما أعظم شأني » .

يقول أبو حامد الغزالي في كتابه « المقصد الأسنى شرح أسماء اللّه الحسنى » بعد أن ذكر ردف كل اسم شرحه تنبيهًا على ما للعباد من حفظ في هذا الاسم : ولقد سمعت الشيخ أبا علي الفارمذي يحكى عن شيخه أبي القاسم ـ قدس اللّه روحهما ـ أنه قال : إن الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافًا للعبد السالك ، وهو بعد في السلوك غير واصل .

وهذا الذي ذكره إن أراد به شيئًا يناسب ما أوردناه فهو صحيح (أي أن تكون الصفة في العبد محدودة ناقصة ، بخلاف الصفة لله فهي مطلقة كاملة) .

ولا يظن به إلاَّ ذلكَ ، ويكون في اللفظ نوع من التوسع والاستعارة . فإن معاني الأسماء هي صفات اللّه تعالى ، وصفاته لا تصير صفة لغيره ، ولكن معناه أنه يحصل له ما يناسب تلك الأوصاف كما يقال : فلان حصل علم أستاذه ، وعلم الأستاذ لا يحصل للتلميذ ، بل يحصل له مثل علمه .

وإن ظن ظان أن المراد به ليس ما ذكرناه فهو باطل قطعًا .

فإني أقول : قول القائل : إن معاني أسماء اللّه صارت أوصافاً له (أي للإنسان

---

(١) « فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية » ٤٤٤/١١ (مرجع سابق) .

القائل) لا يخلوا : إما أنه عنى به غير تلك الصفات ، أو مثلها ، فإن عنى به مثلها ، فلا يخلوا : إما أنه عنى به مثلها مطلقًا من كل وجه ، وإما أنه عنى به مثلها من حيثُ الاسم والمشاركة في عموم الصفات دون خواص المعاني . فهذان قسمان .

وإن عنى به عينها ، فلا يخلو : إما أن يكون بطريق انتقال الصفات من الرب إلى العبد . أولاً بالانتقال فإن لم يكن بالانتقال . فلا يخلو : إما أن يكون باتحاد ذات العبد بذات الرب حتّى يكون هو فيكون صفاته صفاته .

وإما أن يكون بطريق الحلول .

وهذه أقسام ثلاثة وهي : الانتقال ، والاتحاد ، والحلول .

فهذه خمسة أقسام . الصحيح منها قسم واحد ، وهو أن يثبت للعبد من هذه الصفات أمور تناسبها على الجملة وتشاركها في الاسم ، ولكن لا تماثلها تمام المماثلة ..

وأما القسم الثاني : وهو أن يثبت له أمثالها (أي يثبت للعبد مثل صفات الرب) على التحقيق فمحال . فإن من جملتها أن يكون له علم محيط بجميع المعلومات حتّى لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السمَوات ، وأن يكون له قدرة واحدة تشمل جميع المخلوقات حتّى يكون بها خالق السمَوات والأرض وما بينهما ، وكيف يتصور هذا لغير اللّه تعالى ؟! ...

وأما القسم الثالث : وهو انتقال عين صفات الربوبية فهو أيضًا محال لأن الصفات يستحيل مفارقتها للموصوفات وهذا لا يختص بالذات القديمة بل لا يتصور أن ينتقل عين علم زيد إلى عمرو بل لا قيام للصفات إلاّ بخصوص الموصوفات ولأن الانتقال يوجب فراغ المنتقل عنه ... وذلك أيضًا ظاهر الاستحالة .

وأما القسم الرابع : وهو الاتحاد : فذلك أيضًا أظهر في بطلانه ؛ لأن قول القائل إن العبد صار هو الرب كلام متناقض في نفسه ، بل ينبغي أن ينزه الرب سبحانه

عن أن يجري اللسان في حقه بأمثال هذه المحالات .

ونقول قولاً مطلقًا : إن قول القائل إن شيئًا صار شيئًا آخر محال الإطلاق ؛ لأنا نقول : إذا عقل زيد وحده ، وعمرو وحده ، ثُمَّ قيل : إن زيدًا صار عمرًا واتحد به فلا يخلو عند الاتحاد إما أن يكون كلاهما موجودين أو كلاهما معدومين أو زيد موجود وعمرو معدوم أو بالعكس . ولا يمكن قسم وراء هذه الأربع .

فإن كانا موجودين فلم يصر أحدهما عين الآخر ، بل عين كل واحد منهما موجود ، وإنما الغاية أن يتحد مكانهما وذلك لا يوجب الاتحاد فإن العلم والإرادة والقدرة قد تجتمع في ذات واحدة ولا تتباين محالها ، ولا تكون القدرة هي العلم ولا الإدارة ولا يكون قد اتحد البعض بالبعض . وإن كانا معدومين فما اتحدا ، بل عدما ، ولعل الحادث شيء ثالث .

وإن كان أحدهما معدومًا والآخر موجودًا فلا اتحاد . إذ لا يتحد موجود بمعدوم ... فأصل الاتحاد باطل .

وحيث يطلق الاتحاد ويقال هو هو ، ولا يكون إلاَّ بطريق التوسع والتجوز اللائق بعادة الصوفية والشعراء ، فإنهم لأجل تحسين موقع الكلام من الأفهام يسلكون سبيل الاستعارة ، كما يقول الشاعر :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

وذلك مؤول عند الشاعر ، فإنه لا يعني به أنه هو تحقيقًا ، بل كأنه هو ، فإنه مستغرق الهم به ، كما يكون هو مستغرق الهم بنفسه ، فيعبر عن هذه الحالة بالاتحاد على سبيل التجوز .

وعليه ينبغي أن يحمل قول أبي يزيد حيثُ قال : (انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها ، فنظرت فإذا أنا هو) .

ويكون معناه أن من ينسلخ من شهوات نفسه وهواها وهمها فلا يبقى فيه متسع لغير اللّه ، ولا يكون له هم سوى اللّه تعالى .

فإذا لم يحل في القلب إلاّ جلال اللّه وجماله ، حتّى صار مستغرقًا بـه يصـير كأنـه هو ، لا أنه هو تحقيقًا .

وفرق بينَ قولنا : « كأنه هو » ، وبين قولنا : « هو هو » ... ولكن من ليس لـه قدم راسخة في المعقولات ربما لم يتميز له أحدهما عن الآخـر ، فلينظـر إلى كمـال ذاتـه وقد تزين بماتلألأ فيه من حلية الحق ، فيظن أنـه هـو ، فيقـول : « أنـا الحـق » ، وهـو غالط غلط النصارى ، حيثُ رأوا ذلكَ في ذات عيسى عليه السلام فقالوا : « هو الإله ...» ، وقول أبي يزيد إن صح عنه : « سبحاني ما أعظم شأني » إمَّا أن يكـون ذلـكَ جاريًـا على لسانه في معرض الحكاية عن اللّه تعالى كما لو سمع وهو يقـول : ﴿ **لا إلـه إلاَّ أنـا فاعبدني** ﴾ لكان يحمل على الحكاية .

وإمَّا أن يكون قد شاهد كمالاً لاحظه من صفة القدس على ما ذكرنا في الـترقي بالمعرفة عن الموهومات والمحسوسات وبالهمة من الحظوظ والشهوات . فأخبر عن قـدس نفسه فقال : « سبحاني ! » ، ورأى عظم شأنه بالإضافة إلى شأن عموم الخلـق فقـال : « ما أعظم شأني ! » .

وهو مع ذلكَ يعلم أن قدسه ـ أي تنزيهه عن النقائض ـ وعظم شأنه بالإضافة إلى الخلق ـ أي بالنسبة إلى الخلق ـ فلا نسبة له إلى قدس الرب تعالى وعظيم شأنه .

فإن جاوزت « حاله » هذين التأويلين إلى الاتحاد ، فذلك محال قطعًا ، فلا تنظر إلى مناصب الرجال حتّى تصدق بالمحال ، بل ينبغـي أن تعـرف الرجـال بـالحق لا الحـق بالرجال .

وأما القسم الخامس : وهو الحلول ، فذلك يتصور بأن يقال : إن الرب حـل في

العبد أو العبد حل في الرب ـ تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين ـ . وهذا لو صح لما أوجب الاتحاد ولا أن يتصف العبد بصفات الرب ، فإن صفات الحال لا تصير صفة المحل ، بل تبقى بصفة الحال كما كان (١) .

فلا يتصور الحلول بينَ عبدين ، فكيف يتصور بينَ العبد والرب ـ تعالى ـ ؟! وإذا بطل الحلول والانتقال والاتحاد والاتصاف بأمثال صفات اللّه تعالى على سبيل الحقيقة . لم يبق لقولهم معنى إلاَّ ما أشرنا إليه في التنبيهات وذلك يمنع من إطلاق القول بأن معاني أسماء اللّه تصير أوصافًا للعبد إلاَّ على نوع من التقييد خال عن الإيهام . وإلاَّ فمطلق هذا اللفظ موهم) (٢) .

إذًا فالأمر في ذلكَ قائم على نية الإنسان ، وإنما لكل امرئٍ مانوى ، ولكن الأفضل والأسلم هو حفظ اللسان عن الألفاظ الموهمة . فإن الإنسان قد يتكلم بالكلمة لايلقي لها بالاً يهوي بها في النّار سبعين خريفًا ـ نسأل اللّه النجاة ـ .

رابعًا : مراتب الصوفية :

ويزعم المنحرفون من الصوفية أنهم خواص اللّه في أرضه ، ورحمة اللّه في بلاده على عباده . وأن لهم مراتب وضعوها وابتدعوها لبيان طبقاتهم ومكانتهم وفضلهم على سائر الخلق ما أنزل اللّه بها من سلطان .

يقول ابن عربي في « فتوحاته » : (والمجمع عليه من أهل الطريق أنهم على ست طبقات أمهات : أقطاب ، وأئمة ، وأوتاد ، وأبدال ، ونقباء ، ونجباء) (٣) .

---

(١) سبق أن أوضحنا بطلان الحلول والاتحاد أثناء حديثنا عن البابية والبهائية ، فارجع إليه للمزيد من العلم .

(٢) « المقصد الأسنى شرح أسماء اللّه الحسنى » لأبي حامد الغزالي ، ط ٢ ، مطبعة السعادة ص ١٥ ـ ٢٤ بتصرف . وانظر كذلك كتاب « التصوف في الإسلام » لمحمد الصادق عرجون ص ١١٧ ـ ١٢٢ بتصرف أيضًا .

(٣) « الفتوحات المكية » لابن عربي ٢/٤٠ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٥هـ .

ويقول لسان الدين الخطيب : (عن هؤلاء خواص اللّه في أرضه ، ورحمة اللّه في بلاده على عبادة الأبدال ، والأقطاب ، والأوتاد ، والعرفاء ، والنجباء ، والنقباء ، وسيدهم الغوث)[١] .

ويذكرهم الجرجاني في تعريفاته فيقول : (**القطب** وهو الغوث : عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر اللّه من العالم في كل زمان ومكان ، وهو على قلب إسرائيل « يعقوب » عليه السلام .

الإمامان : هما شخصان ، أحدهما عن يمين الغوث ونظره في الملكوت . والآخر عن يساره ونظره في الملك ، وهو أعلى من صاحبه وهو الذي يخلف الغوث .

الأوتاد : عبارة عن أربعة رجال منازلهم على منازل أربعة أركان من العالم : شرق ، وغرب ، وشمال ، وجنوب ، مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة .

البدلاء : هم سبعة ، ومن سافر من القوم عن موضعه وترك جسدًا على صورته حتّى لا يعرف أحد أنه فقد ، فذلك هو البدل لا غير ، وهم على قلب إبراهيم عليه السلام .

النجباء : أربعون ، وهم المشغولون بحمل أثقال الخلق ، فلا يتصرفون إلاّ في حق الغير .

النقباء : هم الذين استخرجوا خبايا النفوس ، وهم ثلاثمائة)[٢] .

إن هذه المراتب وما ذكر بها من أعداد لم ترد في الكتاب أو السنة ، ولم يقبل بها أحد من سلف الأمة ، ولا من علمائها العاملين .

يقول الإمام ابن تيمية : (وأمّا الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة

---

(١) « روضة التعريف بالحب الشريف لسان الدين الخطيب » ص ٤٣٢ ، دار الفكر العربي .

(٢) « التعريفات » للجرجاني ص ١٥٤ ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣م .

مثل : الغوث الـذي يكـون بمكـة ، والأوتـاد الأربعـة ، والأقطـاب السـبعة ، والأبـدال الأربعين ، والنجبـاء الثلاثمائـة ، فهـذه الأسمـاء ليسـت موجـودة في كتـاب اللَّـه ، ولا هي أيضًـا مـأثورة عـن النبي ﷺ لا بإسناد صحيح ولا ضعيف محتمل ، إلاَّ لفظ الأبدال ، فقد روى فيهم حديث شامي منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه قـال : « **إن فيهـم ـ يعني أهـل الشـام ـ الأبـدال أربعين رجـلاً ، كلما مات رجل أبدله اللَّه مكانه رجلاً** » ولا توجد هـذه الأسمـاء في كـلام السـلف ، كما هي على هذا الـترتيب .. وهـذا مـن جنـس دعـوى الرافضـة : أنـه لا بـد في كـل زمان من إمـام معصـوم يكـون حجـة اللَّه على المكلفين لا يتـم الإيمـان إلاَّ بـه .. بـل هذا الترتيب والاعتداد يشبه من بعـض الوجـوه ترتيـب الإسماعيلية والنصيرية ونحوهـم في السابق والتالي والناطق والأساس والحـد . وغـير ذلـكَ مـن الـترتيب الـذي مـا أنـزل اللَّه به من سلطان) [١] .

إن الدين قال كلمته في الأمور الغيبية التي لا تعرف إلاَّ عـن طريـق السـماع مـن الرسول ﷺ ، وليس للخواطر أو الإلهامات أو الرؤى أو الخيالات أي موقع من مصـادر التشريع والاعتقـاد ، فليـس لبشـر أن يـلزم النَّاس بسبحات خيالـه الـتي تجـافى المنطـق واللغـة ونصـوص الشـرع وموازيـن الروايـة والدرايـة مهمـا كـانت مكانتـه في العبـادة ومجاهدة النفس .

إن الابتداع في الدين باطل مردود ، فقد انتهى الوحـي ولا نسـلم أبـدًا لبشـر أن يزيد شيئًا في حقائق الدين ، فإن النقص أو الزيادة في الدين كلاهما مرفوض بيقين .

(١) « الفتاوي لابن تيمية » ١١/٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٩ بتصرف (مرجع سابق) .

من أشهر الطرق الصوفية المعاصرة

التصوف الإسلامي السُّنِّي معنيٌّ بالجانب الأخلاقي ، فهو وثيق الصلة بالنفس الإنسانية ، يسعى جاهدًا إلى تهذيبها وتزكيتها ، بعيدًا عن النصوص الجافة ، والفلسفة المجردة ، والأساليب المعقدة التي تروق للخاصة من المثقفين ، ولا تشبع بحال من الأحوال شعور العوام الأميين . ومن هنا كان لهذا النوع من التصوف المحمود مكان الصدارة في نشر الدعوة الإسلامية لقيامه برسالة التربية الدينية الشعبية ، وكان طبيعيًا أن تتعدد طرق هذه التربية لإتمام مكارم الأخلاق .

أما التصوف الذي تنكب طريق الاستقامة ، وحاد عن الصراط المستقيم كان لا بد أن تتشعب به الطرق والسبل على رأس كل طريق منها شيطان يدعو إليه ويزين الباطل لأتباعه ويحاول جاهدًا أن يلبسه ثوب الحق ؛ ليقنع نفسه ومريديه أنهم السالكون طريق النجاة .

وسوف نستعرض الآن صورًا مصغرة وموجزة لبعض الطرق الصوفية المعاصرة المشهورة ، دون تقصى لجميع أحوالها أو تعمق في دراستها للحكم عليها أهي من التصوف السُّنِّي ، أم من التصوف البدعي ؟! لأن ذلكَ يحتاج إلى كتب ومؤلفات ، تفرد لهذا الغرض بالذات . وحسبنا الآن ما تشير إليه هذه العجالة فقد تكون دافعًا لنا أو لغيرنا إلى مواصلة البحث والدراسة .

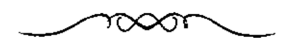

١ ـ القادرية [1]

وتنسب إلى عبد القادر الجيلاني المولود (٤٧٠ هـ) ، والمتوفى (٥٦١ هـ) ببغداد ودفن بها .

كان يفتي على المذهبين : الشافعي والحنبلي ، وكانت فتواه محل رضا العلماء بالعراق ، فقد كان متبحرًا في علوم الشريعة وعلوم اللغة ، حتّى ذاع صيته بينَ معاصريه واتسعت شهرته ، فكثر أتباعه ومريدوه ، وتخرج على يديه الكثير .

وقد نسب إليه أتباعه كثيرًا من الكرامات منها : أنه لما أشتهر أمره في الآفاق اجتمع مائة فقيه من أذكياء بغداد يمتحنونه في العلم ، فجمع كل واحد منهم مسائل وجاءوا إليه ، فلما استقر بهم المجلس ، أطرق الشيخ ، فظهرت من صدره بارقة من نور ، فمرت على صدور المائة ، فمحت ما في قلوبهم ، فبهتوا واضطربوا وصاحوا صيحة واحدة ، ومزقوا ثيابهم وكشفوا رؤوسهم ، ثُمَّ صعد الكرسي ، وأجاب الجميع عما كان عندهم ، فاعترفوا بفضله .

وكان يقول لأصحابه : (اتبعوا ولا تبتدعوا ، وأطيعوا ولا تخالفوا ، واصبروا ولا تجزعوا ، واثبتوا ولا تتمزقوا ، وانتظروا ولا تيأسوا ، واجتمعوا على الذكر ولا تفرقوا ، وتطهروا عن الذنوب ولا تتلطخوا ، وعن باب مولاكم لا تبرحوا) .

ومن تعاليمه التي تشير إلى خصائص طريقته : (ارجع إلى حكم الشرع والزمه ، ودع عنك الهوى ؛ لأن كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة ، فهي باطلة) .

وقال : (من أراد الآخرة فعليه بالزهد في الدنيا ومن أراد اللّه فعليه بالزهد في الآخرة) [1] .

---

(١) ومعلوم أن الإسلام يطالب المسلم بالعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ، وبالعمل لأخراه كأنه يموت غدًا . وتعاليم الشرع تحقق للإنسان ما ينفعه في دنياه وأخراه وتبيح له أن يطلب منافع الدنيا محكومة بسلامة منافع الآخرة .

وقال أيضًا : (لا تشكُ لأحد ما نزل بك من ضر . كائنًا من كان ، صديقًا أو قريبًا ، ولا تتهمن ربك قط فيما فعل فيك ، ونزل بك من إرادته بل أظهر الخير والشكر ، ولا تسكن لأحد من الخلق ، ولا تستأنس به ، ولا تطلع أحدًا على ما أنت فيه . لا فاعل سوى ربك . وكل شيء عنده بمقدار ، وإن يمسسك اللّه بضر فلا كاشف له إلاَّ هو) .

وقد كان عبد القادر الجيلاني كثير الذرية أنجب تسعًا وأربعين ولدًا .

حمل أحد عشر منهم تعاليمه وطريقته ، ونشروها ما بينَ غرب آسيا والإقليم المصري ، ثُمَّ اتسعت طريقته وانتشرت حتّى شملت في نهاية القرن التاسع عشر حدود العالم الإسلامي ما بينَ مراكش وجزر الهند الشرقية . ويقصد إلى مقامه كل عام جموع هائلة من أتباعه للزيارة والتبرك [1] .

(١) والتبرك بقبور الأنبياء والصالحين شرك لا يقره الإسلام بل يحذر منه .

٢ ـ الرفاعية

وتنسب إلى أحمد الرفاعي المتوفي (٥٨٠ هـ) الذي ينتهي نسبه إلى بني رفاعة إحدى القبائل العربية . سكن العراق وانتهت إليه الرئاسة في علوم الطريق وشرح أحوال القوم وكشف مشكلات منازلهم . وانتشرت طريقته بغرب آسيا .

وتمتاز طريقته بالزهد والرياضة النفسية ، وتمتاز أيضًا بالرحمة والشفقة على الحيوان .

ومن أقواله : (الزهد أساس الأحوال المُرضِية ، والمراتب السنية ، وهو أول قدم القاصدين إلى اللَّه ﷻ ، والمنقطعين إلى اللَّه .

فمن لم يحكم أساسه في الزهد لم يصح له شيء مما بعده) .

ومن رحمته بالحيوان وعطفه عليه كان إذا جلس على ثوبه جرادة وهو مار في الشمس ، وجلست على محل الظل يمكث لها حتّى تطير ويقول : إنها استظلت بنا .

وكان إذا نام على كمه هرة وجاء وقت الصلاة يقطع كمه من تحتها ولا يوقظها ، فإذا جاء من الصلاة أخذ كمه وخاطه ببعضه .

إلى آخر ما يروى عنه في هذا الباب . ولا شك أن الرفق بالحيوان خلق من أخلاق الإسلام .

٣ ـ الشاذلية

وتنسب إلى أبو الحسن الشاذلي المولود (٥٩٣ هـ) بقرية عمان قرب « مرسية » ، وشيخه يدعى عبد السلام بن مشيش ، انتقل أبو الحسن إلى مدينة تونس وهو صبي صغير ، وتوجه إلى بلاد المشرق ودخل العراق ، وحج حجات كثيرة مات في إحداها بصحراء عيذاب ودفن بها سنة ٦٥٦ هـ . وكان فصيح اللسان عذب الكلام .

بنى طريقته على طلب العلم ، وكثرة الذكر ، وليس فيها كثير مجاهدة ، وربما تأثر بابن عربي زعيم المدرسة الصوفية القائلة بوحدة الوجود [١] لكنه لم يقل مقالته .

فمن أقوال الشاذلي : (إننا لننظر إلى الله تعالى ببصائر الإيمان والإتقان ، فأغنانا بذلك عن الدليل والبرهان ، وصرنا نستدل به تعالى على الخلق . هل في الوجود شيء غير الملك المعبود الحق فلا نراه ؟!) .

وعمومًا فإن هذه الطريقة الشاذلية قامت على التيسير في المجاهدات فكان يقول : الشيخ من دلك على الراحة لا من دلك على التعب .

ومن دعا إلى الله تعالى بغير ما دعا به رسول الله ﷺ فهو يدَّعي .

وأن الله لا يعذب على راحة يصحبها التواضع ، ولكن يعذب على تعب يصحبه الكبر .

---

(١) لا يحاول ابن عربي أن يقيم الدليل على وجود الحق ولا على وحدة الحق والخلق . أما وجود الحق فغني في نظره عن البرهان لأن الحق ظاهر بصور جميع الموجودات، ولا شيء أظهر من الوجود ولا أعرف منه .
وأما وحدته مع الخلق فليست مما يقوم عليه الدليل المنطقي بل طريق إدراكها الذوق لا غير ؛ لذلك يبالغ ابن عربي في إظهار عجز العقل عن إدراك الحقائق . وقد أداه قوله بوحدة الوجود إلى القول بوحدة الأديان « السماوية والوضعية » إذ الكل يعبدون الإله الواحد المتجلي في صورهم .. وابن عربي مع قيامه بفرائض الإسلام وتمسكه بعقائده كان رائده الوحيد هو ذلكَ النور الباطني الذي أفاضه الله عليه على ما كان يعتقد . انظر في ذلكَ : « دائرة المعارف الإسلامية » مادة « ابن العربي » الترجمة العربية بتصرف .

وقال أيضًا : (وكل علم يسبق إليك فيه الخواطر ، وتميل إليه النفس ، وتلتذبه الطبيعة ، فارم به وإن كان حقًا ، وخذ بعلم اللّه الذي أنزله على رسوله ، واقتد به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعده ، وبالأئمة الهداة المبرئين عن الهوى ، ومتابعته تسلم من الشكوك والظنون والأوهام والدعاوي الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه) .

وكان الشاذلي لا يأمر أحدًا من أتباعه بترك حرفته أو تجارته ، بل يعرفه الطريق وهو باق على حالته .

ولسهولة طريقته فقد انتشرت في شمال أفريقية وغربها ، ومصر ، واليمن ، وبلاد العرب ، ومراكش ، وغرب الجزائر حيث اشتهرت الشاذلية باستعمال السيوف في حلقات ذكرهم .

٤ ـ النقشبندية

وتنسب إلى (بهاء الدين محمد بن محمد البخاري) المعروف بشاه نقشبند المولود سنة ٦١٨هـ بقرية قرب بخارى والمتوفي (٧٩١ هـ) .

وهي كالشاذلية في سهولتها على المريد وصولاً إلى درجات التوحيد ، فقد قيل عنها : (إن طريق النقشبندي ــ قدس سره ــ ، هي طريقة الصحابة على أصلها ، لم تزد ولم تنقص ، وهي عبارة عن دوام العبودية ظاهرًا وباطنًا مع كمال الالتزام للسنة والعزيمة ، وتمام الاجتناب عن البدعة والرخصة في جميع الحركات والسكنات ، في العادات والعبادات والمعاملات .. ولا جرم أمرها كبير ، وشأنها خطير .

ترى مفكري الأولياء مذعنين لها لاستقامتها واعتدالها ، فضلاً عن الموقنين المعتقدين لتحريرها عن الشطح والرقص ، وسفاسف السماع ، وسلامتها عن كدورات جهلة المتصوفة ، وتحليها من السنة السنية بالاتباع ، وغلبة العلم والاستماع له) .

وعمومًا فإن هذه الطريقة منتشرة في فارس وبلاد الهند وآسيا الغربية .

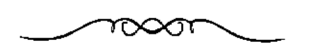

٥ ـ التيجانية [(١)]

هي إحدى الفرق الصوفية التي تشترك مع غيرها في الإيمان بمعتقدات الصوفية . ويزيدون على هذه المعتقدات شيئًا خاصًا بهم كالاعتقاد بإمكانية مقابلة النبي ﷺ والإلتقاء به التقاء ماديًا في هذه الدنيا ، وأن النبي ﷺ قد خصهم بصلاة (الفاتح لما أغلق) دون سواهم من المسلمين ، وتنسب فرقة التجانية إلى مؤسسها : أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد سالم التجاني (١١٥٠ ـ ١٢٣٠ هـ) المولود بقرية تُسمَّى « عين ماضي » من القرى الصحراوية الجزائرية .

وقد اشتغل أحمد التجاني بدراسة العلوم الشرعية ، وارتحل متنقلاً بينَ فاس ، وتلمسان ، وتونس ، والقاهرة ، ومكة ، والمدينة ، ووهران .

وقد أنشأ طريقه عام (١١٩٦ هـ) في قرية أبي سمغون ، وصارت مدينة فاس المركز الأول لهذه الطريقة وبها زاويته التجانية ، ومنها انطلقت دعوته إلى طريقته ، فانتشرت في القارة الإفريقية بوجه عام ، وصار لهذه الطريقة أتباع ودعاة من أشهرهم :

١ ـ علي حرازم أبو الحسن بن العربي برادة المغربي الفاسي المتوفي بالمدينة المنورة ، والذي جمع كتاب « جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني » .

٢ ـ عمر بن سعيد بن عثمان الفوتي السنغالي المولود (١٧٩٧ م) في قرية « الفار » من بلاد « ديمار » بالسنغال حاليًا ، وقد درس بالأزهر وتوفي (١٢٨٣ هـ) .

٣ ـ محمد الحافظ بن عبد اللطيف بن سالم الشريف الحسني التجاني المصري (١٣١٥ ـ ١٣٩٨ هـ) ، وهو رائد التجانية في مصر ، وله كتاب « الحق في الحق والخلق » وغيره من الكتب كما أسس مجلة « طريق الحق » ١٩٥٠م .

أهم أفكارهم وعقائدهم

١ ـ هم مؤمنون بالله سبحانه على نحو صوفي ، فهم يؤمنون بوحدة الوجود ، كما يؤمنون بالفناء الذي يطلقون عليه اسم « **وحدة الشهود** » .

٢ ـ الغيب ـ عندهم ـ قسمان :

« **غيب مطلق** » : استأثر الله بعلمه .

و« **غيب مقيد** » : يغيب عن بعض المخلوقين دون بعض ، وهم يزعمون أن مشايخهم يعلمون الغيب .

٣ ـ يدعى زعيمهم ومؤسس مذهبهم « أحمد التجاني » أنه قد التقى بالنبي ﷺ لقاءً حسيًا ماديًا ، وأنه كلمه مشافهة ، وتعلم من النبي ﷺ « صلاة الفاتح لما أغلق » التي تكفر الذنوب وتضاعف الثواب أكثر من ثواب قراءة القرآن آلاف المرات ! وهذا من شأنه أن يؤدي إلى فتورهم وكسلهم في أداء العبادات والتهاون بها ، وهذا مخالف لما يأمر به الدين ويحث عليه .

٤ ـ يقولون : إن أحمد التجاني هو « خاتم الأولياء » كما أن النبي ﷺ « خاتم الأنبياء » .

وواضح أن هذه الطريقة قد تأثرت بما ذهب إليه بعض أعلام الصوفية كابن عربي ، والحلاج ، وغيرهما . وقد ساعد على تقبل هذه الأفكار وانتشارها جهل العامة بالدين الصحيح ، وانتشار البدع والخرافات في البيئة الإسلامية ، حتّى أن عدد التجانيين في نيجريا وحدها بلغ عشرة ملايين نسمة !

٦ ـ البريلوية [١]

هي فرقة صوفية نشأت في الهند أيام الاستعمار البريطاني .

ومؤسسها : أحمد رضا خان بن تقي علي خان (١٢٧٢ ـ ١٣٤٠هـ) والذي سمى نفسه عبد المصطفى .

ولد أحمد رضا خان في بلدة « بريلي » بولاية « اترابرديش » ، وتتلمذ على المرزا غلام قادر بيك الشقيق الأكبر للميرزا غلام أحمد القادياني ، كما زار مكة عام (١٢٩٥ هـ) وقرأ على بعض المشايخ فيها . كان نحيل الجسم مصابًا بأمراض مزمنة فكان حاد المزاج ، شديد الغضب ، بذيء اللسان . له عدد من المؤلفات منها « أنباء المصطفى » ، و« خالص الاعتقاد » ، و« مرجع الغيب » ، وله ديوان شعر «حدائق بخشش » .

وقد جاء في وصيته : (إذا تيسر للأقارب أن يرسلوا مع الفاتحة هذه الأشياء مرتين في الأسبوع أو ثلاث مرات فليفعلوا : الحليب المحمد ، والرياني ، والكباب الشامي ، والخبز بالسمن ، والقشطة ، والفيريني (طعام معروف عندهم) ، وعدس الأرز مع الزنجبيل ، وماء التفاح ، وماء الرمان ، وأيس كريم ، وهذه الوصية نافذة في أتباعه إلى الآن .

أهم أفكارهم وعقائدهم

تتميز هذه الفرقة بمغالاة أفرادها في محبة وتقديس الأنبياء والأولياء بصفة عامة ، وخاصة نبينا محمد ﷺ الذي وصفوه بما يرفعه فوق خصائص البشر .

فهم يعتقدون أن محمدًا ﷺ والأولياء من بعده لديهم قدرة على التصرف في الكون ، يقول أحمد رضا خان : (يا غوث ! ـ أي يا عبد القادر الجيلاني ـ إن قدرة

« كن » حاصلة لمحمد من ربه ، ومن محمد حاصلة لك ، وكل ما يظهر منك يدل على قدرتك على التصرف ، وأنت الفاعل الحقيقي وراء الحجاب) .

لقد غالوا في نظرتهم إلى النبي ﷺ حتَّى رفعوه إلى قريب من مرتبة الألوهية ، يقول أحمد رضا خان في ديوانه « حدائق بخشش » ١٠٤/٢ : (أي يا محمد ﷺ لا أستطيع أن أقول لك اللَّه ، ولا أستطيع أن أفرق بينكما ، فأمرك إلى اللَّه هو أعلم بحقيقتك) .

كما زعموا أن النبي ﷺ والأولياء يعرفون ما أستأثر اللَّه بعلمه . كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

يقول أحمد رضا خان في كتابه « خالص الاعتقاد » ص ٥٣ ـ ٥٤ : (إن النبي ﷺ لا يخفى عليه شيء من الخمس المذكورة في الآية الشريفة ، وكيف يخفى عليه ذلك والأقطاب السبعة من أمته الشريفة يعلمونها وهم دون « الغوث » .

فكيف بسيد الأولين والآخرين الذي هو سبب كل شيء ومنه كل شيء ؟!) .

والنبي في نظرهم حاضر بعد موته ، وناظر لأفعال الخلق في كل زمان ومكان ، فهم ينكرون بشرية النبي ﷺ ، ويجعلونه نورًا من نور اللَّه .

يقول أحمد رضا خان في أشعاره : (ما قيمة هذا الطين والماء إذا لم يكن النور الإلهي حل في صورة البشر) .

وهم يستغيثون بالأنبياء والأولياء ، ويشيدون القبور ويجصصونها ، وينذرون لها النذور ويتبركون بها ، إلى آخر ما وقعوا فيه من أمور الشرك ومخالفة الشرع بالغلو في

---

(١) سورة لقمان : الآية ٣٤ .

الدين أحيانًا ، والتهجم والافتراء على العلماء العاملين من أمثال الإمام محمد بن عبد الوهاب ، والإمام ابن تيمية ، وتلميذه الإمام ابن القيم ، وكل من دعا إلى التوحيد الخالص ، ونبذ الشرك والشركاء . فهم بحاجة ماسة إلى من يصلح أحوالهم وينير الطريق المستقيم أمامهم ، ويزيل غشاوة الجهل عن أعينهم ، ويأخذ بأيديهم إلى التدين الصحيح .

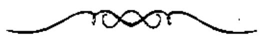

الخاتمة

إن التصوف الخارج عن إطار الشرع لا يحقق تدينًا خالصًا ، ولا يقيم صرحًا أخلاقيًا صحيحًا .

فالقول بالفناء ، والاتحاد ، ووحدة الوجود ينقض الأخلاق من قواعدها ؛ لأنه يهدم المسئولية الأخلاقية التي هي مناط الثواب والعقاب .

فما دام الله تعالى ـ حسب اعتقاد بعض الصوفية ـ قد اتخذ الإنسان مظهرًا له وهو سبحانه الذي يفعل ما يظن أنه فعل الإنسان ، فكيف يكون الإنسان مسئولاً ؟ وإذا انتفت المسئولية عن الإنسان في أقواله وأفعاله فلا حرج عليه ـ حينئذ ـ أن يفعل ما يشاء . فماذا ننتظر بعد ذلكَ إلاَّ الفوضى والضلال في الأخلاق ؟!

ولقد كان للفكر الباطني أثره الخطير في البيئة الإسلامية . حيثُ صور الإنسان ظلاً ربانيًا ، ودعا إلى الثورة على النبوة المحمدية والتحلل من الشريعة الإسلامية ، وإسقاط التكاليف الشرعية ، فأقبل عليه الطامعون في الاستفادة المادية من أقرب طريق ، والحاقدون الذين يضمرون العداء لهذا الدين ، وكذلك الضالون المغرمون بالتعامل مع الجن والشياطين ، وتضامن الجميع في العمل على بلبلة أفكار المسلمين ومحاولة النيل من عقيدة الإسلام الصحيحة الخالدة . والابتداع في الدين الذي لا يستند إلى دليل . ولكن المسلم الحق المستمسك بكتاب الله وسنة الرسول لا ينخدع بمثل هذا الضلال . ولا يستسلم أبدًا لهذا الباطل ، بل يستميت في الدفاع عن عقيدته بشتى الوسائل . وصدق الله العظيم القائل : ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾ (١) .

(١) سورة الإسراء : الآية ٨١ .

بحوث ودراسات

في

المذاهب والتيّارات

تأليف

الدكتور محمّد مجاهد نور الدّين

الأستاذ المساعد بكلية المعلّمين بجازان

الجزء الثاني

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلاَّ اللَّه ولي الصالحين .

وأشهد أن محمدًا رسول اللَّه ، الرحمة المهداه ، والنعمة المسداه ، والسراج المنير ، صلوات اللَّه وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

وبعد ، فقد تبين لنا في الجزء الأول من هذا الكتاب كيف أساء إلى الإسلام بعض أتباعه والمنتسبين إليه ، وكان لذلك أثره في تشويه صورة الإسلام والمسلمين في أعين الناظرين ، وليس من العدل أن يؤاخذ دين بفساد بعض أتباعه . إلاَّ أن أعداء الإسلام من الحاقدين عليه والمتربصين به وجدوا في هذا الجو مناخًا لوضع بذور الشك والريبة في البيئة الإسلامية الملوثة بأفكار الغلاة والمارقين ؛ طمعًا في زعزعة عقيدة الإسلام وتقويض بنيانه الشامخ ، وتأهبوا لإشعال حرب فكرية عارمة مدمّرة للنيل من الدين وتدمير خصائص الإنسان وصبغ العالم كله بصبغة الإلحاد .

ولقد غير الملحدون مواقعهم في هذا العصر من الهجوم على الدين إلى الدفاع عن الإلحاد ولكن بسلاح غير فعال !

وعصرنا الحاضر الذي نعيش فيه الآن ينتج من الأفكار بقدر ما ينتج من السلع والأشياء ، وكما تصدر إلينا السلع من البلدان الأجنبية تصدر إلينا الأفكار ، وتتنوع هذه الأفكار كما تتنوع السلع والبضائع ويقف كثير من المثقفين المسلمين حائرين مبهورين أمام موجات الفكر الوارد من الخارج فهم بينَ مستنكر لها ومفتون بلمعانها وبريقها .

ولا شك أن سوق الأفكار أهم أسواق المنتجات ، وأكثرها استعدادًا لترويج التزييف والفساد ، ومن هنا حفلت أسواقنا بالأفكار المسمومة والمبادىء المزيفة ،

والفلسفات المضللة ، والأقوال الباطلة ، وألبست كلها أو بعضها ثوبًا مزركشًا يخفي تحته الكفر والإنحلال والضياع .

لهذا كانَ لا بد من كشف الستار عن حقيقة هذه التيارات الفكرية المضلة للمسلم حتّى يستطيع مواجهة هذه التيارات ووقف تدفقها وانتشارها في بلاد الإسلام .

وقد يظن البعض أنه بالإمكان أن نحجر على الأفكار والمفكرين عن طريق القوانين والعقوبات وحدها ، وهذا ظن خاطيء ؛ لأنه لا يحجر على الفكر إلاَّ الفكر ولا يمحو العقيدة إلاَّ العقيدة .

وقد عمدنا في هذا « **الجزء الثاني** » من الكتاب إلى عرض سريع ومفيد لبعض التيارات المعاصرة بما يتناسب مع سمة بحوث هذا الكتاب التي لا تنشد الاستقصاء والاستيعاب الشامل بقدر ما تنشد التنبيه والتحذير من الخطر الماثل .

واللّه الموفق والمستعان .

المؤلف

د . محمد مجاهد نور الدين

الغزو الفكري وآثاره في العالم الإسلامي

١ ـ أثر الاحتلال والغزو الفكري في نشأة التيارات الفكرية الضالة في العالم الإسلامي :

لقد عاشت الأمة الإسلامية ردحًا طويلاً من الزمان تتقدم المجتمعات الإنسانية وتملك زمام القيادة العالمية ، فصنعت للإنسانية تاريخًا مجيدًا يغتبط به كل إنسان وتقر به عينه .

كانَ ذلكَ حين كانَ المسلمون أمثلة كاملة للدين والدنيا معا ، فكانوا يؤمّون النّاس في صلاتهم ، ويفصلون في قضاياهم ، ويحكمون بالعدل بينهم ، يقودون الجيوش ، ويحسنون تدبير الحروب وتصريف شئون الحكم وإقامة حدود اللّه وتطبيق شريعته (فسرت روحهم في المدنية ونظام الحكم وحياة النّاس واجتماعهم وأخلاقهم ، وانعكست ميولهم ورغباتهم في المدنية وظهرت خصائصهم فيها ، فلا عداء بينَ الروح والمادة ، ولا صراع بين الدين والسياسة ، ولا « **فصل** » بينَ الدين والدنيا ، ولا تجاذب بينَ المصالح والمبادىء ، ولا تزاحم بينَ الأغراض والأخلاق ، ولا تناحر بينَ الطبقات ، ولا تنافس في الشهوات) [1] .

إن أمثال هؤلاء المسلمين كانوا جديرين بسعادة الإنسانية كلها في ظلهم وتحت حكمهم وأن تعمر بهم الأرض وتأخذ زينتها وزخرفها .

ولم لا ؟ وهم خير القائمين على مصالحها وحراستها ، والأمناء الأوفياء على مملكة اللّه التي استخلفهم فيها ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ**

---

(١) « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » أ . أبو الحسن الندوي ، ص ١٣٠ ، ط ٤ .

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... ﴾ [١] .

وأمام ظهور المدنية الإسلامية بروحها ومظاهرها ، وقيام الدولة الإسلامية بشكلها ونظامها ، تقلصت رقعة الجاهلية ، وصارت أرضها تنتقص من أطرافها .

واستفادت البلاد الأوربية كثيرًا من تعاليم الإسلام وحضارته نتيجة احتكاكها بالعالم الإسلامي فتحركت للإصلاح الديني والنهوض العلمي وما أن بدأت أوربا نهضتها ، حتَّى بدأت البلاد الإسلامية في انحطاطها وكبوتها !!

وكان هذا الانحطاط في جميع المجالات . وانغمس الكثير من المسلمين في الترف المادي والعقلي وضيعوا الأوقات فيما لا فائدة ، بينما استفاد الأوربيون من كل لحظة واغتنموا كل فرصة واجتهدوا في كل ميدان وقطعوا في أعوام مسافة قرون ، و(تخلف العالم الإسلامي قضية معروفة وإن كانت مخجلة ! وهذا التخلف أطمع الأقوياء فيه ! بل قد أطمع فيه من لا يحسن الدفاع عن نفسه ! وشر من ذلكَ أن هذا التخلف ألصق بالإسلام تهمًا كثيرًا ، بل إن عقائد خرافية فكرت في إقصائه ووضع اليد على أتباعه .. !! [٢] .

لقد صار العالم الإسلامي فريسة للحضارة الأوربية « غربية وشرقية » على حد سواء ، حيثُ التقى الفكر الغربي والشرقي في انتكاس الفطرة الإنسانية فكان أساس فلسفتها « **لا موجود إلاَّ المادة** » وقد أدى انتشار هذا الأساس المادي إلى الصراع على المادة ثُمَّ الانزلاق في الشهوات والملذات ، وتبع ذلكَ انهيار كبير في صرح الأخلاق .

وكان لليهود دور بارز في إرساء هذا الأساس وصيانته والتوسع فيه ؛ لأنه يخدم مصالحهم ويحقق أطماعهم .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

(٢) « الطريق من هنا » للشيخ محمد الغزالي ، ص ٥ ، ط١ - ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧م ، دار البشير بالقاهرة .

وانطلق الغزو الفكري الأجنبي - باتجاهيه : الغربي . والشرقي الماركسي - يعربد في بلاد الإسلام يحاول السيطرة عليها ، وفرض وصايته الكاملة على أهلها ، فألغيت الخلافة الإسلامية سنة ١٣٤٢هـ ، وقامت دولة إسرائيل سنة ١٣٦٧هـ ، واعترفت بها أمريكا وروسيا في يوم واحد .

وأصاب العالم الإسلامي ما أصابه من آثار سيئة نتيجة هذا الغزو الفكري المادي الملحد ، وما زال يعاني من هذه الآثار حتّى الآن .

وسوف نستعرض أهم هذه الآثار ــ بإيجاز مناسب ــ لكل من الاتجاهين : الغربي ، والشرقي الماركسي ، لنقف على مدى صلتها بالاتجاهات والتيارات الفكرية الضالة في العالم الإسلامي .

أولاً : أثر الغزو الفكري الغربي في العالم الإسلامي :

حاول الغرب المسيحي أن يقوم بحملات حربية لغزو الشرق الإسلامي باسم الصليب وتحت رايته ؛ انتقامًا من الغزوات الإسلامية داخل القارة الأوربية ، وطمعًا في جر المسلمين وتحويلهم إلى المسيحية ، وهو ما يُسمّى في التاريخ بـ « الحروب الصليبية » .

وانتفضت الأمة الإسلامية تدافع عن عقيدتها وأرضها فبذلت النفس والنفيس في سبيل اللّه ، وارتدت هذه الحملات الصليبية خاسرة على أعقابها تجر ذيول الخيبة والهوان ، وأيقن الغرب المسيحي أنه لا يستطيع الانتصار على الإسلام والمسلمين بالسلاح وآلات القتال ، إلاّ إذا زعزع عقيدة الإسلام ونشر في أرضه بذور الضلال ، فعمل على تحقيق أهدافه بوسائل عديدة أهمها :

١ ــ الاستشراق :

وهو من النتائج الفكرية للحروب الصليبية إذ قام عدد من غير الشرقيين

بالاشتغال بدراسة كل ما يتصل بالشرق : حضارة ، وفلسفة ، وأدبًا ، ودينًا ، وخصوصًا ما يتصل بالدين الإسلامي والمسلمين على وجه الخصوص ، والاستشراق عند الغربيين « **مادة علمية** » معترف بها عالميًا ويكاد أن يكون ممثلاً في كل جامعة من الجامعات ، وقد رصدت له الإمكانيات المادية والكوادر العلمية المتخصصة .

وقد انطلقت بداية الاستشراق من « **أسبانيا** » بلاد الأندلس حين دعا ملكها إلى البحث في علوم المسلمين وحضارتهم وترجمة كتبهم ، ثُمَّ توسع الأوربيون بعد ذلكَ في النقل والترجمة في مختلف الفنون والعلوم الإسلامية .

وعمومًا فقد كانَ المستشرقون يمهدون الطريق أمام المبشرين بالمسيحية بتشكيك المسلمين في عقائدهم والطعن في الرسالة والرسول ، وتبع المستشرقين تلاميذهم المفتونين من أبناء البلاد الإسلامية يرددون افتراءاتهم على الإسلام ويؤيدونها ، بل يعملون على ترسيخها في الأذهان وفرضها ، وكان لذلك آثاره السيئة على العالم الإسلامي نبرز أهمها فيما يلي :

١ - إثارة الشبهات :

فالمستشرقون وراء كل شبهة أو دعوة خطيرة تظهر في البيئة الإسلامية ، فما أن يلقوا بشبهتهم أو دعوتهم حتّى يتلقفها الكاتبون باللغة العربية - من أتباعهم - فيذيعون بها ويزينونها للناس .

من ذلكَ الدعوة إلى « **العاميّة** » التي بدأها و« **لكوكس** » وغيره من المستشرقين ، ثُمَّ تابعهم سلامة موسى وأحمد لطفي السيد ، وكذلك الدعوة إلى القوميات الإقليمية والتي تابعهم فيها طه حسين ولطفي السيد وآخرون .

ومن ذلكَ طعنهم في جمع القرآن الكريم بطريق التواتر « حفظًا وكتابة » محتجين في جانب الحفظ بالحديث الصحيح الذي رواه أنس بن مالك ﷺ : « **مات**

النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة ... » الحديث ، فقالوا إن الأربعة لا يحصل بهم التواتر ، ورد ذلكَ : بأنه يحتمل أن يكون هذا مبلغ علم أنس ﷺ فقد تفرق الصحابة في الأمصار ولم يقف أنس على حفظ كل واحد منهم .

أو أنه قصد : لم يحفظ القرآن كاملاً إلاّ أربعة ، ولا يشترط في التواتر أن يحفظ كل واحد جميع القرآن بل إذا حفظ الكل ولو على سبيل التجزئة لكان كافيًا في التواتر ، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال ، واحتجوا في جانب الكتابة بأن الرسول « **أميّ** » بعث في أمّة « **أمية** » ومع الجهل بالقراءة والكتابة لا يتحقق التواتر في جمع القرآن عن طريق الكتابة ، ورد ذلكَ بأنه لا يلزم أن يكون معنى الأميّة (الجهل بالقراءة والكتابة) ، بل تأتي كلمة الأمية بمعنى من ليس لهم كتاب سماويّ مقدس .

وقد وردت في القرآن بهذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ ... **وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ** ... ﴾ (١) .

والمعنى : وقل للذين أوتوا الكتاب والذين ليس لهم كتاب مقدس أأسلمتم ؟ .

وعلى كون الأميّة تعني عدم القراءة والكتابة فإن ذلكَ يعني أن أكثر الأمّة أميون ولا يعني أن كل فرد فيها أميّ ، بل وجد من الصحابة من كانوا كُتابًا للوحي ، وكان منهم من يعرف أكثر من لغة كزيد بن ثابت ﷺ ، بالإضافة إلى تحريض القرآن على طلب العلم والتعلم والتنويه بالعلم وأهله وما كانَ من فداء أسرى المشركين بتعليم الواحد منهم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة ، كل هذا كفيل برد هذه الشبهة ودحضها ولا يتسع المقام لضرب المزيد من الأمثال (٢) .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٢٠ .

(٢) للوقوف على المزيد ارجع إلى : « دفاع عن العقيدة والشريعة » للشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ .

٢ ـ تشجيع الفكر الفاسد :

كما قام المستشرقون بالتركيز على إحياء المخطوطات التي تحمل في طياتها سموم الإلحاد والإباحية والمروق من الدين أمثال شعر بشار بنَ برد وأبي نواس ، وما كتبه الحلاج وابن عربي وابن سبعين وغلاة الرافضة من الباطنيين . كما حرصوا على التنويه بشأن القرامطة وإظهارهم بمظهر المصلحين العادلين ، فتعددت الفرق الباطنية والمنحرفين من الصوفية ونشطت هذه التيارات الفكرية الضالة تجوب آفاق العالم الإسلامي في محاولة جادة لتحطيم أصالة الفكر الإسلامي الصحيح .

٣ ـ تحريف الكلم عن مواضعه :

وذلك بإخضاع النقل ، فالعقل ـ عندهم ـ حاكم على النصوص الشرعية وليس محكومًا بها فأفرطوا في التأويل والتحريف المقصود الذي يوافق ميولهم وأهواءهم ، وتأثر بذلك فرق إسلامية كثيرة فتركت التفويض المدرك وجنحت إلى التأويل المهلك .

٤ ـ إعتدادهم بكتبهم وأبحاثهم وإيهام بعض الدارسين بدقتها وصحتها :

وقد أثر ذلكَ على كثير من الدارسين وطلاب العلم الذين اعتبروا كتب المستشرقين وأبحاثهم مراجع أساسية في اللغة العربية ، والتاريخ الإسلامي ، والفقه ، والعقائد ، وغير ذلكَ من العلوم ، وخصوصًا في الدراسة الجامعية والبعثات الخارجية للدراسة في الجامعات الأجنبية .

وهذا من أخطر آثار الاستشراق ؛ لأن هؤلاء الباحثين والدارسين الذين سيطر عليهم أساتذة الاستشراق ، حين يتولون المناصب القيادية في الدولة ويقومون بالتوجيه الثقافي والتعليمي سيفرضون على الجماهير هذه السموم التي تلقوها من الغرب باسم التجديد وحرية الكلمة والنزاهة في البحث .

ـ و« الإسلام في وجه التغريب » للأستاذ / أنور الجندي .

٢ - التبشير - التنصير :

عندما انتهت الحروب الصليبية بالفشل في تحقيق أهدافها أيقن أعداء الإسلام أنه لا سبيل إلى الانتصار على المسلمين بالقوة الحربية ؛ لأن عقيدتهم تدفعهم إلى الجهاد في سبيل اللّٰه مهما كلفهم ذلكَ لحماية الإسلام وأرضه وصون الحرمات والأعراض ، وأنه لا بدّ من طريق آخر يتمثل في تشكيك المسلمين في عقيدتهم وتحويلهم عن دينهم إلى الديانة النصرانية .

فإن عجزوا عن ذلكَ عملوا على الحيلولة دون توسع الإسلام وانتشاره ، والنيل من عقيدته وهذا هو ما يعرف بالتبشير .

ولا شك أن العلاقة وثيقة بينَ « الاستشراق » ، و« التبشير » :

فالأول خادم للثاني ومشارك له في تحقيق أهدافه .

وقد اتخذ « التبشير » وسائل عديدة للنيل من المسلمين أهمها :

١ - مدارس التبشير :

هذه المدارس التي انتشرت في أرجاء البلاد الإسلامية و لم يخل منها إلاَّ النذر اليسير .

وكان لهذه المدارس أثرها في بذر بذور الشك والانحراف في نفوس الكثير من طلاب هذه المدارس .

٢ - تهيئة الفرصة أمام البعثات من الدول الإسلامية إلى الدول الغربية :

المسيحية وإشباع الدارسين بالأفكار الهدامة والمذاهب الضالة ليعودوا إلى أوطانهم مفتونين بالحرية الكاذبة ، والآراء المضللة ، فيكونون سندًا قويًا لدعاة التبشير ورجاله ، كما كانَ من أمر « رفاعة الطهطاوي » وأمثاله .

ولا تقتصر وسائل التبشير على ذلكَ فقط بل تتنوع وتتعدد لتشمل فتح المستشفيات للعلاج بأجر زهيد وتقديم المعونات المادية للمعدمين والمحرومين ، وإلقاء المحاضرات ، وإقامة الندوات ، وإصدار وتوزيع الكتب والصحف والمجلات والنشرات ، وعقد المؤتمرات ، إلى غير ذلكَ من وسائلهم الكثيرة التي تُسهم في تحقيق الأهداف .

٣ ـ فصل الدين عن الدولة :

وهي فكرة بعيدة كل البعد عن عقيدة الإسلام وشريعته ، غريبة على أهله وعلمائه ، فالقرآن يخاطب رسولنا محمدًا وأمته ﴿ **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ... ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ** ﴾ (٢) .

إن القرآن الكريم هو كلمة اللّه الأخيرة المعبرة عن دينه الذي ارتضاه اللّه للمكلفين من خلقه ، ولهذا فقد ضمنه سبحانه كل ما تحتاج إليه الإنسانية ـ على اختلاف أجيالها ـ من المناسبات الملائمة للأحوال ، فكان منهجه جديرًا أن يحكم حياة البشرية في جميع جوانبها دون ما حاجة إلى تعديل أو تبديل .

وفصل الدين عن الدولة أساس « العلمانية » التي نادى بها الغرب ولجأ إليها كرد فعل لاضطهاد الكنيسة للعلم والعلماء ، وهذا يفسر بعد الغرب عن الدين ومناصبته العداء ، وإقصاء الدين عن شئون الحياة ولكنه لا يبرر مسلكه ؛ لأنه لو اتجه إلى الإسلام دون تعصب أو غرور لوجد فيه ضالته وهدايته .

ومما يؤسف له أن هذا الفكر العلماني تبنته حكومات إسلامية وتسرب إلى بلاد الإسلام فأثر في شتى نواحي الحياة فيها ، وسوف يتضح لنا ذلكَ عند حديثنا عن

---

(١) سورة المائدة : الآية ٤٩ .

(٢) سورة النحل : الآية ٨٩ .

« العلمانية » في المباحث القادمة .

٤ ـ إحياء القوميات وإسقاط الخلافة الإسلامية :

لقد رأى الغرب أن بث فكرة (فصل الدين عن الدولة) لا تكفي وحدها لاسقاط الخلافة الإسلامية وتمزيق دولة الإسلام ، فعمل أيضًا على إحياء القوميات وإثارتها .

فأثار القومية الطورانية داخل تركيا (مركز الخلافة الإسلامية حينذاك) وأثار القومية العربية داخل الولايات التابعة للخلافة ، وانتهى الأمر إلى مواجهة حربية بينَ جيوش القومية العربية من جهة وجيوش الخلافة الإسلامية يساندها الإنجليز من جهة أخرى ، وبعد تفشي العلمانية وإحياء القوميات في بلاد الإسلام سقطت الخلافة الإسلامية ، وقطع الشجرة أحد أعضائها كما أوصى بذلك أحد مؤتمرات التبشير ، وصارت الأرض الإسلامية الممزقة مجالاً خصبًا لزراعة الأفكار الغربية المسمومة ، وسوقًا رائجة لتصريف صناعاته ومنتجاته ، وهدفًا لتحقيق أطماعه وتوسعاته .

ثانيًا : أثر الغزو الفكري الماركسي في العالم الإسلامي :

تقوم الماركسية على المادية والإلحاد وترفض جميع الديانات السماوية بل تعتبر (الدين أفيون للشعوب ومخدر الفقراء وأنه انعكاس لشقاء فعلي ، واحتجاج على هذا الشقاء) (١) .

ولهذا كانَ من أهدافها هدم العقيدة الإسلامية والقضاء على الدين الإسلامي الحنيف ، فهي أخطر على بلاد الإسلام من الغرب ، بما تحمل في أسلوبها من خداع ينطلي على العوام من النّاس خاصة طبقة « البروليتاريا » أي طبقة العمال الكادحة أو طبقة الصعاليك التي تمنيها الماركسية بملك زمام الحكم واستحقاقها المكاسب دون سائر

(١) « ماركسية القرن العشرين » ترجمة لكتاب (جارودي) ص ١٤٣ ، ط ٣ ١٩٧٢م ، تعريب نزيه حكيم .

الطبقات . وقد دأبت « الماركسية » منذ صارت لها دولة على نشر مبادئها مهما كانت التضحيات ، وتنوع زحفها على البلاد الإسلامية عن طريق الطبقات الكادحة تارة ، وعن طريق الانقلابات العسكرية تارة أخرى ؛ ليتم التغيير المراد من القاعدة أو القمة .

وقد نجحت بعض هذه الانقلابات وتم الاستيلاء على السلطة في بعض بلاد الإسلام .

ولا يخفى أن مؤسس الماركسية « ماركس » ، ومؤسس دولتها « لينين » وكلاهما من أصل يهودي .

ولا يخفى أيضًا أن الماركسية أو الشيوعية تعمل جاهدة بشتى الوسائل وفي جميع الميادين للقضاء على الدين ، ولكن ذلكَ يحتاج أحيانًا لشيء من الحيلة والتدبير ، وإن (مكافحة الدين وروابطه لا تكون بنسف الدين ومعابده كليًا من حياة النَّاس فلا تحطم الفأس ما في الضمير) [(١)] .

وعلى ذلكَ فإن (مهمة الإلحاد العلمي أن تتركز الدعوة الاشتراكية على الترويج لشعار الثورة والتركيز على خلق وعي مادي كالدعوة إلى العلم في نفوس الجماهير لينفروا من الدعوة الروحية التي هي من طبيعة الإيمان ، وليس من الضروري أن تهزأ من قصص الإنجيل والقرآن والكتب الدينية التقليدية وأن تقول المواعظ والصلوات بضاعة لا تصلح إلاَّ للأطفال ، فهذا النوع من الدعاية الاشتراكية ضد الأديان لا يفيد كثيرًا ، وإنما علينا أن نعيد تفسير قصص الدين ، وسيرة رجاله ، ومواعظهم وأحاديثهم وأقوالهم بقالب اشتراكي .

فإذا قلنا إن « يسوع » ثائر يطلب الحق للفقراء فهذا تفسير اشتراكي .

---

(١) منقول عن مجلة (كومونيست) السوفيتية الصادرة في ١/١/١٩٦٤م .

وبمثل هذا نقول عن « محمد » وغيره .

وحسبنا ذلكَ بغير تعليق) (١) .

وهكذا تعمل الماركسية ومن قبلها الفكر الغربي ضد الديـن والمتدينـين ، وهنـاك لون خطير من ألوان الغزو الفكري نود التنبيه عليه هو « الغزو بالسلب » سواء فسرت السلب بمعنى الانتفاء المقابل للوجود ، أو بمعنى السـرقة والاختـلاس ، فالنتيجـة واحـدة هي حرمان البلاد الإسلامية من عقولها المفكرة ، وخبراتهـا الممتـازة بسـرقتها والحيلولـة دون انتفاع البلاد الإسلامية بها .

والولايات المتحدة الأمريكية هي أكثر بلاد العالم جذبًا للكفاءات فقد هاجر إليـه (٤٣) ألـف عـالم ومهنـدس مـا بـينَ عـامي ١٩٤٩/ ١٩٦١م وكـان بمستشـفياتها بينَ عامي ١٩٦٤/ ١٩٦٥م نحو (١١) ألف طبيب من خريجي جامعات غير أمريكيـة (٨) آلاف منهم من البـلاد الناميـة ، ثُـمَّ إن ٩٠٪ مـن الذيـن يقدمـون إلى الولايـات المتحدة للدراسة لا يعودون إلى أوطانهم ، ولو أرادت الولايات أن تخرج هذا العدد مـن الأطباء الذين كسبتهم عن طريق الهجرة لكان عليها أن تنشيء اثنى عشر كليـة جديـدة للطب تخرج مائة طبيب سنويًا .

ومعنى هذا أن ما تكسبه الولايات المتحدة من هجرة الكفاءات يسـاوي مجمـوع ما تنفقه من مساعدات على أصدقائها وحلفائها .

ويتضح لنا من البحث الذي كتبه الأستاذ « مالكولم أديسشيا » والجـداول الـتي أوردها الحقائق الآتية :

١ ـ خلال المدة الواقعة ما بينَ عامي ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧م خسـرت البـلاد العربيـة (٤٠٨٧٢) من المهندسين ، والعلمـاء الطبيعيـين ، والأطبـاء ، والممرضـات ، وعلمـاء

(١) « نحن والشيوعية في الآونة الحاضرة » للدكتور / سعدون حجازي ، ص ٥٨ ، دار الطليعة للطباعة والنشر .

الاجتماع ، وأرباب المهن بهجرتهم إلى الولايات المتحدة من ثمانية دول عربية « إسلامية » هي : مصر ، والأردن ، وسوريا ، والعراق ، ولبنان ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب .

٢ ـ قد يبدو ذلكَ العدد في ظاهره ضئيلاً ، ولكن الواقع ليس كذلك إذا ما علمنا أن نسبة العرب من الأربعين ألفًا من الكفائات المهاجرة من البلاد النامية إلى الصناعية هي ١٢٪ .

بينما نسبة العرب إلى سكان العالم لا تزيد عن ٤٪ .

٣ ـ هذه الهجرة من ذوى المهارات العالية ونسبتهم للمهاجرين من مصر هي : ٣, ٥٨٪ علماء ومهندسين ، ٧٠٪ من مجموع المهاجرين حملة الدكتوراه في الفلسفة ، ٥, ١٧٪ من حملة الماجستير .

٤ ـ هذه الهجرة من البلاد العربية والنامية هجرة انتقائية : فالدول الصناعية تختار من بينَ المتقدمين للهجرة إليه ذوى الكفائات الممتازة الذين تحتاج إليه بلادهم .

٥ ـ هجرة الكفاءات مطردة ومتزايدة ، فنسبة الكفائات المهاجرة من البلاد العربية في عام ١٩٦٧م تتراوح بينَ ٥٠٪ ، ١٠٠٪ بالمقارنة بعام ١٩٦٦م [١] .

وإنه لبلاء عظيم وخسار فادح أن تهاجر هذه الصفوة الممتازة إلى بلاد أجنبية يؤجرون عملهم لمن يقدره ماديًا وأدبيًا بينما بلادهم في أمس الحاجة إليهم وإلى علمهم .

ولا ريب أن ضياع ثروتنا البشرية أهم من ضياع أي ثروة أخرى ، وينبغي أن نفرق بينَ التأثر الثقافي والغزو الفكري : فالتنمية العلمية الثقافية مطلوبة ولا غبار

(١) « الغزو الفكري في العالم العربي » عبد الله عبد الجبار ، ص ٦٨ ، ٦٩ ، ط١ ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م .

عليها ، ولا غضاضة أن نقتبس من جهود البشر ما يوافق العقل ولا يعارض النقل وأن نضمه إلى كياننا المتين ونفعل به ما تفعل النحل بالزهور فتحيلها شرابًا مختلفًا ألوانه فيه شفاء للناس .

أما الغزو الفكري فهو دعوة إلى العنصرية ، وإغراق في المادية وهدم للأخلاق الإسلامية ، وتأريث وتوسيع للخلاف بينَ المذاهب والفرق ، ليتحقق التمزق المذهبي إلى جوار التمزق الإقليمي ، فتسهل السيطرة على البلاد والعباد !!

ثالثًا : أهم العوامل الداخلية التي مكنت للتيارات الفكرية الضالة :

لقد تضافرت عدة عوامل داخلية شاعت في البيئة الإسلامية في عصرنا الحاضر وساعدت الغزو الفكري على الانتصار ، ومكنت للتيارات الفكرية الضالة الوافدة إلى بلاد الإسلام فسيطرت على كثير من العقول والنفوس سيطرة قوية لم يسبق لها مثيل .

وأهم هذه العوامل :

١ ـ الجهل بالدين :

لقد ظهر الضعف في العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر الميلادي وبدا ذلكَ واضحًا في مجالات الدعوة والعقيدة والعلم .

ولا يرجع ذلكَ إلى طبيعة الإسلام القوية المتجددة ، ودعوته الأصلية المتوثبة ، ولكن أتباع الإسلام هم الذين ركنوا إلى الحياة الدنيا واطمئنوا بها ، وانغمسوا في الشهوات والملذات ، وفتنوا بالترف والماديات ، فغرتهم الدنيا وغرهم بالله الغرور ، ونسوا أو تناسوا أن الإيمان والأخلاق أساس المدنية الفاضلة والمجتمع الكريم فتخلفوا في ميادين العلم والابتكار ، وفتر حماسهم في مجال الدعوة والإرشاد ، ففسدت البلاد والعباد ، وشاع الجهل بالدين ، وتسرب الشك إلى ساحة اليقين ، فعطلت أحكام الشريعة الإسلامية وضاعت المبادئ والأخلاق الزكية ، وانتشر الإلحاد والردة في

الأوساط الإسلامية دون مقاومة تذكر ، أو جهود مخلصة تشكر .

٢ ـ انتشار البدع والخرافات :

لم يترك اللّه خيرًا لأمة محمد ﷺ إلاَّ دل عليه وبينه ، ولا شرًا إلاَّ نبه عليه وحذر منه .

ولم يقصر رسولنا محمد ﷺ في تبليغ ذلكَ وتوضيحه للناس ﴿ **وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ** ﴾ (١) .

لقد أمر الرسول بتبليغ ما نزل إليه ﴿ **يَآ أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** ﴾ (٢) .

وثبت أن النبي ﷺ لم يلحق بالرفيق الأعلى ويفارق الحياة حتَّى بينَ وبلغ جميع أمور الدين ، فلم يتوفه اللّه تعالى إلاَّ بعد كمال الدين وتمام نعمة الإسلام قال تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتَ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا** ﴾ (٣) .

ومع ذلكَ ابتدع بعض المسلمين بدعًا ليست من الإسلام في شيء ، كالتبرك بقبور الصالحين ، ودعائهم والذبح لهم ، والاحتفالات المنكرة في ذكرى ميلادهم ، والتزام طرق في العبادة وضعها البشر لأنفسهم ليس لها أصل ولا سند من كتاب أو سنة صحيحة وهؤلاء ضللوا أنفسهم وأضلوا غيرهم ، [فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو ما قاله] :

إن الشريعة لم تتم ، وأنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها ؛ لأنه

---

(١) سورة التكوير : الآية ٢٤ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٦٧ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٣ .

لو كانَ معتقدًا لكمالها وتمامها من كل وجه لم يبتدع ، ولا استدرك عليها ، وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم .

قال ابن الماجشون : سمعت مالكًا يقول : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة ؛ لأن اللَّه يقول : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾ فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا [١] .

والإيمان بالغيب من سمات المتقين ، لكنه لا يمكن أن يكون ذريعة إلى الإيمان بالخرافة .

وقد ابتلي الإسلام والمسلمون بنفر ممن ينتسبون إلى الإسلام يختلقون الإفك ، ثُمَّ يلصقونه بالدين من باب الإيمان بالمغيبات . وقد ذم القرآن الكريم بني إسرائيل الذين سلكوا هذا المسلك المرفوض فقال تعالى : ﴿ **وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ** ﴾ [٢] . ومن هنا فلا مجال لأصحاب الخيال الجامع أن يخدعوا النَّاس ويلصقوا بالدين ما ليس منه ، بل يجب إقصاء أمثال هؤلاء عن ميدان الدعوة الدينية ، فهم فتنة للكافرين ، وبلاء على الدين .

إن أحوال المسلمين سيئة منذ عدة قرون ، حين انتشرت البدع والخرافات في مجتمعات إسلامية عديدة ، وصار عدد غير قليل من المسلمين يعبد اللَّه بغير ما شرع ، ويتقرب بغير ما أنزل !

٣ ـ نشاط الأقليات غير المسلمة :

لقد ساعدت الجهل بالدين وانتشار البدع والخرافات على نشاط الأقليات غير

---

(١) « الاعتصام » للشاطبي ، ص ٤٨ ـ ٥١ ، مطبعة السعادة بمصر .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٠٢ .

المسلمة من اليهود والنصارى وغيرهم من أعداء الإسلام الذين خططوا وتعاونوا في التمكين للغزو الفكري واجتياحه للعالم الإسلامي مستهدفين الفرد والأسرة والجماعة والأمة بأسرها من أجل تحويل الجميع إلى تابعين يسهل إلغاء شخصيتهم ، والسيطرة عليهم ، وتغيير مفاهيمهم وعقائدهم ، واستنزاف خيرات بلادهم ، فابتدع الغربيون ما يُسمّى « بالتبشير » و« الاستشراق » اللذان ينطلق كلاهما من خلال خصومة عريقة وقوية مع عقيدة الإسلام ، وفكرة طموحة راسخة تدعوا إلى تحقيق الزعامة المسيحية ، والانتصار لكل ما هو مسيحي ، وإبعاد الإسلام عن مجالات الحياة ، ووأده في نفوس أتباعه ، والعمل على انسلاخ أهله منه .

ورأوا أنه لا يتم لهم ذلكَ إلى بعدة أمور أهمها :

١ ـ التشكيك في عقيدة الإسلام وشريعته ، والعمل على تشويه ماضيه وحاضره .

٢ ـ إحياء العصبيات الجاهلية مثل : الفرعونية ، والآشورية ، والبابلية ، والقومية العربية ، وتوسيع الفجوة بينَ المذاهب ، والفرق الإسلامية ، والحيلولة دون ردم هذه الفجوة ، والاجتهاد الدائم لتفتيت الوحدة الإسلامية .

٣ ـ محاربة اللغة العربية بشتّى الوسائل وإظهارها بصورة اللغة العاجزة المتخلفة التي لا تواكب العصر ولا تلائم العلم ، والسخرية من معلميها وترسيخ احتقارهم في نفوس العامة .

٤ ـ إنشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الفكر الإسلامي وإبعاد العناصر التي تمثل الإسلام عن مراكز التوجيه [١] .

(١) « الإسلام والدعوات الهدامة » أ . أنور الجندي ، ص ٢٤٩ ، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت .

٥ ـ تكوين طبقة من المثقفين ضعاف النفوس في بلاد الإسلام والسيطرة عليهم حتّى يتحولوا إلى العداء لكل ما هو إسلامي ، ثُمَّ العمل على دفع هذه الفئة إلى المناصب القيادية والإعلامية البارزة وتكليفهم بالتشويش والطعن في كل ما يتصل بالإسلام تحت رعاية الحرية المتوهمة وبريقها المزيف .

ولا ينبغي أبدًا أن يستكين المسلم لأفكار غريبة عن دينه ، أو يقف منها مكتوف اليدين ، معصوب العينين ، بل عليه أن يحرس عقيدته ويدافع عن دينه ، وأن يأخذ بيد غيره إلى الصراط المستقيم ، ولكنه لا يكون أهلاً لذلك ولا يقوى عليه إلاَّ إذا عرف ما يحيط به من تيارات فكرية .

والآن ننتقل إلى التعرف على بعض هذه التيارات .

الصهيونية
نشأتها وخطرها

الصهيونية نشأتها وخطرها

تمهيد

يحسن بنا في بداية هذا المبحث أن نوضح معنى هذه الألفاظ :

(يهودي ــ عبري ــ إسرائيلي ــ صهيوني) .

فأمّا لفظ « يهودي » فهو إما مشتق من « هاد » إذا تاب ورجع إلى الحق [1] .

فقد حكى القرآن دعاء موسى لقومه التائبين عن عبادة العجل في قوله تعالى : ﴿ **وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الأَخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ** ... ﴾ الآية [2] أي رجعنا عن فعلنا ، وتبنا من ذنبنا ـ وهو عبادة العجل ـ .

وعلى ذلكَ يكون لفظ « **يهودي** » لفظًا عربيًا .

وإمَّا أن يكون اللفظ (مشتقًا ومأخوذًا من « يهوذا » ، وهو اسم أحد أبناء سيدنا « يعقوب » عليه السلام ، ومن المقربين إليه ، وأكبر أولاد يعقوب عليه السلام « سنا » ،وعلى هذا يكون الاسم « اليهود » معربًا ؛ لأنه منسوب إلى اسم أعجمي هو « يهوذا »)[3] .

ويرجح بعض الباحثين نسبة اليهود إلى « يهوذا » أكبر وأشهر أبناء يعقوب عليه السلام .

وأما لفظ « عبري » فهو مأخوذ من الفعل « عبر » بمعنى قطع ومرّ ، ومن ذلكَ

---

(١) « مختار الصحاح » للرازي ص ٧٢٦ ، ط الحلبي ، ١٣٦٩هـ ١٩٥٠م .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٥٦ .

(٣) « مقارنة الأديان » أ . د . عوض الله جاد حجازي ص ٧٧ ، ط٣ ، دار الطباعة المحمدية ١٩٨٦م .

قولهم : عابر سبيل : أي الذي يمر بالطريق ويقطعه .

ويراد بكلمة « العبري » و« العبراني » لغة اليهود [١] .

وعلى ذلكَ نستطيع أن نقول : لقد تسمّى اليهود بـ « العبريين » ؛ لأنهم قوم رُحّل لا يستقرون في مكان بعينه ، وقد كانت حياتهم ـ في مراحل تاريخهم ـ تشردًا وعبورًا ، وانتقالاً وترحالاً .

فكلمة « عبري » تشير إلى تنقل اليهود وكثرة ارتحالهم ، كما تشير أيضًا إلى لغتهم .

وأما كلمة « إسرائيل » فهي كلمة عبرية مكونة من جزأين هما :

« إسرا » ومعناها : « عبد » ، و« إيل » ومعناها « اللّه » فمعنى كلمة « إسرائيل » بعد التركيب : « عبد اللّه » ، أو « صفوة اللّه » .

و« إسرائيل » هو اسم سيدنا يعقوب عليه السلام الذي ينتسب بنو إسرائيل إليه .

وقد ورد في القرآن الكريم ذكر يعقوب عليه السلام في مواضع كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ **واتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآءِي إبْراهِيمَ وإِسْحَاقَ ويَعْقُوبَ** ... ﴾ الآية [٢] ، كما ورد ذكره باسم إسرائيل في قوله تعالى : ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ ومِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ومِن ذُرِّيَّةِ إبْرَاهِيمَ وإِسْرَائِيلَ ومِمَّنْ هَدَيْنَا واجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وبُكِيًّا** ﴾ [٣] .

ولا يخفى أن اليهود قد أطلقوا هذا الاسم الديني « إسرائيل » على دولتهم التي

---

(١) « مختار الصحاح » ص ٤٣٣ ، مرجع سابق .

(٢) سورة يوسف : الآية ٣٨ .

(٣) سورة مريم : الآية ٥٨ .

أقاموها على أرض فلسطين ؛ ليخدمهم ذلكَ في تحقيق أهدافهم .

ويرى بعض الباحثين أن تسميتهم بـ « الإسرائيليين » أقدم من تسميتهم باليهود (فقد ظهر اسم « اليهودية » في عام ٥٣٨ م ، حيثُ احتل « قورش » ملك الفرس بلاد بابل ، فأطلق الفرس على شعب يهوذا اسم « اليهود » ، وأطلقوا على عقيدتهم اسم « اليهودية » ، ومن هذا التاريخ أصبحت كلمة « اليهودي » تعني من اعتنق اليهودية ولو لم يكن من بني إسرائيل ، وهذا هو الفرق بينَ اليهودي والإسرائيلي)[1] .

وجدير بالذكر أن نشير إلى أن القرآن الكريم ذكر اليهود باسم « اليهود » تارة ، وباسم « بني إسرائيل » تارة أخرى ، ولم يذكرهم باسم « العبريين » ، ففي معرض تذكير اليهود بنعم الله عليهم ، وتفضيله لهم ، ودعوتهم إلى الحق والخير يذكرهم باسم « بني إسرائيل » ، من ذلكَ قوله تعالى :﴿ **يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** ﴾ [2] .

وقوله تعالى : ﴿ **ولَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ والْحُكْمَ والنُّبُوَّةَ ورزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [3] .

وفي معرض إشارة القرآن الكريم إلى كفرهم وجحودهم وافترائهم يذكرهم باسم « اليهود » ، من ذلكَ قوله تعالى : ﴿ **وقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ولُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ...** ﴾ الآية [4] .

وقوله : ﴿ **وقَالَتِ الْيَهُودُ والنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاؤُاْ اللّهِ وأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ**

---

(١) « اليهودية » أ . د . أحمد شلبي ص ٩٢ ، القاهرة ١٩٧٨م ، ط٦ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٤٠ .

(٣) سورة الجاثية : الآية ١٦ .

(٤) سورة المائدة : الآية ٦٤ .

يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ... ﴾ الآية [١] .

وإنما كان نداء اللّه لهم عند دعوتهم إلى الهداية باسم « بني إسرائيل » تذكيرًا لهم بمقتضى هذه البنوَّة التي من شأنها أن تدفعهم إلى الحق وإلى الطريق المستقيم .

أما كلمة « صهيوني » : فهي تعني عند اليهود أرض الميعاد أي الأرض المقدسة التي يتشوق إليها اليهود . إنها تعني انتسابًا إلى جبل صهيون الذي يقع جنوب بيت المقدس ويعتقد اليهود أن الرب يسكن فيه !

فهل يطلق هذا المصطلح « صهيوني » على العائد إلى الحياة اليهودية في أي أرض كان ؟ أم على العائد إلى أرض صهيون بالذات ؟

هناك اتجاهات في هذا الموضوع :

الأول : يذهب فيه « تيودور هرتزل » إلى أن « الصهيونية » : هي العودة إلى الحياة اليهودية قبل أن تكون عودة إلى أرض صهيون [٢] .

والثاني : ما يراه الصهاينة المحدثون : من أن القضية ليست قضية عقيدة أو دين بقدر ما هي العودة الفعلية إلى جبل صهيون في فلسطين ، فلا يُسمّى « صهيوني » إلاّ من يحمل حقائبه ويعود بالفعل إلى فلسطين .

فـ « الصهيوني » عند أصحاب هذا الاتجاه الثاني غير اليهودي ومختلف عنه :

ذلكَ أن « اليهودي » هو مَن يعتنق الديانة اليهودية وينتمي إلى أي جنسية أُخرى ويذوب فيها بحيث يفقد تمامًا عاداته وتقاليده وحياته اليهودية بينما

---

(١) سورة المائدة : الآية ١٨ .

(٢) « ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية » ١/٧٨ ـ القاهرة .

« الصهيوني » هو الذي يذهب بالفعل إلى جبل صهيون بإسرائيل ، ويقيم به متمسكًا بالديانة اليهودية .

وعلى هذا فما يظنه البعض من أن « الصهيوني » هو « اليهودي » الذي يؤمن بضرورة قيام دولة إسرائيل ، ويبذل جهده في المساعدة على تحقيق ذلكَ حتّى لو بقي كما هو يهوديًا انجليزيًا ، أو فرنسيًا ، أو أمريكيًا هو ظن خاطيء عند مفكري اليهود وقادتهم ، فيُسمى « بن جوريون » هذا النوع بأنه صهيونية مزيفة ، إذ الصهيوني الحقيقي في نظره هو الذي يترك مقامه أيًّا كان ويرحل إلى إسرائيل .

يقول بن جوريون : « أمَّا أولئك اليهود الذين يعتبرون أنفسهم جزءً من الشعب الأمريكي ، أو الإنجليزي ، أو الفرنسي ـ أولئك اليهود الذين لا يعتقدون أنهم يعيشون في منفى ولا يرون مستقبلهم ومستقبل أولادهم وأحفادهم لا يمكن أن يوجد إلاَّ في إسرائيل ، هؤلاء اليهود جميعًا إنما يذوبون تدريجيًا في حضارة غير يهودية ولغة غير يهودية .

إن هؤلاء الذين يطلقون على أنفسهم ـ كذبًا ـ لقب الصهيونيين بحكم انتمائهم إلى منظمات تحمل هذا الاسم هي في الحقيقة خطر على مستقبل اليهودية ... » .

وقد أكدت ذلكَ جولدا مائير حين قالتْ : « بعد قيام دولة صهيون لا يمكن أن يعد صهيونيًا إلاَّ ذلكَ الذي يحمل حقائبه ويأتي على الفور » (١) .

ولنا بعد ذلكَ أن نسأل :

هل الصهيونية حركة دينية ؟ أو حركة سياسية ؟!!

سوف يظهر لنا ذلكَ عند الحديث عن نشأتها .

---

(١) راجع في ذلكَ كتاب : « إسرائيليات » لأحمد بهاء الدين ص ٥٤ ، ٥٦ ، ط دار الهلال بالقاهرة .

نشأة الصهيونية

لقد قام اليهود بتحريف النصوص الأصلية لديانة موسى عليه السلام فزادوا فيها ، ونقصوا منها ، وغيروا وبدلوا ، واختلقوا من عند أنفسهم ما لم يأت به الله ...، وكان القرآن الكريم شاهدًا عليهم ، مهتمًا بفضح حقيقة أمرهم ، وكشف زيغهم وغيهم .

قال تعالى : ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ونَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ ...** ﴾ الآية (١) .

وقال تعالى : ﴿ **قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَآءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ...** ﴾ الآية (٢) .

وقال تعالى : ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ** ﴾ (٣) .

لقد بدل اليهود في ديانتهم بحيث لو بُعث موسى وأتباعه الأولون ما عرفوها ، من كثرة ما لحق بها من تحريف وتزييف ، ولقد ذكرت ذلكَ الآن حتّى تتضح لنا صلة اليهود بدينهم وحقيقة الديانة التي ارتضوها لأنفسهم . فإذا ما ذكرت في كلامي عن نشأة الصهيونية أن لها صلة بالديانة اليهودية كانت صورة هذه الديانة المحرفة ثابتة وواضحة في الأذهان . والذي يظهر لي أن « الصهيونية » مذهب ديني وسياسي في آن واحد : فقد وضع اليهود في التوراة نصوصًا تمجد العودة إلى جبل صهيون بفلسطين ،

(١) سورة المائدة : الآية ١٣ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ٩١ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٧٩ .

وهو أحد جبال أربعة أقيمت عليها مدينة « أورشليم » ـ أي مدينة السلام ـ وهو الاسم القديم لبيت المقدس ، ويعتقد اليهود ـ ضمن اعتقادهم الفاسده ـ أن الإله الذي يعبدونه واسمه عندهم « يهوه » يقيم في جبل صهيون .

وتصور اليهود أن العودة إلى جبل صهيون وإعادة بناء الهيكل سوف تكون على يد « المسيح المنتظر » الذي ينتظره اليهود ؛ ليخلصهم مما يقاسون من عنت وبأس ويبشرهم بغفران اللّه لهم بعذ تطهيرهم من المعاصي التي أنغمسوا فيها ردحًا طويلاً من الزمان .

كما يزعم اليهود أن اللّه استخلفهم في الأرض وأورثهم أقطارها وشعوبها وهذا حق مقدس ثابت لهم لا ينقض ولا يمس . ولهذا فإن الدول القائمة كلها هي دول مغتصبة ومزورة .

والواجب على اليهود في كل مكان أن يجاهدوا لاسترداد حقهم في فلسطين أرض الميعاد تحت إمرة ملك من نسل « داود » . فإذا استتب لهم الأمر في فلسطين اتخذوا ملكهم فيها قاعدة لملكهم العالمي السرمدي المأمول ، وأجبروا الدول والحكومات العالمية على التسليم لهم والاستسلام لإرادتهم المستمدة من إرادة اللّه !! وعلى هذا فقد تحرك بنو إسرائيل باسم التوراة المحرفة ، وزعموا أن الأرض المقدسة ميراث لهم ، وأن العرب مغتصبون يجب إخراجهم منها وطردهم من ديارهم وأموالهم التي هي لهم من عشرات القرون إلى حيثُ لا حاضر ولا مستقبل .

(ويستند اليهود في دعواهم العودة إلى أرض الميعاد فلسطين بأن ذلكَ ثابت من أحداث التاريخ في :

ـ محاولة موسى ـ عليه السلام ـ دخول فلسطين مع الأسباط الهاربين من مصر .

ـ ثُمَّ غزوة يوشع لفلسطين . ثُمَّ تأسيس مملكة اليهود الأولى في عهد شاؤول .

- ثُمَّ عودة اليهود من بابل بعد السبى بزعامة زرو بابل .

- ثُمَّ ثورات اليهود في فلسطين ضد حكم البطالسة والرومان .

- ثُمَّ محاولات اليهود في العصور الحديثة شراء أراضي في فلسطين ، يمارسون فيها حياة الاستقرار .

- وأخيرًا إنشاء دولة إسرائيل الحالية .

ويزعمون أن هذه كلها حركات صهيونية خالصة .

أمَّا الشق الثاني وهو العودة على يد المسيح المنتظر .. فإن من الحركات الصهيونية البحتة حركة « سبتاي زيفى »(١) الذي قام في « سالونيك »(٢) عام ١٦٦٦م مدعيًا أنه المسيح المنتظر ابتغاء تجميع اليهود تحت زعامته لتحقيق نبوءات التوراة .

وعلى هذا فإن جذور الصهيونية تمتد إلى أعماق التاريخ اليهودي . والطابع الديني هو السمة الأصلية لنظرية الصهيونية ، ويعترف الدكتور سلومون شختر « ١٨٤٧ - ١٩١٥ م » بهذه الحقيقة حيثُ يقول : حيثما يكون الصهيونيون عاملين نشيطين تكون اليهودية حية عاملة) (٣) .

وبذلك يتضح لنا البعد الديني للمذهب الصهيوني ، والذي قام على نصوص التوراة وتعاليم « التلمود » (٤) و« الكبالا » (٥) كما قام أيضًا على المصدر الديني السري

---

(١) أحد حاخامات اليهود وعلمائهم الدينيين .

(٢) مدينة تابعة لدولة الخلافة العثمانية .

(٣) « أساليب الغزو الفكري » د . علي جريشة ، محمد شريف ص ١٥١ ، ١٥٢ بتصرف دار الاعتصام بالقاهرة .

(٤) يرى اليهود أن موسى جاء بكتابين : **الأول** : كتاب مكتوب هو التوراة التي كتبها الله في الألواح .

والثاني : كتاب شفوي هو التلمود ، وهو تعاليم علمها الله لموسى أثناء لقائه به عند جبل طور سيناء ، والحقيقة أن التوراة محرفة ، وأن التلمود لا يكتبه إلاَّ أفاك مخمور .

(٥) **الكبالا** : كتاب يتوارثه اليهود منذ القدم يعالج التصوف اليهودي عن طريق السحر .

الحديث وهو المسمّى « **بروتوكولات حكماء صهيون** » .

ومعنى كلمة « **بروتوكول** » : قرار ، أو محضر جلسة ، أو محاضرة ، أو مسودة خطة العمل .

وهذه « البروتوكولات » عبارة عن مجموعة من المحاضرات ألقاها حكماء اليهود وعلماؤهم على أعضاء المؤتمرات اليهودية التي عقدها اليهود ؛ لجمع شملهم والتخطيط لسيطرتهم على العالم .

إن هذه « البرتوكولات » هي (دستور الحركة الصهيونية العملي وهي تمثل المباديء الصهيونية المبعثرة ، مصاغة في تبويب موضوعي مركز .. ، وهذه خلاصة ما جاء في « البروتوكولات » [١] :

١ ــ إشاعة الفوضى الشاملة :

جاء في البروتوكول الخامس : إننا نقرأ في قاموس الأنبياء أن اللّه اختارنا لحكم العالم ، وقد وهبنا اللّه العبقرية لنقوم بهذا العمل ... ، وإن الذي يحكم يجب أن يلجأ إلى الحيلة والنفاق ، وفي السياسة تستحيل الصفات الإنسانية : من أمانة وصدق إلى رذائل تؤدي إلى سقوط الملك عن عرشه ... يجب أن يكون شعارنا : جمع وسائل القوة والنفاق ، يتحتم أن يكون البطش هو المبدأ ، والحيلة والنفاق هما القاعدة لدى الحكومات التي لا تريد أن تضع تاجها تحت أقدام أعوان أي حكم جديد ... وهذا الشر هو السبيل الوحيد لبلوغ الخير ، فعلينا ألاّ نتردد أمام شراء الذمم والغدر والاحتيال إذا كان ذلكَ يخدم قضيتنا) . ولا شك أن ذلكَ عندما يطبق تنشأ عنه الفوضى في العالم ويتسلل اليهود من خلالها .

(١) انظر في ذلكَ : « أساليب الغزو الفكري » ص ١٧٠ وما بعدها بتصرف ، (مرجع سابق) .

٢ ـ إثارة الفتن والوقيعة بينَ شعوب العالم ودوله :

جاء في البروتوكول العاشر : (يجب بث الاضطرابات بصفة مستديمة في العلاقات القائمة بينَ الشعب والحكومات ، وإشاعة الأعمال العدوانية والأحقاد ، وحتى عذاب الجوع والحاجة والأمراض لدرجة لا يرى معها غير اليهود مخرجًا للأرزاء « المصائب » التي تحل بهم سوى الإلتجاء إلى أموالنا وإلى سيادتنا المطلقة) .

وفي البروتوكول الحادي عشر : (غير اليهود كقطيع من الأغنام ، أما نحن فإننا الذئاب ، وهل تعلمون ما تفعل الأغنام إذا اقتحم الذئاب حظيرتها ؟ إنها تغمض عينيها ، وسندفعهم إلى ذلكَ) .

ولقد كشف الحاخام « عما نوئيل رابينوفتش » عن خطة الصهيونية في هذا المجال حين ألقى خطابه بمؤتمر الربانيين بمدينة « بودابست » سنة (١٩٥٤م ـ١٣٧٣هـ) حيثُ قال : (هل تذكرون حملاتنا الدعائية الناجحة عام ١٩٣٠م ، لقد أثارت الحقد على الأمريكيين في ألمانيا والألمانيين في أمريكا ، وهذا هو ما أدى إلى نشوب الحرب العالمية الثانية ، وقد شرعنا في شن حملات مماثلة في سائر أنحاء العالم ، فأثرنا في روسيا موجة من الحقد ضد الولايات المتحدة ، وفي نفس الوقت أثرنا في الولايات المتحدة شعورًا بالخوف والتوجس إزاء الشيوعيين ، وتؤدي هذه الحملات إلى دفع الدول الصغيرة إلى تحديد موقفها : إمَّا مع روسيا ، وإمَّا مع أمريكا) .

وهذا تطبيق صريح لما رسمته البروتوكولات في هذا المجال .

٣ ـ الإرهاب الفكري وإفساد الرأي العام :

يشرح البروتوكول الخامس كيفية إفساد الرأي العام وبلبلة الأفكار فيقول :

(ولكي نطمئن إلى الرأي العام يجب أن نربكه تمامًا فنسمعه من كل جانب ، وبشتى الوسائل آراء متناقضة لدرجة يضل معها غير اليهود الطريق ..) .

وفي البروتوكول السابع : (يجب أن نقوم بالتأثير على الحكومات غير اليهودية عن طريق ما يسمونه « الرأي العام » الذي هيأناه عن طريق أعظم قوة ، وهي الصحافة التي ـ فيما عدا بعض الحالات الاستثنائية التي لا قيمة لها ـ توجد كلها في قبضتنا) .

وفي البروتوكول الثاني :(..نحن الذين هيأنا « داروين » ، و« ماركس » ، و« نيتشه » ولم يفتنا تقدير الآثار السيئة التي تركتها هذه النظريات في أذهان غير اليهود) .

لقد استباح اليهود جلال العلم ؛ لإشباع حقدهم ونزواتهم بإفساد العقول والأخلاق ، والعبث بالقيم والفضائل ، فابتدعوا النظريات العلمية التي تسوغ لهم ما يبيتون من مكر وكيد وآراء هدامة : فاليهودي « **كارل ماركس** » وراء الشيوعية التي تهدم الأخلاق والأديان ، واليهودي « **دور كايم** » وراء علم الاجتماع الذي يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة ويحاول أن يبطل آثارها في تطور الفضائل والآداب ، واليهودي « **سارتر** » وراء الوجودية التي جنح بها إلى الحيوانية التي تصيب الفرد والجماعة بآفات السقوط والانحلال ... إلى غير ذلكَ مما فعله اليهود في مجالات العلم والفكر والرأي العام .

٤ ـ إشاعة الفوضى وإفساد المجتمع :

وسوف نكتفي ـ هنا ـ بذكر ما جاء في البروتوكول التاسع : (لقد أتلفنا الجيل الحاضر من غير اليهود وأفسدنا خلقه بتلقينه المباديء والنظريات التي نعلم أنها مباديء ونظريات فاسدة ، وعملنا على ترسيخها في ذهنه ، ودون أن نعمل على تعديل القوانين

القائمة ، فعلاً أمكننا التلاعب بها وتفسيرها التفسير الذي لم يخطر على بال واضعيها للحصول على نتيجة فعالة) .

٥ ـ افتعال الأزمات الاقتصادية :

يفصل البروتوكول الثالث : السلاح الاقتصادي الذي يستعين به اليهود على تفويض الحكومات (وسنعمد إلى خلق أزمة اقتصادية عالمية بكافة الطرق الملتوية الممكنة ، بواسطة الذهب الذي يجري بينَ أيدينا) .

وتقرأ في البروتوكول السادس : (وسنعمل على تقويض الإنتاج من أساسه ، عن طريق نشر الفوضى بينَ العمال وتحريضهم على شرب الخمر ، كما أنه لا بدَّ من استخدام جميع الوسائل الممكنة ؛ لطرد الأذكياء من غير اليهود من وجه البسيطة) .

٦ ـ القضاء على الأديان :

جاء في البروتوكول الرابع عشر : (عندما نصبح أسياد الأرض لا نسمح بقيام دين غير ديننا .. من أجل ذلكَ يجب علينا إزالة العقائد ، وإذا كانت النتيجة التي وصلنا إليها مؤقتًا قد أسفرت عن خلق الملحدين فإن هدفنا لن يتأثر بذلك ، بل يكون ذلكَ مثلاً للأجيال القادمة التي ستستمع إلى دين موسى ، هذا الدين الذي فرض علينا مبدأه الثابت النابه وضع جميع الأمم تحت أقدامنا) .

وجاء في البروتوكول السابع عشر : (.. وسنعمل على أن يكون دور رجال الدين وتعاليمهم تافهًا ، ونجعل تأثيرهم في نفوس الشعب فاترًا إلى حد يجعل أثر تعاليمهم عكسيًا) .

وتهدف الصهيونية إلى النيل من الإسلام بعد النيل من المسيحية ، وتكرس جهودها لذلك . ففي التلمود : (حيثُ إن المسيح كذاب ، وحيث إن محمدًا اعترف

به ، والمعترف بـالكذاب كـذاب مثلـه ، فيجـب أن نقـاتل الكـذاب الثـاني كمـا قاتلنـا الكذاب الأول) .

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ افتراءً وكذبًا .

لقد كانت التعاليم اليهودية المختلفة ـ وخاصة ما تضمنته هـذه البروتوكولات ـ سببًا في تألب الرأي العام الأوربي على اليهود وما نتج عن ذلكَ من تعذيـب واضطهـاد لليهود بسـبب أطمـاعهم العدوانيـة ، وتعـاليمهم الفاسـدة ، ورغبتهـم الجامحـة في نشـر الفساد والخراب في شتى بقاع الأرض .

ولكن اليهود استغلوا التغيرات السياسـية الـتي طرأت علـى العـالم خـلال القـرن الماضي : حيثُ تفجرت الحركـات الاستقلالية في أوربا ، وارتفعت شـعارات تنـادي بحقوق الإنسـان ، وتبنـت ذلـكَ الثورتـان الأمريكيـة والفرنسـية ، ونشـطت الحركـات القومية ، وراجت نظرياتها خلال القرن التاسع عشـر الميـلادي فطـالب اليهـود جهـارًا بالسماح لهم بالهجرة إلى فلسطين باعتبارها وطنًا قوميًا لهـم ، يمارسـون فيـه حقوقهـم القومية بعيدًا عن ويلات الاضطهاد والتعذيب التي حـاقت بهـم ولاحقتهـم علـى مـدى التاريخ وكان موسى هيس (١٨١٢ ـ ١٨٧٥م) اليهودي الألماني هـو أول مـن نـادى بالقومية اليهودية ، يحاول أن يربط بها بينَ أشتات اليهود أينما اسـتقروا ، وجعـل منهـا الدعامات السياسية للحركة الصهيونية .

والمسوغات الاجتماعية والسياسية التي استحدثها اليهـود الصهيونيـون للاسـتيلاء على فلسطين تتلخص في ثلاثة أنواع رئيسية من الحقوق :

١ ــ حق القومية اليهودية في التوطن في صعيد واحد يجمع شمل اليهود .

٢ ــ حـق اليهـود التـاريخي في العـودة إلى فلسـطين وطـن أسـلافهم الـذي

شردوا منه .

٣ ـ الحق الإنساني في تجنيب اليهود ما يلاقون من اضطهاد عنصري أينما استقر المقام بأوزاعهم في فجاج الأرض (١) .

لقد كان هدف اليهود المضطهدين أن يجتمعوا في دولة يهودية تضمهم يتحصنون بها ، ويمارسون فيها حياتهم بعيدًا عن أي اضطهاد ، ولا يهمهم أن تكون هذه الدولة بأي مكان من العالم . بدليل أنهم قبلوا مبدئيًا قيام دولة لليهود في « أوغندا » (٢) .

فلما وجد اليهود تعاطفا من المجتمع الدولي حيال ما عانوه من صنوف الذل والاضطهاد أظهروا ـ على الفور ـ رغبتهم الدفينة في امتلاك فلسطين ، وأنهم لا يرضون بغيرها بديلا .

وهكذا يتضح لنا أن الصهيونية ـ قديمًا وحديثًا ـ هي فكرة دينية وسياسية في آن واحد .

والغريب أن تجد اليهود لا يفصلون بينَ الدين والسياسة ، وفي نفس الوقت هم دعاة « العلمانية » والمروجون لها ، وهي فكرة تقوم على فصل الدين عن الدولة ، وإبعاد الدين عن مجالات الحياة ، أليس عجيبًا أنهم يقرنون الدين بالسياسة ويدعون غيرهم إلى الفصل بينهما ؟!

إن دل ذلكَ على شيء فإنما يدل على سوء نيتهم ، وخبث سريرتهم .

---

(١) « أساليب الغزو الفكري » ص ١٦١ (مرجع سابق) .

(٢) راجع : « الدولة اليهودية » ـ تيودور هرتزل ، ط القاهرة .

خطر الصهيونية وأثرها على الإسلام والمسلمين

لا شك أن الصهيونية أخطر المذاهب الدينية والسياسية التي شقيت بها البشرية عبر تاريخها الطويل . وذلك بما تحمله في طياتها من تمييز عنصري ، وقهر سياسي ، واحتكار فكري ومادي وفساد ديني وأخلاقي . وقد تشابكت هذه العناصر في صورة مظلمة قاتمة غَطت معالم الإنسانية ، وحجبت محاسن القيم الإخلاقية التي نادت بها الأديان السماوية ، ودفنت الفطرة الإنسانية تحت ركام من الأساطير والخرافات .

إنها لا تقتصر على اختلاق دولة يهودية في فلسطين ، ولكنها تهدف إلى السيطرة والسيادة على جميع أقطار العالم . والوسائل المستخدمة في تحقيق الأهداف خطيرة وقذرة ومنكرة : فهي تعتمد أساسًا على تقويض أركان المجتمع العالمي وبث عناصر الانحلال تعبث في أوصاله ، وإشاعة الفوضى الإجتماعية والفكرية في أرجائه حتّى إذا تداعت قيمه ، وفقد مقوماته ، تهاوي خائرًا مستسلمًا في خراب فكري وفراغ سياسي .

وعندئذ ينبعث اليهود من غمار الفوضى التي تردى فيها العالم ليمسكوا بزمام حكمه ، ويقيموا دولة عالمية تتكون من طبقتين :

الأولى : هم اليهود ـ شعب اللّه المختار ـ يتربعون على عرش السيادة ، وفي يدهم صولجان الحكم .

والطبقة الثانية : من أناس غير اليهود من أي أمة أو عرق ، وهم جميعًا عبيد لليهود خاضعون لهم ومسخرون لقضاء مصالحهم .

والغريب أن اليهود يربطون بينَ أطماعهم وأهدافهم ، وبين النصوص الدينية في كتبهم بعد الذي ألحقوه بها من تحريفهم وزيغهم . ولا يقتصر ذلكَ على ما ورد في

« بروتوكولات حكماء صهيون » التي ذكرنا بعض نصوصها آنفًا ولكنك تجده أيضًا في التوراة والتلمود .

وخلاصة التوجيه المستمد من الكتابين معًا أن اليهود شعب متميز عن كل أهل الأرض ؛ لأنه شعب اللّه المختار ، الذي اختاره اللّه لمزايا معينة تتوفر فيه ولا تتوفر في غيره ، وأن من حقه ـ إن لم يكن من واجبه ـ أن يسود العالم كله ويسيطر عليه ويتخذه عبيدًا له . مسخرين لقضاء مصالحه وتحقيق أهدافه .

وربما كان أبرز عبارتين في التوراة والتلمود ، تشكلان الوضع اليهودي ـ أو قل إن شئت (الأزمة اليهودية) ـ هما قول التوراة : « وكلم الرب الإله إسرائيل قائلاً : سأنزل يا إسرائيل ، وأضع السيف في يدك ، واقطع رقاب الأمم واستذلها لك » .

وقول التلمود : الأميون ـ كل الأمم من غير اليهود ـ هم الحمير الذين خلقهم اللّه ؛ ليركبهم شعب اللّه المختار ، وكلما نفق حمار ركبنا حمارًا آخر » !

هذا هو التوجيه ، وهذه هي أزمة البشرية مع اليهود [١] .

لقد اعتقد كهان بني إسرائيل أن العالم خُلق من أجلهم ، وأن مآله إلى الخضوع لحكمهم ، والوقوع تحت سيطرتهم .

وهذه أوهام كاذبة ، لأقوام ظالمة ، لا يخفى على العقلاء كذبها ولا على العالمين ظلمها . قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾ [٢] .

---

(١) « رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر » أ . محمد قطب ص ٦٦ ، دار الوطن للنشر بالرياض .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٢٤ .

ولكنهم ما ضون في تنفيذ سياستهم وتحقيق أطماعهم ، ويرتكز منهجهم في ذلكَ على أمور أربعة :

أ ـ السيطرة في مجال الفكر والعقيدة .

يركز اليهود على وسائل الإعلام المقروءة ، والمرئية والمسموعة ؛ للترويج لابتداعهم ونشر باطلهم ، وتهيئة الأذهان وتطويعها لأغراضهم وأهوائهم ، سواءً كانت هذه الوسائل الإعلامية يهودية صريحة أو منظمات وجمعيات سرية تعمل لحساب الصهيونية . التي تنفق بسخاء في هذا المجال أملاً في إثارة الفتن ، وإشاعة الفوضى الفكرية ، والشكوك العقلية ، وهدم العقائد الصحيحة والاتصاف بالأخلاق القبيحة !

ولما كان اليهود يؤمنون بأن (الدين) هو الخطر الأكبر الذي يتهددهم فقد كرسوا جهودهم لهدمه وإزالته من نفوس البشر وإحلال المادية الصرفة محله بحيث تصير الماديات والشهوات هي الدين الذي يدين به الإنسان !

والأمثلة الدالة على عمل اليهود في هذا الميدان كثيرة أهمها :

١ ـ إشاعة النظريات الإلحادية وتشجيعها .

لقد استخدموا العلم في إشباع حقدهم ونزواتهم بإفساد العقول وهدم الأخلاق ، فابتدعوا نظريات علمية تعبر عن كيدهم ومكرهم وإرادة الشر والسوء لغيرهم ، كنظرية « فرويد » الجنسية اللا أخلاقية ، ونظرية « ماركس » الشيوعية ؛ لهدم الأديان ، ونظرية « دور كايم » التي تلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة وتسلب الأسرة أي تأثير في تطور الفضائل والآداب ، ونظرية « سارتر » في الوجودية التي حولت الإنسان إلى الحيوانية ، وغير هؤلاء كثير من اليهود الذين نشروا الإلحاد والمجون في ربوع العالم .

يقول اليهود : (لاحظوا هنا أن نجاح « داروين » ، و« ماركس » ، و« نيتشة » قد رتبناه من قبل ، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي سيكون واضحًا لنا على التأكيد .. لقد خدعنا الجيل الناشيء من الأمميين ، وجعلناه فاسدًا متعفنًا بما علمناه من مباديء ونظريات معروف لدينا زيفها ، ولكن نحن أنفسنا الملقنون لها) (١) .

٢ ـ الحط من كرامة رجال الدين والحد من تأثيرهم .

حيثُ يحرصون على إظهار رجل الدين الإسلامي بالذات في صورة تدعو إلى الاشمئزاز والسخرية ، وبالتالي يقل تأثيره على النّاس ، ومن جهة أخرى فهم لا يسمحون لرجال الدين إلاَّ بتناول قدر قليل من جوانب الحياة المختلفة ، الأمر الذي يقلل من أهمية الدين ، ويقلل من مكانة علمائه .

يقول اليهود : (.. وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من رجال الدين من الأمميين في أعين النَّاس ، وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة كئود في طريقنا وإن نفوذ رجال الدين على النَّاس ليتضاءل يومًا فيومًا ... سنقصر رجال الدين وتعاليمهم له على جانب صغير جدًا من الحياة ، وسيكون تأثيرهم وبيلا سيئًا على النَّاس ، حتَّى أن تعاليمهم سيكون لها أثر مناقض للأثر الذي جرت العادة بأن يكون لها) (٢) .

٣ ـ السيطرة على الصحافة العالمية ودور النشر .

وذلك لما لها من أهمية في توجيه الرأي العام والتأثير فيه يقول اليهود : (ولكي نعزز خطتنا العالمية الواسعة التي تقترب من نهايتها المشتهاة ـ يجب علينا أن

---

(١) « الخطر اليهودي » محمد خليفة التونسي ص ١٣٢ ، ١٥٩ ، ط٣ ، بالقاهرة .

(٢) « الخطر اليهودي » ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ (مرجع سابق) .

نتسلط على حكومات الأمميين بما يقال له الآراء العامة التي دبرناها نحن في الحقيقة من قبل ، متوسلين بأعظم القوى جميعًا وهي الصحافة . وإنها جميعًا لفي أيدينا إلاَّ قليلاً لا نفوذ له ولا قيمة يعتد بها ..) [١] .

وجاء في البروتوكول الثاني عشر : سيكون علينا كذلك أن نظفر بإدارة شركات النشر الأخرى ؛ لأنه لن ينفعنا أن نهيمن على الصحافة الدورية بينما لا نزال عرضة لهجمات النشرات والكتب ... وما من أحد سيكون في منجى من العقاب إذا ما جرؤ على المساس بكرامة عصمتنا السياسية ، وسنتعلل لدى مصادرة النشرات بالحجة الآتية :

« تلك النشرة تثير الرأي العام » [٢] .

إن الصهيونيين يعتمدون اعتمادًا كبيرًا على وسائل الإعلام ، ويرون في الدعاية الصاخبة تأثيرًا أقوى وفائدة أكثر . يقول : هرتزل في مذكراته : الضجة هي كل شيء ، والحق أن الضجيج يؤدي إلى الأعمال الكبيرة .

٤ ـ محاربة الإسلام .

تعلن الصهيونية حربها على الأديان الصحيحة بوجه عام إلاَّ أنها تولي عناية خاصة في حربها ضد الإسلام ؛ لما له من قوة وثبوت وقبول لدى آلاف الملايين من البشر في هذا العصر الحديث الذي تراجعت فيه الأديان الأخرى وفقدت جل أتباعها ؛ لبعد هذه الأديان عن الحق والحجة والإقناع .

فعمدت الصهيونية إلى إجبار التلاميذ المسلمين في فلسطين على دراسة اللغة

(١) « الخطر اليهودي » ص ١٥٢ (مرجع سابق) .

(٢) « القوى الخفية في السياسة العالمية » ل . فراي ـ ترجمة محمد كمال ثابت ص ١٥٠ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

العبرية والديانة اليهودية ومنعتهم من دراسة التاريخ الإسلامي وحفظ القرآن الكريم ! .

(وتطاولت إسرائيل على القرآن الكريم فطبعت في عامي ١٣٨٠ ، ١٣٨٨هـ نسخًا مزورة من المصحف الشريف ، أسقطت منها بعض الألفاظ ، أو بعض الآيات ، وأحيانًا سورة بحذافيرها ، أو تناولت بعض الألفاظ بالتحريف ـ تبتغي بذلك تحريف بعض المعاني القرآنية ، والتشكيك في سلامة كتاب اللّه ـ بيد أن المسلمين كانوا بالمرصاد حريصين على تعقب كل ما يصدره أعداء اللّه من طبقات محرفة من المصحف والحيلولة دون تداولها)[1] .

لقد حرص اليهود منذ زمن بعيد على إفساد شريعة الإسلام وتشويه مصدر أحكامه ، واستخدموا في ذلكَ ما وسعهم من صنوف الحيل والوسائل : فتارة باعتناق الإسلام نفاقًا ورياءً بهدف العمل على هدم الإسلام ، وتشويه صورته ، وتارة بإلحاق الأفكار الهدامة والروايات الباطلة ببعض أمهات الكتب الإسلامية ، وهو ما يعرف عند المسلمين بـ « الإسرائيليات » وهي كل ما دسه اليهود على كتب التفسير ، وكتب الحديث الشريف من تأويلاتهم الباطلة ، وأساطيرهم وخرافاتهم طمعًا في تشويه حقائق الإسلام الناصعة ، وتارة أخرى عن طريق الجمعيات والمنظمات السرية التي ينفثون من خلالها سمومهم .

ب ـ السيطرة على الاقتصاد العالمي .

أدرك اليهود أكثر من غيرهم أن المال عصب الحياة في المجتمعات ، فأقبلوا على جمعه في نهم شديد وبلغوا حدًا كبيرًا في التصوف المادي . واتخذوا المال وسيلة للسيطرة والتحكم في مقدرات العالم .

---

(١) « أساليب الغزو الفكري » ص ١٧٥ (مرجع سابق) .

ويشير البروتوكول الثامن إلى أهمية المال عند اليهود فيقول : (إننا سنحيط حكومتنا بجيش كامل من الاقتصاديين ، وهذا هو السبب في أن علم الاقتصاد هو الموضوع الرئيسي الذي يعلمه اليهود ، وسنكون محاطين بألوف من رجال البنوك وأصحاب الصناعات ، وأصحاب الملايين وأمرهم لا يزال أعظم قدرًا ، إذ الواقع أن كل شيء سوف يقرره المال .

... ـ وجاء في البروتوكول الخامس ـ .. وعلم الاقتصاد السياسي الذي محصه علماؤنا الفطاحل قد برهن على أن قوة رأس المال أعظم من مكانة التاج ، ويجب الحصول على احتكار مطلق للصناعة والتجارة

ليكون رأس المال مجالاً حرًا ، وهذا ما تسعى لاستكماله فعلاً يد خفية في جميع أنحاء العالم ..) [1] .

لقد أحكم اليهود سيطرتهم على البنوك ، وبيوت المال ، ووجهوا النشاط الصناعي ، والتجاري لمصالحهم الخاصة ، ودعم نفوذهم السياسي ، واستخدموا لتحقيق ذلكَ أي وسيلة تتاح أمامهم ، مهما كان الحكم عليها . فلا مانع عندهم من الاحتكار ، والمضاربات المالية الانتهازية المستغلة ، والإقراض بالربا الفاحش ، وإشاعة الفقر ، والإفلاس ، وارتفاع الأسعار ، وشراء الذمم والضمائر ؛ توصلاً إلى أهدافهم وأطماعهم .

جـ ـ السيطرة في المجال السياسي .

رغم تركيز اليهود على شئون المال والاقتصاد ، ورغم أن اهتمامهم بذلك يفوق اهتمامهم بأي شيءٍ آخر ، إلاّ أن سيطرتهم على مصادر المال وموارده مكنتهم من

(١) « الخطر اليهودي » ص ١٤٥ ، ١٥٤ (مرجع سابق) .

السيطرة الاقتصادية والسياسية في آن واحد . واستطاعوا عن طريق المال اليهودي أن يتسللوا ـ بدهاء خارق ـ إلى وظائف السلطان ، وأن يمسكوا بدفة الحكم وتوجيهها الوجهة التي يريدون .

وقد سجل التاريخ الطويل تسللهم (إلى المناصب الإدارية العليا ، والمراكز السياسية المرموقة سواء في الدول الإسلامية ، أو المسيحية في المشرق والمغرب ، فكان منهم خواص الأطباء في بلاط الملوك والأمراء ، وكان منهم المستشارون والسياسيون والخبراء الماليون .. وقد استطاعوا عن طريق رجالهم الذين وصلوا إلى المناصب الدولية الهامة أن يحصلوا من الحكومة البريطانية على « وعد بلفور » بقيام وطن قومي لليهود في فلسطين ، وأن يهيئوا لأنفسهم في ظل احتلال بريطانيا فلسطين الدعامات السياسية والعسكرية والاقتصادية التي قامت عليها دولة إسرائيل .. واستطاعوا بعد ذلكَ أن يحصلوا ـ عن طريق رجالهم وعملائهم أيضًا ـ على تأييد الولايات المتحدة الأمريكية لكل مشروعاتهم وسياساتهم ، وأن يظفروا بأصوات الكثرة من أعضاء هيئة الأمم المتحدة حين طرح عليها الاعتراف بدولة إسرائيل المغتصبة) [١] .

لا يكف اليهود عن محاولة التدخل في أنظمة الحكم في العالم ، والاجتهاد في جعل حكومات تحكم بطريقة خاصة ، وضع اليهود أصولها ، ورسموا خطتها بحيث تؤدي في النّهاية إلى العداء والصراع بينَ الشعب وحكومته وبالتالي سقوط هذه الحكومات في أيد يهودية تفعل بها ما تشاء .

وقد جاء في البروتوكول العاشر ما يشير إلى ذلكَ : (إن حكمنا سيبدأ في اللحظة حين يصرخ النّاس الّذين مزقتهم الخلافات ، وتعذبوا تحت إفلاس حكامهم ـ هذا ما سيكون مدبرًا على أيدينا ـ فيصرخون هاتفين اخلعوهم ، وأعطونا حاكمًا

---

(١) « أساليب الغزو الفكري » ص ١٦٥ (مرجع سابق) .

عالميًا واحدًا يستطيع أن يوحدنا ، ويمحق كل أسباب الخلاف ، وهي الحدود والقوميات والأديان ، والديون الدولية ونحوها ، حاكمًا يستطيع أن يمنحنا السلام والراحة اللذين لا يمكن أن يوجدا في ظل حكومة رؤسائنا وملوكنا وممثلينا .

ولكنكم تعلمون علم اليقين أنه لكي يصرخ الجمهور بمثل هذا الرجاء لا بد أن يستمر في كل البلاد اضطراب العلاقات القائمة بينَ الشعوب والحكومات ..) [(١)] .

ولا شك أن هذه السيطرة السياسية لليهود بكل صورها تساهم مساهمة فعالة في تحقيق الحكم العالمي الذي تتطلع إليه الصهيونية .

د ـ السيطرة في المجال العسكري .

يعمل اليهود جاهدين ـ منذ زمن بعيد ـ على إعداد جيش يهودي قوي مزود بأحدث الأسلحة والمعدات الحربية ؛ لحماية دولتهم من جهة ، وللتوسع العدواني بالغزو المسلح من جهة أخرى .

(وقد بدأت الصهيونية بالإعداد ؛ لتكوين الجيش إبان الحرب العالمية الأولى عندما شكلت فيلقًا يهوديًا من تسعمائة جندي انضم إلى فرق النقل في الجيش البريطاني وعرف باسم « فرقة البغالة الفلسطينية » ، واشتركت في عملية « غاليبولي » في تركيا .. ثُمَّ سرحت سنة (١٣٣٥هـ ـ ١٩١٦م) ، وعلى أثرها انضم آلايان من اليهود إلى فرقة « حملة البنادق الملكية البريطانية » ، كما انضمت فصائل من اليهود إلى جيوش « اللورد اللبني » التي غزت فلسطين في نهاية الحرب العالمية الأولى .

وكانت الظروف مواتية لهم أثناء الحرب العالمية الثانية حين غزا الجيش الألماني الشرق الأدنى بقيادة « روميل » فشكل اليهود سنة (١٣٦٠هـ ـ ١٩٤١م) فرقة

---

(١) « القوى الخفية في السياسة العالمية » ص١٤٧ (مرجع سابق) .

عسكرية من عصابة « هاجاناه » ، وأطلق على الفرقة اسم « البالماخ » أي الصاعقة ؛ لتساعد في المقاومة خلف خطوط القتال في حالة احتلال الألمان لفلسطين وينتسب إلى هذه الفرقة كثير من زعماء إسرائيل مثل : « موسى ديان » ، و« إسحاق رابين » ، و« حاييم بارلييف » .

كما ساهمت القوات اليهودية مع الجيوش الإنجليزية ، والفرنسية الموالية للحلفاء في غزو سورية ولبنان .. وأنشئت فرقة يهودية أخرى ألحقت بالجيش البريطاني ، واشتركت في غزو إيطاليا .

وهكذا أتيح لليهود المبرر الرسمي لتكوين كتائب عسكرية مدربة تدريبًا حديثًا ، ومزودة بالسلاح والعتاد ، وتمكنوا في ظلال الاحتلال الإنجليزي لفلسطين من تحويل مستعمراتهم فيها إلى ثكنات عسكرية يحميها حرس يهودي .

وسمح الإنجليز لليهود بتشكيل منظمات عسكرية تحمل طابعًا اجتماعيًا ، أو رياضيًا ، أو كشفيًا مثل : « المكابي » ، و« الترميلد » ، و« شباب إسرائيل » ، و« الطلائع » ، و« أبناء صهيون » بالإضافة إلى المنظمات العسكرية : « هاجاناه » ، و« أرجون رفاي ليومي » (أي التنظيم القومي الحربي) ، و« شترن » (وهي من اليهود الشرقيين) .

وحين انسحبت بريطانيا من فلسطين (سنة ١٤٦٧هـ ـ ١٩٤٨م) ، وأعلن اليهود قيام دولة إسرائيل ، كان لديهم جيش مدرب ، ومستعمرات محصنة ، وعصابة من الدول الاستعمارية تؤيدهم وتعترف بهم ، وما زال الجيش الإسرائيلي موضع الحدب والرعاية من دول الغرب ـ وخاصة أمريكا ـ تمده بأحدث الأسلحة وبكميات ضخمة جدًا . بحيث يتفوق بمعداته على الدول العربية المحيطة بإسرائيل مجتمعة . كما تمده روسيا ـ الشيوعية ـ بالطاقة البشرية من المحاربين والخبراء ممن يرغب في الهجرة من

اليهود المقيمين في روسيا) [١] .

ويحرص اليهود على توافر أحدث الأسلحة لديهم ، وأشدها فتكًا ، وأكثرها دمارًا حتّى لو كانت من الأسلحة المحرمة دوليًا ، فإنها تجد من يساعدها على ذلكَ من كبريات الدول الغربية التي تغض الطرف كثيرًا عن المخالفات الإسرائيلية .

فاليهود يسيطرون في المجال العسكري بما يملكون من أسلحة فتاكة وعتاد حربي حديث . ومن جهة أخرى فهم قادرون على تحريك جيوش دول كبرى تعمل لصالحهم وتساعدهم على تحقيق أطماعهم .

وهكذا يتضح لنا الخطر الصهيوني على العالم كله بصفة عامة ، وعلى الإسلام والمسلمين بصفة خاصة .

وقد أشارت الآية الكريمة إلى ذلكَ في قوله تعالى : ﴿ **ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ** ... ﴾ [٢] .

ويقول الاستاذ محمد قطب في تفسير هذه الآية : ومعنى ذلكَ أن الأصل الدائم بالنسبة لهم هو ضرب الذلة عليهم في كل أرجاء الأرض ، والاستثناء المنصوص عليه نصًا صريحًا في الآية : أن يمكنوا في الأرض ويكونوا مسيطرين : ﴿ **بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ** ﴾ وهم الآن في قمة الاستثناء ...

فأمَّا حبل اللَّه فهو قدره ومشيئته ومدده وإرادته ... ، وأمَّا الحبل من النَّاس فلننظر في تفاصيله القائمة اليوم :

إنه ليس فقط أمريكا وما تمد به إسرائيل من العون المطلق ... ، وليس فقط

(١) « أساليب الغزو الفكري » ص ١٦٦ ، ١٦٧ (مرجع سابق) .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١١٢ .

روسيا وما تمد به إسرائيل من العون السياسي والتكنولوجي عن طريق السماح للعلماء اليهود بالهجرة إلى إسرائيل ...

إن الحبل من النَّاس لا يقتصر على هذا المدد من (هؤلاء النَّاس) الروس والأمريكان .

إنه يأتي من كل النَّاس . كل سكان الأرض .. إلاَّ من رحم ربك ! .

... وفساد اليهود ظاهر معروف إلاَّ أنهم أشد من في الأرض اليوم تجمعًا لهدف محدد يصبون إلى تحقيقه ويحتشدون لبلوغه بينما « الأميون » مهما تكن درجة تجمعهم وبذلهم للجهد في سبيل تحقيق أهدافهم ـ هم أقل من اليهود احتشادًا وتجمعًا وعزيمة على تحقيق الأهداف .

ثُمَّ هناك جانب آخر من القضية .. فاليهود فاسدون ، وفي رؤسهم هدف معين هو إفساد « الأميين » .

بينما « الأميون » فاسدون من أجل الفساد فحسب ... ومن أجل ذلكَ ـ بسنن ربانية ـ يتفوق صاحب الهدف على من لا هدف له ، وصاحب الهدف الأبعد على صاحب الهدف القريب وإن كانوا كلهم فاسدين .

وكل ذلكَ إلى حين ، ثُمَّ تأتي سنة الدمار .

قال تعالى : ﴿ **وَكَأَيِّن مِن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ** ﴾ (١) .

سوف يزول هذا الاستثناء حين تزول الأسباب التي أدت إليه في تقدير اللَّه ، أي حين يستيقظ الأميون من غفلتهم ويعودون إلى اللَّه .

---

(١) سورة الحج : الآية ٤٨ .

وتظل الأمة الإسلامية هي المسئولة عن كل ما يجري في الأرض من الأحداث ؛ لأن الله نصبها ؛ لتكون مسئولة عن إزالة المنكر في كل الأرض ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ...﴾ الآية (٢)(٣) .

لن تنجو الأمة الإسلامية من أخطار الصهيونية ، ولن ينجو العالم كله من براثن اليهودية إلاّ إذا تحققت الخيرية للأمة الإسلامية ، وقامت بواجب هذه الخيرية وجاهدت ؛ لتحقيق ذلكَ بالنفس والنفيس .

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٤٣ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

(٣) « رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر » ص ١١٢ وما بعدها بتصرف (مرجع سابق) .

الماسونية

الماسونية

حقيقتها :

تطلق كلمة « **الماسونية** » ويراد بها « **البناؤن الأحرار** » الذين بنوا هيكل سليمان ، فهم أصحاب حرف مختلفة لا تربطهم نقابة أو رابطة رسمية ، فكونوا لأنفسهم جمعية أُطلق على كل عضو فيها كلمة « **أخ** » وفي هذا إشعار بأنها قامت على الإخاء والمحبة والمساواة بينَ أفراد البشرية كلها ! فهي دعوة لخير البشرية كما يزعمون .

فهل هذه حقيقتها فعلاً ؟

لو كانَ كذلك فلماذا تختفي في الظلام لتعمل فيه وترهب النور وتخشاه ؟ المعروف أن الماسونية تهدد كل من يبوح برموزها ، أو يحاول الكشف عن طلاسمها بالقتل والإبادة !

وأصحاب المبادىء الحرة يعلنون عن مبادئهم ، ويتحملون الصعاب من أجلها ، ما دامت حقًا يأملون به صلاح البشرية وتحقيق سعادتها .

فما حقيقة الماسونية إذن ؟

يقول أحد المؤرخين المحدثين : (الماسونية آلة صيد بيد اليهود يصرعون بها كبار الساسة ، ويخدعون الأمم الغافلة والشعوب الجاهلة) [1] .

ويقول أحد المنشقين عليها ـ وكان برتبة أستاذ أعظم ـ السيد الحاج في كتابه « هيكل سليمان » : (إن مبدأ هذه الفرقة ـ الماسونية ـ وتعاليمها ودرجاتها وغاياتها

---

(١) « المذاهب العاصرة وموقف الإسلام منها » د . عبد الرحمن عميرة ص ٢٥ ، ط دار اللواء بالسعودية .

ترمي إلى تقديس كل ما ورد في التوراة ، واحترام الدين اليهودي ، والعمل على تحديد المملكة اليهودية في فلسطين ، وإعادة هيكل سليمان)[١] .

وفي عام ١٩٧٤م أصدر « المؤتمر الإسلامي » المنعقد في مكة التحذير التالي :

(**الماسونية** : جماعة سرية هدّامة ، لها صلة وثيقة بالصهيونية العالمية التي تحركها وتدفعها لخدمة أغراضها ، وتتستر تحت شعارات جذابة كالحرية والإخاء والمساواة وما إلى ذلكَ ، مما أوقع في شباكها كثيرًا من المسلمين وقادة البلاد وأهل الفكر... الخ)[٢] .

إن الماسونية يهودية الأصل ، تجيد المكر والخداع ، وتتقن أساليب التشكيك في العقائد ، والنيل من الأنبياء والرسل ، وتشيع الإلحاد والكفر في ربوع العالم ، وتدعوا إلى الإباحة والفساد وليس ذلكَ بعدًا عن أخلاق اليهود المعروفة عنهم على مر العصور .

نشأتها :

اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ نشأة الماسونية ، والأرجح أن تاريخ نشأتها يرجع إلى بداية القرن الأول الميلادي عندما كانَ « حاخامات » اليهود يتنبأون بقرب ظهور نبي جديد ، فقد أنشيء وقتها جمعية سرية عرفت باسم « **القوة الخفية** » جعلت مهمتها تتلخص في القضاء على المسيحية وأتباعها في هذا الوقت ، وكان رئيسها أحد ملوك اليهود « هيرودس » وقد انعقد أول اجتماع للمجلس السري المشرف على الجمعية في أغسطس سنة ٤٣م في أحد أقبية قصر الملك ، وقد أطلقوا على مكان هذا

---

(١) نقلاً عن كتاب « الماسونية العالمية وموقفها من الإنسان والأديان » د . عابد منصور ، مطبعة الأمانة ط ١٩٨٨م .

(٢) « العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية » د . سعد الدين السيد صالح ص ٢٣٤ ، دار الصفا بالقاهرة ط ٢ - ١٩٩٠م .

الاجتماع اسم « الهيكل » تخليدًا لهيكل سليمان ، ووضعوا صيغة اليمين الذي يؤديه كل من ينضم إلى هذه الجمعية ، وكان مضمون هذا اليمين هو إعلان ولاء العضو وإخلاصه ومناهضة المسيح وأتباعه ، وأن يكون أمينًا على أسرار الجمعية فإن خان الأمانة استحق القتل .

ثُمَّ اقترح الملك « هيرودس » بعد ذلكَ تأسيس أول محفل في مدينة أورشليم « القدس » وهو مكان سري يجتمعون فيه ، لا يعرف أحد عنه شيئًا .

واستمرت الجمعية في أداء رسالتها من التنكيل والتعذيب للمسيحيين حتَّى أصيب رئيس الجمعية بمرض في عينيه أفقده بصره في النّهاية ونزل داء بجسمه جعله يعتزل العمل لأيام فارق بعدها الحياة فتولى الرئاسة نائبه « حيرام أبيود » وهذا الأخير يصفه أتباع المسيحية بأنه الرجل الشيطان وأنه من سلالة إبليس ! لقد أضاف هذا رجل إلى اسم « هيكل أورشليم » اسمًا آخر هو « **كوكب الشرق الأعظم** » ليوهم النَّاس أن النور الحقيقي الذي ينيرهم ويهديهم هذا الكوكب .

وهذا الرجل أكلته الذئاب وهو يبحث عن أتباع المسيح في لبنان للقضاء عليهم .

وخلفه « مواب لافي » في رئاسة الجمعية وظل بها حتَّى سنة ٥٥ م وكان هذا التاريخ هو نهاية المرحلة الأولى .

المرحلة الثانية : وتبدأ من سنة ٥٥ م وفيها أقيمت هياكل كثيرة في مختلف البلدان والتي من أشهرها « هيكل روما » فعملت على التنكيل بالمسيحيين ، والمسيحية نفسها . فقد قضى « بولس » ـ اليهودي الأصل ـ على البقية الباقية من المسيحية فقد اعتنقها ليهدمها وكان من خلفه يشد أزره ويوجهه « القوة الخفية » أو الماسونية ، كما حاولوا في هذه المرحلة النيل من الإسلام أيضًا ؛ لأنها امتدت حتَّى ١٧٧٠م .

المرحلة الثالثة : وتبدأ على أرجح الآراء بعام ١٧٧٠م حيثُ اتصلوا بذلك

الملحد الذي ارتد عن المسيحية واسمه « آدم وايزهاويت » ألماني الجنسية وكلفوه بمراجعة « **بروتوكولات حكماء صهيون** » القديمة وإعادة تنظيمها على أُسس حديثة .

وكان الهدف في هذه المرحلة أكبر مما كانَ فيما سبق ، فقد كانَ هدفهم في هـذه المرحلة وضع خطة تمهيدية للسيطرة على العالم وفرض عقيدة الإلحاد والشر على البشـر جميعًا !!

والوسائل اللازمة لذلك في نظرهم كما يلي :

١ ـ تدمير جميع الحكومات الشرعية وتقويض الأديان السماوية .

٢ ـ إشاعة الفرقة والتصارع بينَ الشعوب من غير اليهود .

٣ ـ تسليح الشعوب المتصارعة ؛ لإشعال نار الفتنة .

٤ ـ هدم الأخلاق الكريمة في الشعوب غير اليهودية ، وإشـاعة الفوضـى بينهـا ؛ للعمل على انهيارها .

٥ ـ إذا تم ذلكَ بعناية كـانَ تمهيـدًا لنشـر الفوضـى والإرهـاب والإلحـاد وتحقيـق الأهداف .

وقد تم لهم بعض ما أرادوا :

فقد سقطت الحكومة الشرعية في فرنسا وأيضًا في انجلترا وسقطت دولة القياصرة في روسيا ، وفشا الإلحاد بينَ كثير من أبناء هذه الدولة ، ولا يخفـى دور هـؤلاء اليهـود الثلاثـة « دارون » في علـم الأحيـاء ، و« فرويـد » في علـم النفـس ، و« دور كـايم » في علم الاجتماع .

فقد تعاونوا جميعًا على نشر الإلحاد وهدم الأخلاق .

وتكون المحفل الماسوني الرئيسي الذي عرف باسم « **محفل الشرق الأكبر** » فكان مركزًا لجميع الجمعيات الماسونية ومحافلها وهياكلها في العالم كله التي أخذت تتعاون بهدف تحقيق حكومتهم العالمية فركزوا لتحقيق ذلكَ على ما يلي :

١ ـ استعمال الرشوة بالمال والجنس أو الشذوذ إذا لزم الأمر في المجالات العلمية والاقتصادية والسياسية .

٢ ـ السيطرة على الإعلام وتوظيفه لصالحهم ، وبعد موت الألماني كانت الرئاسة للجنرال الأمريكي المفصول من الجيش (ألبرت بايك) سنة ١٨٤٠م الذي قام بإعادة تنظيم المحافل الماسونية ووضع خطة جديدة تتلخص فيما يلي :

١ ـ تبني حركات التخريب العالمية المبنية على الإلحاد مثل « الشيوعية » ، و« الصهيونية » .

٢ ـ الإعداد لحروب عالمية ثلاث :

الأولى : الإطاحة بالحكم الملكي في روسيا لإفساح المجال للشيوعية الملحدة .

الثانية : لتأمين اجتياح الشيوعية العالمية لنصف العالم تمهيدًا لإقامة دولة إسرائيل.

الثالثة : تتصدى فيها الصهيونية العالمية للزعماء الإسلاميين في العالم الإسلامي وشن حرب شاملة على الإسلام لإزاحته من طريق الماسونية .

وقد بدأ بالفعل تنفيذ المرحلة الثالثة وتبدو معالمها في منطقة الشرق الأوسط .

ولا يخفى أن للمرأة دور كبير في تنفيذ وتحقيق أهدافهم ، لكنه دور ماجن ورخيص .

ولا يخفى أيضًا أنه رغم سرية أعمالهم وتكتمهم الشديد إلاَّ أن اللَّه كشفهم عن

طريق المنشقين عليهم .

موقف الماسونية من الأديان

سوف نسوق الآن مقتطفات من أقوال الماسونية تكشف الستار عن موقف الماسونية من الأديان في ذلكَ الإسلام .

جاء في كتاب « أسرار الماسونيه » لأتلخان حكاية عن الماسونيين :

* سوف نقوي حرية الضمير في الأفراد بكل ما أوتينا من طاقة ، وسوف نعلنها حربًا شعواء على العدو الحقيقي للبشرية الذي هو « الدين » .

* ... ويجب ألاَّ ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان . وعلينا ألاَّ نألوا جهدًا في القضاء على مظاهرها .

* إن ذخر البشرية الذي لا يقدر بثمن هو عدم الاعتراف بأي حقيقة مقدسة ، وأن الحقائق تنبثق من نظرة الإنسان ذاته ... فعليه لا بد من المحافظة على هذه الحقيقة ، وأن جمال الإلحاد هو هذا ... وإن هذا لهو أساس الإلحاد [(١)] .

ولا تقتصر الماسونية على عدائها للدين والمتدينين والانتصار عليهم (إنما غايتها الأساسية هي إبادتهم من الوجود ؛ ولذا ترى الماسونية : أن ذخر البشرية الذي لا يقدر بثمن هو عدم الاعتراف بأي حقيقة مقدسة ، وأن الحقائق تنبثق من نظرة الإنسان ذاته .

وترى الماسونية : أن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلاَّ بعد فصل الدين عن

---

(١) « أسرار الماسونية » للجنرال جواد رفعت آتلخان ، ترجمة نور الدين الواعظ وآخرين ص ٤٨ ، ط القاهرة ، سنة ١٤٠٥ هـ .

الدولة وإحلال الماسونية محل الأديان ، وأن محافلها ستقوم مقام المعابد)[1] .

إن الماسونية لا تهتم بالأديان على وجه العموم ، ولا تحترم شيئًا منها ، ولا تحسب لها أي حساب ، ولا تقيم لها أي وزن أو اعتبار ، والذي ينضم إليهم لا بد أن يتجرد من خرافات الأديان وأوهامها ، وأن يوافقهم على إنكار جوهرها وإعلان الحرب عليها .

مصادر الفكر الماسوني

لا شك أن أفكار الماسونيين في شئون الدين والدنيا صادرة عن « التلمود » .

فما هو التلمود ؟

إنه مأخوذ من كلمة « لامود » ومعناها : تعاليم أو نظام .

(والتلمود كتاب مقدس لدى اليهود ، وقد كتبه بعض علماء اليهود وأحبارهم بعد مولد عيسى عليه السلام ، ورأوا أنه شرح للتوراة ، وبيان لتعاليمها ، واستنباط لأصولها ، ويرون أنه عبارة عن التعاليم الشفوية التي ألقاها موسى عليه السلام ، ذلكَ أنهم يرون أن موسى جاء بكتابين :

١ ـ **كتاب مكتوب** : وهو التوراة التي كتبها اللّٰه في الألواح .

٢ ـ **وكتاب شفوي** : وهو التلمود ، وهو تعاليم علمها اللّٰه لموسى أثناء لقائه به عند جبل « طور سيناء » ... ولكن هذا القانون الشفهي غير موجودة أصوله في التوراة وإنما اختلقه « الحاخامات » بحجة تنظيم الحياة والمعاملات الداخلية لليهود لزيادة

(١) « الماسونية العالمية » د . عابد منصور عابد ص ٢٥٣ (مرجع سابق) .

تسلطهم على المجتمع [(١)] .

يحتوي التلمود على ستة آلاف صفحة [(٢)] تحوي الكثير من الفظائع والأكاذيب التي تدل على خبث اليهود ومكرهم وتحريفهم وطبيعة اعوجاجهم وتجرئهم على اللَّه وتعاليمه .

فقد جاء في التلمود : النهار اثنتا عشرة ساعة ـ في الثلاث الأولى منها يجلس اللَّه ويطالع الشريعة ، وفي الثلاث الثانية يحكم ، وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم ، وفي الثلاث الأخيرة يجلس مع الحوت ملك الأسماك ، وهو حوت كبير جدًا يمكن أن يتسع حلقه لسمكة طولها ٣٠٠ فرسخ دون أن تضايقه .

وأما في الليل : فإن اللَّه يقوم فيه بتعلم التلمود مع الملائكة ومع ملك الشياطين المدعو « أسمودية ، في مدرسة السماء » ، ولكن بعد خراب هيكل بني إسرائيل وتشريدهم حزن اللَّه وبكى وغير نظام حياته .

ـ فلم يعد يلعب مع الحوت .

ـ ولم يعد يرقص مع حواء بعد أن زينها بملابسها ونسق لها شعرها ، وإنما أصبح يمضي ثلاثة أرباع الليل يزأر كالأسد قائلاً : تبًا لي لأني أمرت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي ، وتسقط كل يوم من عينيه دمعتان في البحر فيسمع دويها من بدء العالم إلى نهايته وتضطرب المياه وترتجف الأرض في أغلب الأوقات فتحصل الزلازل !!

كما جاء في التلمود : الأمميون [(٣)] هم الحمير الذين خلقهم اللَّه ليركبهم شعب

(١) « مقارنة الأديان » أ.د.عوض اللَّه جاد حجازي ص ١٧٦ ، ١٧٩ ، ط ٣ ١٩٨٦م القاهرة .

(٢) انظر : « الحكومة السرية في بريطانيا » جون كريج سكوت ص ٤ ، ١ ط القاهرة ١٩٥٧م .

(٣) **الأمميون** : كل ما عدا اليهود من البشر .

اللّه المختار « اليهود » ، وكلما نفق منهم حمار ركبنا حمارًا آخر ! [1] .

وعلى هذا النمط المنحط يمضي التلمود للنيل من كمال الألوهية ، ورسم أبشع صور العنصرية ، وإبراز العداء للإنسانية معبرًا في كل ذلكَ عن الأخلاق اليهودية .

وينقسم التلمود إلى قسمين :

الأول : المشناة ، وهذا القسم هو المتن الأصلي للتلمود .

والثاني : جمارا ، وهو شرح للمشناة .

والمشناة ـ كما ترى ـ هي الأصل والأساس جمعها الراهب « يهوذا هاتاس » في الفترة من (١٩٠ ـ ٢٠٠ م) ومعنى المشناة بالعبرية : المعرفة ، أو القانون الثاني [2] .

والجمارا نوعان :

١ ـ جمارا أورشليم بفلسطين وقد جمع هذا النوع سنة ٤٤٠ م .

٢ ـ وجمارا بابل سنة ٥٠٠ م .

ولهذا كانَ للتلمود طبعتان :

ـ تلمود أورشليم بفلسطين .

ـ تلمود بابل .

---

(١) انظر في ذلكَ : « من التلمود » نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٩٦٧م ، ص ٢٥ .

وانظر : « الكنز الأكبر للصالحي المرصود في قواعد التلمود » د . روهانج ترجمة يوسف حنا ، مطبعة المعارف بمصر ص ٣٧ .

وانظر : « رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر » أ . محمد قطب ص ٦٦ ، دار الوطن للنشر بالسعودية .

(٢) أما القانون الأول فيقصد به (التوراة) .

ويختلف التلمود الفلسطيني عن التلمود البابلي من حيثُ الكم والكيف ، فمادة تلمود فلسطين تعتبر ثلث ما يحتويه التلمود البابلي ، كما أن تلمود فلسطين ينقصه العمق والشمول اللذان يمتاز بهما التلمود البابلي ... والتلمود البابلي هو المعروف الآن والمعمول به بينَ جمهور اليهود [1] .

وعمومًا فإن كلا الطبعتين عبارة عن اللائحة القانونية التي وضعها اليهود لأنفسهم بعد تحريفهم للتوراة ولا يمت التلمود بأي صلة إلى موسى ﷺ ؛ لأن ما كتب فيه لا يكتبه إلاَّ أفاك مخمور ، أعماه التعصب ، ولعبت به الأهواء .

---

(١) « مقارنة الأديان » أ . د . عوض الله حجازي ص ١٨١ (مرجع سابق) .

موقف الإسلام من الماسونية

يستطيع من لديه إلمام بسيط بعقيدة الإسلام وثقافته أن يدرك زيف هذه الأفكار ، وما تحمله من عداء شديد للإنسانية ، وخسارة فادحة لأهلها يوم الدين ، قال تعالى : ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۞ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ۞ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ** ﴾ (١) .

وقد نبهت الهيئات الإسلامية على خطر الماسونية ، وخداعها ، وأهدافها ، وحذرت المسلمين من الوقوع في شباكها .

ففي عام ١٩٧٤م أصدر المؤتمر الإسلامي المنعقد في مكة التحذير التالي :

(**الماسونية** : جماعة سرية هدّامة لها صلة وثيقة بالصهيونية العالمية التي تحركها وتدفعها لخدمة أغراضها ، وتتستر تحت شعارات جذابة كالحرية والإخاء والمساواة ، وما إلى ذلكَ مما أوقع في شباكها كثيرًا من المسلمين وقادة البلاد وأهل الفكر ... الخ) (٢) .

وأصدرت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف بيانًا بهذا الصدد جاء فيه :

(أما بعد ... فإن الإسلام والمسلمين يحاربهم الأعداء العديدون من كل جانب وبكل الأسلحة من مادية وأدبية ، يريدون بذلك الكيد للإسلام والمسلمين ، ولكن اللّه ناصرهم ومعزهم) .

---

(١) سورة المائدة : الآيات ٧٨ - ٨٠ .

(٢) راجع : « اليهودية » د . أحمد شلبي ط ٥ سنة ١٩٧٨ م بالقاهرة ص ٢٤٩ .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ (١) .

ومن بينَ هذه الوسائل التي يحاربون بها الإسلام وسيلة الأندية التي ينشئونها باسم الإخاء والإنسانية ، ولهم غاياتهم وأهدافهم الخفية وراء ذلكَ ، وأن من بينَ هذه الأندية الماسونية والمؤسسات التابعة لها الليونز والروتاري (٢) .

وتلك من أخطر المنظمات الهدّامة التي يسيطر عليها اليهود والصهيونية يبتغون بذلك السيطرة على العالم عن طريق القضاء على الأديان ، وإشاعة الفوضى الأخلاقية ، وتسخير أبناء البلاد للتجسس على أوطانهم باسم الإنسانية .

ولذلك يحرم على المسلمين أن ينتسبوا لأندية هذا شأنها ، وواجب المسلم ألاَّ يكون إمعة يسير وراء كل داعٍ وناد ، بل واجبه أن يمتثل لأمر الرسول ﷺ حيث يقول : « **لا يكن أحدكم إمّعة يقول : إن أحسن النّاس أحسنت ، وإن أساءوا أساءت ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن النّاس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تجتنبوا**

---

(١) سورة غافر : الآية ٥١ .

(٢) **نوادي الروتاري** : امتداد للماسونية ، ويرجع تاريخها إلى سنة ١٩٠٥ م حيثُ أنشأ « بول هاريس » أول هذه النوادي بمدينة شيكاغو الأمريكية ، ثُمَّ امتدت إلى أيرلندا سنة ١٩١١م ، ثُمَّ مختلف مدن بريطانيا ، ثُمَّ في أسبانيا ، وقد انتشرت هذه النوادي في أكثر من (١٤٧) دولة حتّى عام ١٩٦٨م ، وتقوم العضوية في هذه النوادي على الاختيار المحض لنوعيات خاصة تتوفر فيها هذه الشروط :

١ ـ أن يكون العضو من الأغنياء والمراكز المرموقة وأصحاب السلطان .

٢ ـ عدم الارتباط بالدين .

٣ ـ فقدان الولاء للوطن .

وأهداف هذه النوادي هي أهداف الماسونية التي تتظاهر بالخير وتضمر الشر .

أما « **الليونز** » فهي من النوادي الصهيونية الخطيرة ، وتتفق في أهدافها مع « الروتاري » و« الماسونية » ، ويرجع تاريخها إلى عام ١٩١٥م حين أسسها « ملفن جونش » ، ثُمَّ انتشرت في أنحاء متفرقة من العالم .

إساءتهم » .

وواجب المسلم أن يكون يقظًا لا يغرر به ، وأن يكون للمسلمين أنديتهم الخاصة بهم ، ولها مقاصدها وغاياتها العلنية ، فليس في الإسلام ما نخشاه ولا ما نخفيه ، والله أعلم [(١)] .

وقد كشف القرآن لنا ـ في مواضع كثيرة ـ عن نفسية اليهود وأخلاقهم وعدائهم للإسلام والمسلمين فلنكن جميعًا على وعي وحذر .

---

(١) ورد هذا البيان في « مجلة الأزهر » ج ١٠ ، س ٥٧ ، عدد شوال ١٤٠٥هـ .

التيار
الماركسي الشيوعي

التيار الماركسي الشيوعي

نشأته وظهوره :

ظهر في أوربا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تيار جديد عقائدي فكري وسياسي اجتماعي في آن واحد ، وهو تيار الفلسفة الماركسية (1) التي كانت رد فعل للرأسمالية من الناحية الاقتصادية في أوربا ، وهي في الوقت نفسه استمرار للتفكير العقلي المادي . والقوة التي دعمته في بداية الأمر هي الجماهير الشعبية الجاهلة ، وحركته فئة قليلة من المثقفين المفكرين الذين استطاعوا أن يحولوا حقد الطبقات المظلومة في أوربا يومئذ وعواطف الثأر والانتقام إلى فلسفة ويتخذوا منها عقيدة تدفعهم لقلب الأنظمة التي يشكون منها والثورة عليها ، وليس من قبيل المصادفات أن يكون من مقررات اليهود السرية في بروتوكولات حكماء صهيون في حركتهم العالمية التي كانت تدار في أوربا : إثارة جماهير الشعوب على حكامهم وعلى خاصتهم بحجة الظلم والفساد ، وأن تاريخ تلك المقررات يصادف تمامًا تاريخ قيام « **كارل ماركس** » اليهوديّ بصياغة فكرته التي تدعو جماهير العمال وجماهير الصعاليك وغير المالكين إلى الانقضاض على أنظمة الحكم والحكام ، وإلى ثورة الدهماء على الخاصة من مفكرين ونابغين .

إن التوافق التاريخي بينَ قرارات حكماء صهيون وبين قيام « **كارل ماركس** » أمر يلفت النظر إلى قيام الشيوعية بإيعاذ من اليهود وعلى أكتافهم .

فكانت « روسيا » هي المقر الأول للشيوعية ، ثُمَّ انتقل التيار الشيوعي إلى بلاد

---

(1) نسبة إلى « كارل ماركس » اليهودي المولود سنة ١٨١٨ م في بروسيا ، وقد شاركه في تأسيس المذهب الماركسي صديقه الحميم « فردريك انجلز » المسيحي الأصل المولود ١٨٢٠م بألمانيا ، وتقوم هذه الفلسفة على المادية الجدلية والمادية التاريخية . وبالتالي على نظرية دارون في التطور .

أوربية « أوربا الشرقية » ، وإلى بلاد آسيوية كالصين . وقد تسلل هذا التيار أيضًا إلى الشعوب الإسلامية .

وفي عام ١٨٨٣م أنشأت الماسونية فرقة اسمها « فرقة تحرير العمل » كانت مهمتها نشر أفكار ماركس وكان من زعماء هذه الفرقة « **ستالين** » ، و« **لينين** » ، وكان لهما دور بارز في غرس الفكر الشيوعي .

ويرى المرحوم الدكتور / محمد البهي أن المظاهر الرئيسية للشيوعية هي :

(أ) **المبالغة في تأكيد المجتمع** : ومن ثم أنكرت قيمة الفرد ، والملكية الفردية ، والأسرة وحقها في العلاقة الزوجية والإشراف على الأولاد ، كما بالغت في العمل الجماعي كالمزارع الجماعية .

(ب) **المبالغة في اتجاه المادية** : ومن ثم أمعنت في إنكار القيم المعنوية ، وتبعية الفكر للعامل المادي الاقتصادي ، وإنكار الدين ووجود الله .

(جـ) **المبالغة في مشروعية وسائل العنف والانقلاب** : والتعجيل بقيام المجتمع العالمي ، ولذا كانت المبالغة في « المصلحية » وفي قيمتها الأخلاقية مهما كانَ لها من نتائج سلبية على الأطراف الأخرى .

(د) **المبالغة في نظام الحزبية** : ونتج عن ذلكَ التشدد في شروط العضوية للحزب وفي مقدمتها الإلحاد بالدين ، والإيمان بالماركسية ، والتضحية بالنفس في سبيلها - ودكتاتورية القلة التي هي الصفوة ، والقمة في حكم النظام الحزبي - والإخلاص في الولاء للزعامة البلشفية في (موسكو) وانضمت الصين إلى هذه الزعامة أخيرًا [١] .

ومن المفيد أن نعلم أن « الماركسية » هي مجموعة الآراء والتعاليم المنسوبة إلى

---

(١) انظر : « الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر » ... أ . د . محمد البهي .

« **كارل ماركس** » في مجالات السياسة ، والاقتصاد ، والاجتماع ، والفلسفة ، وهـذا ما يُسمّى بـ « **النظرية الماركسية** » .

وعند تطبيق هذه النظرية يزعم صاحبها وأهلها أنها تنتهي إلى إباحـة كـل شـيء على الشيوع أو المشاع .

وعلى ذلكَ « **فالشيوعية** » تعبر عن المذهب الماركسي نظريًا وتطبيقًا .

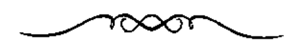

الشيوعية والدين

١ ـ يعتقد الشيوعيون أن الحياة الإنسانية على ظهر الأرض هي الوجود البشري كله ، وأنه كما جاء الإنسان من عدم فهو صائر إلى عدم .

٢ ـ يتبع هذا الاعتقاد أنه لا إله لهذا الكون ، ولا شيء اسمه الدين السماوي المنزل من عند اللّٰه .

٣ ـ الأنبياء عصابة من الكاذبين الدجالين ولا مكان في الفكر الشيوعي لما يدعو إليه الأنبياء من عبادات وأخلاق .

وباختصار فلا مكان للدين في العالم الذي يتصوره الشيوعيون !!

فكيف إذن يتصورون العالم ؟

على أي شيء يقوم المجتمع البشري وكيف يتعامل أبناؤه ؟

يقول الشيوعيون :

لقد نظرنا إلى التاريخ العالمي منذ القدم فوجدناه شقي بانقسام النّاس إلى ملاك متسلطين ، وعمال وفلاحين متعبين .

والتصور الأمثل في هذا العالم الذي لا رب له ولا غاية ينتهي إليها أن يحظر مبدأ التملك الفردي .

فكل شيء في الحياة يملكه المجتمع العام ، والنّاس جميعًا أجزاء في هذا المجتمع يأكلون بقدر ما يعملون .

ويجب تعميم هذا التفكير في جميع بلاد العالم مهما كانت المخاطر .

ومما سبق يتضح أن الإلحاد جزء من الشيوعية . هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى فالشيوعية ترفض رفضًا قاطعًا أي تنظيم ديني للمجتمع الإنساني .

وإنكار الشيوعية للدين يكبر ويصغر بمقدار تدخل الدين في المجتمع ؛ لذلك فإن الشيوعية لا تطيق الإسلام ؛ لأنه يشارك الأديان السماوية في الاعتراف بالألوهية واحترام الوحي ، ويمتاز بهيمنته على الحياة الإنسانية وتنظيمه لها تنظيمًا دقيقًا وشاملاً لكل جوانبها فالإسلام « عقيدة وشريعة » والعلاقة بينهما قوية واضحة ، فالعقيدة أصل يدفع إلى الشريعة ، والشريعة انفعال القلب والوجدان بالعقيدة .

ولهذا فقد تواترت تصريحات الزعماء الشيوعيين كلهم بأن « الدين » لا مكان له في عالم الشيوعية .

فالدين يحارب **أولاً** : لأنه خرافة تستحق الزوال .

ثانيًا : لأن الدين ينظم المجتمع بطريقة فاسدة .

ويستحيل لدين مثل الإسلام أن يلتقي مع الشيوعية في ميدان العقائد القلبية أو في ميدان الحياة العملية .

أهم مصادر الفكر الشيوعي

كانَ لنظرية « دارون » في « التطور » أثر بالغ في تحول الفكر الفلسفي من القول بالثبات والقول بالحق المطلق إلى القول بالتغير والتحول الذي قامت عليه نظرية النشوء والارتقاء لدارون اليهودي الأصل ، وكانت أساسًا لدى كثير من مشاهير المفكرين : فكانت أساسًا لـ « فرويد » في علم النفس وأيضًا لـ « دور كايم » في علم الاجتماع ، وأيضًا للفلسفة البراجماتية الأميريكية التي اعتبرت التغير هو المطلق الوحيد عندها ، وبنت أفكارها على هذا التغير ، وكان التغير أيضًا أساسًا لـ **« كارل ماركس »** الذي استخدمه في دائرة الجماعة الإنسانية فتصبح هذه الجماعة حتمًا غير مستقرة ولا بد أن تتحول وتتغير من وقت لآخر .

فالملكية تتحول إلى الإقطاع .

والإقطاع يتحول إلى الرأسمالية .

والرأسمالية تتحول إلى دكتاتورية العمال .

ودكتاتورية العمال تتحول إلى الشيوعية أو الحكومة العالمية .

فالشيوعية فكرة صهيونية يهودية . ونذكر عند الحديث عن الماسونية أن الشيوعية كانت ضمن مخطط الجنرال الأمريكي « بابك » الذي كرست جهود اليهود لنشرها ؛ لتحقيق الأهداف المرجوة منها .

أسباب انتشار الفكر الشيوعي في العالم الإسلامي

١ ـ تقصير أكثر المسلمين في فهم الإسلام ، ووعي أهدافه ، ومقاصده ، فشاع الجهل بالإسلام بينَ أهله ، وانتشرت البدع والخرافات .

٢ ـ نتيجة لذلك فإن الإسلام العامر برسالته الحضارية الإنسانية قد انحصر في بعض الشعائر والمناسك .

٣ ـ تعدد الجماعات المسلمة وتفرق مذاهبها وطرقها وتمكن الاختلاف والخلاف منها رغم محاولات المخلصين لتوحيد الأمة ، إلاَّ أن هذه المحاولات لم تكن بدرجة كافية بحيث تسد جميع المنافذ أمام التيارات الوافدة .

٤ ـ مهارة الشيوعية العالمية ودولها حين تقدمت إلى الدول الإسلامية في صورة الصديق المعين في مواجهة الاستعمار الغربي فقدمت أفكارها مع بعض معوناتها إلى هذه الدول ، وأبدت مهارة خاصة في الدعاية لأفكارها التي خططت جيدًا لنشرها .

٥ ـ استغلال بعض النقائض والمفاسد والمظالم في المجتمعات الإسلامية ، حيثُ أوهمت البعض أن « الدين » هو منبع هذا الفساد !!

آثار التيار الشيوعي وموقف الإسلام منه

(أ) أهم آثاره :

١ ـ من آثار هذا التيار الشيوعي تمزيق الوحدة الإسلامية والأخوة الإيمانية بينَ الشعوب الإسلامية .

٢ ـ تباعد الدول العربية عن الإسلام كرباط يربط بينها واستبدال هذا الرباط المتين بالقومية العربية وهي فكرة استعمارية . الهدف منها إبعاد المسلمين عن الرابطة الإسلامية القوية .

٣ ـ تحويل معاركنا العامة والخاصة إلى معارك مع الدولة الرأسمالية فقط خدمة لنفوذ الشيوعية .

٤ ـ إعلان الحرب على الإسلام كدين لا يمكن أن تعيش الشيوعية إلاّ على انقاضه . على أن محاربة الدين واجب أصيل من واجبات الشيوعية .

(ب) موقف الإسلام منه :

إن التيارات الإلحادية ما زالت مستمرة في غزوها للعالم الإسلامي ودائبة على نشر ثقافتها بشتى الطرق والوسائل ، وهذا يشير إلى الخطر المحدق بالمسلمين من كل صوب لتحطيم الإسلام والقضاء عليه . والشيوعيون لا يهتمون كثيرًا باتهامهم بمعاداة الدين الحق .

يقول « كارل ماركس » في « المنافستو » الذي أودع فيه مبادئه وجادل فيه خصومه يقول : « أما ما وجه للشيوعية من تهم دينية وفلسفية وأخلاقية فلا يستحق بحثًا عميقًا ... ! » .

وهذا كلام عجيب ، إن الشيوعية متهمة بإنكار اللّه ، والرسل ، والحلال

والحرام ، والبعث ، والجزاء فهل هذه أمور لا تستحق بحثًا عميقًا ؟ !

وإذا كانَ هذا لا يستحق البحث كما قال « كارل ماركس » فا الذي يستحق البحث ؟

سيقولون : لقمة الخبز فقط !

فهل كل ما يتصل بالإنسانية تافه إلاَّ رغيف الخبز ؟

ومعلوم أن الإسلام عالج المشكلة الاجتماعية ، والمشكلة الاقتصادية علاجًا دقيقًا وعظيمًا ، فجمع بينَ العدالة ، وحسن التوزيع ، والضمان الاجتماعي للفرد من جهة ، ومراعاة اختلاف المواهب ، والطاقات ، وإفساح المجال للعمل والإنتاج دون ظلم من جهة أخرى ، ولك أن تعلم أن المدينة المنورة بما ضمته من مجتمع مثالي أعظم من المدينة الفاضلة التي عشقها الفلاسفة وتخيلوها و لم يستطع أي تشريع بشري تنفيذها في الواقع .

أما قول « ماركس » بأن الحقائق تتغير تبعا لتغير الأحوال الاقتصادية ، فهذا كلام فارغ لا دليل عليه .

فكم من حقائق ثابتة لا يغيرها اليسر والعسر ، ولا الفطنة والغباء ، فلا يصح استغلال الاضطراب الاقتصادي لإنكار الألوهية واستغلال انحراف بعض المتدينين لإنكار الدين نفسه !!

وعمومًا فهناك عدة وسائل ينبغي الاهتمام بها في مواجهة الغزو الفكري الوافد على الدول الإسلامية ويستهدف القضاء على الإسلام .

من هذه الوسائل :

١ ـ صياغة العقائد والمبادىء الإسلامية صياغة قوية مركزة مستمدة من الكتاب

والسنة بما يناسب البيئة والمستوى الثقافي .

٢ ـ إبراز الأنظمة الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والأخلاقية ، والتربوية المستمدة من الكتاب والسنة ، وعرضها عرضًا مناسبًا ميسرًا .

٣ ـ العمل على القضاء على الخلافات المذهبية الإسلامية ، وردم الفجوة بينَ المذاهب الإسلامية ، خصوصًا في أمر العقيدة ، ومحاولة جمع الجميع على المذهب الحق .

٤ ـ التخطيط لنشر الإسلام والقيام بواجب الدعوة الإسلامية على مستوى العالم ، مع اتخاذ الوسائل اللازمة ورصد كافة الإمكانيات لتحقيق هذا العرض .

٥ ـ التنسيق بينَ أجهزة الدولة الإسلامية بما يخدم الإسلام والمسلمين .

ومعلوم أن الشيوعية قد هزمت عالميًا في هذا العصر بعد أن أثبتت فشلها الذريع في جميع المجالات .

وليس معنى ذلكَ أن الحرب بينَ المادية الملحدة وبين الإسلام قد انتهت ، كلا فقد نشرت المجلة الفرنسية « اكتيالتي » مقالاً قصيرًا له عنوان مثير : الـ « K.O.B ضد محمد » تعني أن المخابرات الروسية تخاصم صاحب الرسالة الخاتمة .

جاء في هذا المقال أن جمهوريات الاتحاد السوفيتي في آسيا الوسطى ضاعفت هجومها على الإسلام خلال الأشهر الأخيرة ، وشددت النكير على طوائف المسلمين الذين يعيشون في هذه الأقطار ـ وهم الكثرة الساحقة من السكان ـ؟ بغية صرفهم عن دينهم وتزهيدهم في عقائدهم وعباداتهم .

وقد لوحظ أن جماهير متحمسة أخذت تكثر من زيارة قبر « قربان مراد هشام » قائد المقاومة الإسلامية للغزو الروسي إبان الحكم القيصري ! وهي مقاومة باسلة شجاعة ، حاول فيها مسلموا تركستان رد الجيش القيصري الصليبي على أعقابه ، ومع استماته المسلمين التي ضربت بها الأمثال فقد عجزوا عن رد الغزاة ،

واحتل الصليبيون الروس البلاد ، ثُمَّ ورثها عنهم المستعمرون الحمر ، وفشل المسلمون مرة أخرى في استنقاذ أنفسهم وتراثهم ، ومع ذلكَ فإنهم لم ييأسوا أو يستكينوا بل ظلوا مثابرين على الاحتفاظ بمقوماتهم الروحية والتاريخية .

وقد ذكرت صحيفة « سوفت أوزباكستان » أنه تم حل جماعة إسلامية نشيطة تعمل داخل البلاد لإحياء الإسلام ، وحكم على زعيم هذه الحركة بالسجن سبع سنين ، وهو عامل في « طشقند » العاصمة وأودع السجن في معسكر معروف بالقسوة والشدة !

كانت الجماعة المنحلة توزع كتيبات ثقافية محررة باللغتين العربية والأوزباكية ، كما كانت توزع أشرطة سجل عليها القرآن الكريم .

وصرحت الصحيفة الشيوعية أنه في الفترة نفسها تم إغلاق مدرسة غير قانونية تقوم بتحفيظ القرآن وتعليم الإسلام ، وتبين أن المدرسة يديرها « ملاّ » مجهول !!

إن اشتعال الروح الإسلامية شرق ووسط الاتحاد السوفيتي أغضب « جورباتشوف » زعيم روسيا الكبير ، وحمله على المطالبة الملحة بإعلان حرب جديدة على الإيمان ، والقضاء على بوادر عودته بسرعة وحسم ، وتغيير عدد من الزعماء المحليين المعتدلين (١) .

إن الماديين في هذا العصر غيروا مواقعهم من الهجوم على الدين إلى موقع الدفاع عن الإلحاد ، وإن كانَ ذلكَ بسلاح غير فعال إلاَّ أن المواجهة باقية وحتمية ، فعلى جنود الإسلام المخلصين أن يكونوا دائمًا على أهبة الاستعداد .

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٢) .

---

(١) « الحق المر » للشيخ المرحوم محمد الغزالي ص ٧٣ ، ٧٤ ، دار الشروق ط ٢ ، سنة ١٩٩٠م .

(٢) سورة الحج : الآية ٤٠ .

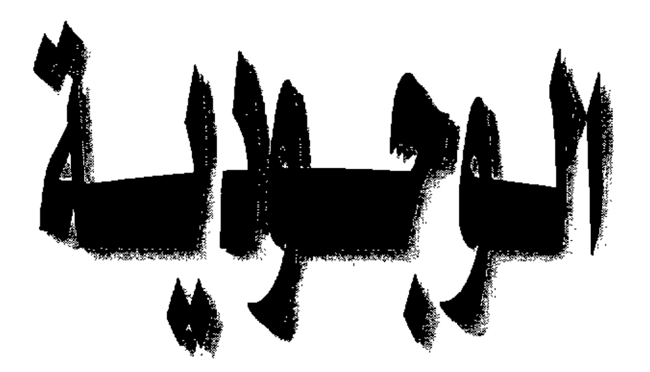
الوجودية

الوجودية

١ ـ مفهومها :

أطلقت كلمة « **الوجودية** » في أوساط متعددة فاستخدمت في مجالات الأدب والفلسفة والفن والاجتماع . ولا نستغرب هذا إذا علمنا أن مفاهيم الوجودية صدرت عن أفق الفكر الغربي الذي مرّ بتجارب وتغيرات عديدة أوصلته إلى إلغاء فكرة الدين من المجتمع ، وهدم فكرة الإله في الرؤس ؛ ليحل محلها فكرة الإنسان الإله المعبود !

ولقد كان لكل من : « **دارون** » ، و« **ماركس** » ، و« **دوركايم** » ، و« **فرويد** » ، و« **سارتر** » دوره البارز في تطوير فكرة الإلحاد حيثُ عمل هؤلاء اليهود الخمسة على نشر الإلحاد وهدم الأخلاق في شتى بقاع الأرض .

ولعل من أسباب انتشار « **الوجودية** » وشهرتها : بساطة الأسلوب وسلاسته لدى كبار الفلاسفة الوجوديين عندما يعبرون عن أفكارهم ، وخصوصًا فيما كتبوه من روايات ، ومسرحيات عبرت عن الأفكار الوجودية أفضل تعبير ، يفهمه المثقفون وأنصاف المثقفين .

وسوف نهمل ـ الآن ـ المجالات الأخرى التي ترتبط بالوجودية ، ونحاول النظر إلى هذا الاتجاه من زاوية فلسفية .

إلاَّ أن الأمر ليس سهلاً ولا ميسورًا بدرجة كافية لما يلي :

١ ــ تضم الفلسفة الوجودية عددًا كبيرًا من الشخصيات الفلسفية والأدبية مثل : **كارل ياسبرز** (١٨٨٣م ـ ١٩٦٩م) ، **وجبريل مارسيل** (١٨٨٩م ــ ١٩٧٣م) ، **ومارتن هيدجر** (١٨٨٩ م ـ ١٩٧٦م) .

وجان بول سارتر (١٩٠٥م - ١٩٨٠م) ، **وكير كجارد** (١٨١٣م ـ ١٨٥٥م) الذي يعتبرونه أبًا للوجودية المعاصرة رغم تواجده في فترة سابقة على غيره من الوجوديين .

ومن الكتاب المشهورين : **البيركامي** (١٩١٣م ـ ١٩٦٠م) ، والروسي : **نيقولا برديائيف** (١٨٧٤م ـ ١٩٤٨م) ، وغيرهما ممن أثروا بكتاباتهم هذا الاتجاه الفلسفي .

٢ ـ هذه المجموعة ومن نحا نحوها من المفكرين لكل منهم نوع من التفكير الفلسفي يختلف اختلافًا كبيرًا عن الآخر ، بحيث لا نستطيع أن نجمعهم في قالب واحد هو الوجودية .

بل وجد من هؤلاء الفلاسفة والمفكرين من يرفض وصفه بأنه وجودي مثل « **هيدجر** » ، وكذلك « **ياسبرز** » الذي وصف فلسفته بأنها « فلسفة الوجود » ، معتقدًا بأن « **سارتر** » هو وحده الذي ارتضى لنفسه اسم « الفلسفة الوجودية » .

كما اثر « **جبريل مارسيل** » أن يسمى فلسفته باسم « **السقراطية الجديدة** » [1] .

وعلى هذا فمن الصعب أن نصل إلى تعريف جامع مانع للفلسفة الوجودية ينطبق على جميع الوجوديين إنطباقًا تامًا .

ولكننا سوف نبحث عن العناصر التي تجمعهم والإهتمامات المشتركة فيما بينهم ؛ لنكون منها فكرة عامة عن الوجودية .

---

(١) انظر : « دراسات في الفلسفة المعاصرة» د . زكريا إبراهيم ص ٤٥١ ، ٤٨٢ مكتبة مصر ١٩٦٨م .

وأهم هذه العناصر المشتركة ما يلي : -

١ ـ الوجود الإنساني هو المشكلة الكبرى (حياته ، وموته ، ومعاناته ..الخ) .

والإنسان عند الوجوديين ليس ذلكَ الحيوان الناطق الذي افترضه الفلاسفة العقليون ، وجعلوا بذلك النّاس نسخة واحدة .

إنما الإنسان عند الوجودي هو ذلكَ الإنسان الفرد الذي يتفاعل مع الوجود والحياة من خلال تجربته الحية التي لا يحل أحد محله فيها .

والتجربة الإنسانية التي يعيشها الإنسان ، هي منبع كل معرفة وأساس البحث عند الفلاسفة الوجوديين ؛ ولذلك اختلفوا .

فالفرد هو مقياس الأشياء جميعًا ، وخصوصًا جميع القيم .

فالحياة عملية متصلة من اتخاذ القرارات ، وكل قرار هو في نهاية الأمر شخصي وفردي ، وما حياة الإنسان إلاَّ مجرد مشروع ، وكل منا مهندس ذاته وبناؤها [(١)] .

٢ ـ حياة الإنسان مجرد مشروع يزداد تحققًا في كل لحظة .

إنه واقع متجدد يخلق ذاته بشكل مستمر ، وعلى هذا فالإنسان ــ عند الوجوديين ـ لم يخلق دفعة واحدة بحيث يصبح طبيعة محددة واضحة منذ البداية ، بل وجوده هو الذي يخلق ذاته في كل لحظة بحرية كاملة .

إن وجود الإنسان إمكان مستمر على الإنسان أن يحققه ، فليس هناك (طبيعة بشرية) فرضت من الأزل ، وليس هناك تعريف ثابت دائم للإنسان ، بل الإنسان يوجد أولاً ، ثُمَّ يظل يخلق ماهيته بما يختار لنفسه من شعور ، فليس الإنسان إلاَّ

---

(١) انظر : « الفلسفة أنواعها ومشكلاتها » هنز ميد ترجمة فؤاد زكريا ص٤٠٧ ، ٤٠٨ دار نهضة مصر ١٩٧٥م .

ما يختاره لنفسه أن يكون .

ويترتب على هذا أن الماهية غير سابقة على الوجود .

وهذه فكرة جوهرية في الفلسفة الوجودية يتفق عليها جميع الفلاسفة الوجوديين : فالوجود سابق على الماهية عند أكثرهم والوجود هو الماهية عند بعضهم . ولتوضيح ذلكَ نقول [1]: لعلنا نتفق على أن كل نوع من أنواع الكائنات له طبيعة تختلف عن طبيعة النوع الآخر . فلكل نوع مجموعة من الخصائص التي تميزه عن غيره . فالإنسان له طبيعته الخاصة التي نجدها في كل أفراد النَّاس ، ومعنى ذلكَ أن الماهية تشير إلى الطبيعة الحقيقية للأشياء ، فهي تشير إلى إنسانية الإنسان وحصانية الحصان ... الخ ويمكن النظر إليها بصورة مجردة .

أما الوجود فهو ـ بوجه عام ـ التحقق الفعلي لأفراد النَّاس هو هذا الإنسان المعين الذي أعرفه ، أوفى هذا الحصان الجزئي الذي أملكه وأحبه ...

والسؤال الآن : هل الماهية تسبق الوجود أم أن الوجود سابق على هذه الماهية ؟

يرى الوجوديون أن (ماهية) الأشياء الجامدة ـ مثل الكرسي ـ لا بد أن تكون سابقة على وجودها ، فالكرسي قد صنع على يد شخص كانت لديه (فكرة) الكرسي وطريقة صنعه . فوجود الكرسي جاء بعد أن تمثل النجار صورة الكرسي أي ماهيته .

واستخدم الأدوات الضرورية لإخراج هذه الصورة إلى حيز الوجود ، فجاء الوجود هنا لاحقًا على وجود الماهية في ذهن النجار .

---

(١) انظر في ذلكَ : « مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة » د . محمد مهران ص ١٠٢ وما بعدها بتصرف ، ط ١٩٨٤م .

ومثل هذا يقال في النباتات والحيوانات . فبذرة التوت تلك التي تنطوي على خصائص التوت وماهيته تسبق وجود شجرة التوت ، فالماهية هنا سابقة على الوجود لأننا نستطيع أن نتنبأ بالصورة التي تكون عليها شجرة التوت من بذرتها .

وباختصار فإن جميع الكائنات تكون ماهيتها سابقة على وجودها فيما عدا الإنسان . فإن ماهيته لن تكون سابقة على وجوده ، إذ أن الإنسان ـ فيما يقول سارتر ـ مشروع وجود يحيا ذاتيًا ، ولا يوجد في سماء المعقولات مثل هذا المشروع ، والإنسان لا يكون إلاَّ بحسب ما ينويه وما يشرع بفعله .

وبهذا الفعل الحر الذي يختار به ذاته يخلق ماهيته بنفسه ، وينبغي أن نشير هنا إلى نوعين من « الماهية » :

الماهية العامة والماهية الخاصة .

والمقصود بالأولى هي الطبيعة الإنسانية ، أو الصورة الإنسانية العامة التي تميز النوع الإنساني من غيره من أنواع الكائنات الأخرى . وهذه الصورة لا دخل للإنسان بها . وهي تكون معروفة قبل أن يولد الإنسان .

أما الماهية الخاصة ، فهي الحقيقة الفعلية التي يوجد عليها الإنسان في الواقع ، فكون الإنسان خيرًا أو شريرًا ، وكونه مثقفًا أو جاهلاً ، وكونه عالمًا أو طبيبًا أو أديبًا ، أو قاتلاً أو سارقًا ، فهذه كلها تشكل ماهية الإنسان الخاصة ، وحينما يتحدث الوجوديون عن أن الماهية لا تسبق الوجود فإنهم بالطبع يقصدون هذه الماهية الخاصة .

ولكن ما قيمة أن نقدم الوجود على الماهية أو نجعل الماهية سابقة على الوجود ؟

من الواضح أننا لو قدمنا ماهية الإنسان على وجوده لوضعنا بذلك إنسانًا مثاليًا . وما علينا سوى أن نجتهد حتّى نصبح مشابهين لـه قـدر المستطاع ، ولأصبح وجودنا موجهًا نحو غاية معينة . كما أن بالبذرة قوة كامنة توجه نموها حتّى تدرك كمالها ، فتصبح نباتًا له ماهيته التي تميزه عن بقية الأشياء ...

إلاّ أن الوجودية قدمت الوجود على الماهية . فهي تنكر الماهية الواحدة الثابتة ، بل هناك ماهيات كثيرة تختلف باختلاف الأفراد وتتكون من وجود كل فرد . فالوجودية لا تبالي بالماهيات ، ولا تهتم إلاّ بالموجود فكما يقولون : الوجود هو ماهو موجود ..

ومن هنا قيل إن هذه الفلسفة قد أحدثت ثورة في دراسة الإنسان .

« الوجود » عند الوجوديين ليس صفة تضاف إلى الصفات التي تشكل ماهية الإنسان ، بل هو الحقيقة التي تقوم عليها جميع الصفات ، ولا يمكن إدراك الوجود منعزلاً بمفرده . ولا يصح أيضًا أن نقول عن الأشياء أنها موجودة ؛ لأن وجود الأشياء لا يكون بدوننا ، فالأشياء لا تصل إلى درجة الوجود الحقيقي إلاّ إذا وقعت لنا في خبرتنا ، وأصبحت موضوعات لمعرفتنا وشعورنا بها .

ومن هنا كان الوجود الحقيقي في نظر الوجوديين ميزة يمتاز بها الإنسان وحده ، ومن هنا عارض الوجوديون « **الكوجيتو الديكارتي** » أنا أفكر فأنا موجود ... الذي أراد به « **ديكارت** » أن يكون برهانًا على وجودنا ، إلاّ أن هذا « البرهان » لا يشير إلاّ إلى ترجيح التفكير المجرد ، ومن هنا كان « **همان** » ـــ وهو أحد أسلاف الوجودية ـ على حق حين قال على عكس « **ديكارت** » (أنا موجود إذن فأنا أفكر) ، بل إن التفكير يتعارض مع الوجود . وهذا ما تمناه أب الوجودية المعاصرة ـ كيركجارد ـ حين قال : (كلما ازددت تفكيرًا كلما قل

إحساسي بوجودي) .

٣ ـ الوجود مرادف للحرية والاختيار .

وذلك لأن الوجود الحقيقي يتطلب الاختيار والحرية :

فالأفراد الذين تقودهم الجماعة ، ولا يقومون باختيار حقيقي فإنهم ـ فيما يقول هيدجر ـ لا يوجدون على الحقيقة ؛ لأن من يوجد حقيقة هو ـ حسب ما يراه سارتر ـ الذي يختار نفسه بكل حرية أي هو الذي يكون من صنع نفسه .

فالوجود ـ عند الوجوديين ـ مرادف للاختيار ، ومن يتوقف عن الاختيار الحر عند مرحلة معينة يتوقف عن الوجود الحقيقي .

إن الحرية ـ عند الوجوديين ـ هي الوجود الإنساني نفسه ، وليست مجرد صفة مضافة إلى هذا الوجود .

يقول سارتر : (إن الحرية ليست صفة مضافة أو خاصية من خصائص طبيعتي ، بل هو نسيج وجودي)[1] ؛ لأن الحرية هي عين الوجود ، بل إن القول بأن الإنسان موجود يعني ببساطة أنه حر .

لقد حكم وقدر لنا أن نكون أحرارًا فلا يكون الإنسان حرًا في التخلي عن حريته .

وما دام الإنسان حرًا بهذا الشكل فهو مسئول تمامًا عن جميع أفعاله ؛ لأنه فعلها بحرية تامة واختيار كامل .

ويرفض ـ الوجوديون ـ تبرير أفعال الإنسان بأي عوامل خارجية ،

---

(١) « الوجودية نزعة إنسانية » جان بول سارتر ـ الترجمة العربية .

أو ظروف قهرية .

فالحياة - في نظرهم - هي كما نختار لها أن تكون .. فالجبان هو الذي يصنع من نفسه إنسانًا جبانًا ، والبطل هو الذي يجعل نفسه على صورته التي هو عليها ، وفي إمكان كل من الجبان والبطل أن يعكس الوضع . إن الإنسان يمارس حريته حتّى في الأمور التي تبدو خارج نطاق حريته واختياره .. فقد يقال : إن ضعيف البنية - مثلاً - لا يكون حرًا في كونه مصارعًا أو ملاكمًا !

وكذلك الجاهلي لا يكون حرًا في كونه عضوًا في أكاديمية علمية !

ولكن الوجوديين يرون أن وجودنا - على حد تعبير (هيدجر) - هو : (وجود مقذوف به في موقف تاريخي) لا مهرب لنا منه . ولحماية حريتنا لا بد لنا من أن نقبل هذا الموقف بإرادتنا الحرة . فما دمنا لا نستطيع له تغييرًا فيجب علينا أن نجعله ملكًا لنا ، وذلك بتوحيده بوجودنا ؛ لأننا سنبدد طاقتنا وربما سنقضي على حياتنا لو أننا وقفنا ضد هذه الضرورات الخارجية .

ويرى « **سارتر** » أنني إذا كنت عاجزًا - بالقهر والجبر - فأنا حر في اختيار موقف أقفه تجاه عجزي هذا . فإما أن أختار الحياة على هذا النحو وبهذه الحياة التي اخترتها أجعل العجز فعلاً من أفعالي ، وبالتالي فأنا مسئول عنه . وإما أن أختار الانتحار كما يفعل البعض ، والإنسان - عند الوجوديين - مسئول عن نفسه وعن العالم لا في وجودهما ، بل في كيفية وجودهما .

ولسائل أن يسأل : هل معنى ذلكَ أن الحرية - عند الوجوديين - مطلقة بمعنى أنها لا تعترف بجبر أو إلزام ؟

وإجابة الوجوديين على هذا تبدو وكأنها مناقضة لمفهوم الحرية عندهم ، فهم

يربطون بينَ الحرية والضرورة . والحرية لا تظهر بصورتها الحقيقية إلاَّ في صراعها ضد الضرورة . ومن هنا فلا تعارض بينَ الحرية والضرورة أو الجبر . فالضرورة هي التي تنظم الحرية وتكفل بقاءها .

فقد ذهب « **كيركجارد** » إلى القول بأن الحرية في اختياري لا تظهر إلاَّ عندما أسلم نفسي للضرورة . وحينما أسلم نفسي لها أنساها ، وبذلك يكون الاختيار الحقيقي ـ عنده ـ هو الشعور بأننا لا نستطيع أن نعمل إلاَّ ما نعمله ، أو بعبارة أخرى : إنني لا أستطيع أن أختار إلاَّ ما أختار . وهذا يعني أن الحرية لا تلغي القيود والضرورة ، وإلى مثل ذلكَ ذهب « هيدجر » ، و« ياسبرز » . وقد رأى « ياسبرز » أن الأقوال : « أنا موجود » ، و« أنا ملزم » ، و« أنا أريد » ، و« أنا أختار » كلها أقوال مرادفة للحرية الوجودية ، فلا اختيار بغير قرار ، ولا قرار بغير إرادة ، ولا إرادة بغير إلزام . ولا إلزام بغير وجود .

أما بالنسبة لسارتر فقد بدت الحرية ـ عنده ـ وكأنها مطلقة ؛ لأن الإنسان عنده سيظل حرًا حرية مطلقة حتَّى وهو في أشد المواقف قهرًا وجبرًا (إنه حتَّى مقابض الجلاد لا تعفينا من أن نكون أحرارًا) .

والحرية هنا ليست مجرد « الحرية الداخلية » وحسب . فالعبد حر بالفعل في أن يكسر قيوده ؛ لأن معنى القيود لا ينكشف إلاَّ في ضوء الهدف الذي يختاره : فإما أن يظل عبدًا أو أن يغامر من أجل أن يحرر نفسه من العبودية (١) .

ويرى « سارتر » أن الحرية لا تنبثق إلاَّ من مواقف الجبر والقهر : فكل العقبات والتحديات لحريتنا هي من صنعنا وتظهر معنا ، ويذهب سارتر إلى أن الوضع الذي

---

(١) انظر : « سارتر فيلسوف الحرية والاغتراب » محمود رجب « مجلة الفكر المعاصر » العدد [٢٥] ص ٤٩ بالقاهرة ١٩٦٧م .

يقاوم حريتنا لا يمكن أن يكون حجة ضد حريتنا . ذلكَ أن الحرية تنبثق من خلاله[1] .

وبهذا يتضح لنا أن الوجود مرادف للحرية ـ عند الوجوديين ـ ، بل هو عينها ، وهذه الحرية لا تمنعها ولا تحجبها ضرورة أو جبر ، إذ أنهم يجعلون مواقف الجبر والضرورة مواقف للحرية .

٤ ـ الحياة عبث والوجود عارض [2] :

إن نظرة الوجوديين إلى الحرية وما يترتب عليها من شعور كامل بالمسئولية أدى بهم إلى الشعور بالضيق والقلق الشديد . ولكن لا مهرب للإنسان من هذا « القلق الأخلاقي » ، فالإنسان لا بد أن يعيش مع القلق لا على البحث عن وسائل القضاء عليه . وزادت الوجودية من حدة هذا التوتر والقلق حين صورت الكون على أنه عرضي تمامًا ، وذلك بالنسبة إلى تجاربنا المنعزلة ، ويترتب على ذلكَ أن الحياة عبث أو لا معقولة بالضرورة ، ويكون وجود كل فرد أمرًا لا تحكمه أية ضرورة .

إن العالم بالنسبة للوجوديين عارض تمامًا . فمن الممكن أن يحدث أي شيء لأي شخص . فمهما تكن القدرة التنبؤية في المستقبل ـ سواء كان ذلكَ عن طريق العلم أو غيره ـ فإنها لا تستطيع أن تتنبأ بما سيحدث للإنسان . فتاريخ الحياة في نظر الوجودي ليس إلاَّ سلسلة من الأحداث العارضة التي تقع بلمصادفة البحتة .

وهذه المصادفة هي في نظر « سارتر » الصفة الأساسية المميزة لكل وجود .

وما دام الوجود ـ عند الوجوديين ـ عارضًا ، فإن الحياة لا بد وأن تكون عبثًا وغير معقولة بمعنى أنها لا تتسق مع الحقيقة .

---

(١) المرجع السابق ص ٥٠ .

(٢) انظر في ذلكَ : « الفلسفة أنواعها ومشكلاتها » هنترميد ـ ترجمة فؤاد زكريا ص ٤١٠ ـ ٤١٦ بتصرف ، دار نهضة مصر ١٩٧٥م .

فما دام أي شيء يمكن أن يحدث للشخص ، فمن العبث أن نعتقد أن للحياة غاية أو خطة أو نظام عام . فكل الحوادث التي تؤثر في حياتنا عشوائية لا يمكن التنبؤ بها . فنحن نعيش دائمًا على حافة هاوية من اللايقين .

فهل الحياة ـ إذن ـ بلا معنى ؟

هنا يحاول الوجوديون أن يعطوا للحياة معنى يبرر العيش فيها ، ألا وهو « الإلتزام » ومعناه : إمكان وضع الأفراد لأهداف فردية ، واهتدائهم إلى غايات (ذاتية) في الحياة ، فالقيم ــ عند الوجوديين ــ ليست شخصية أو فردية خالصة فحسب ، بل كل الخطط والغايات تتصف بهذه الصفة .

وعلى هذا فإننا لا يمكن أن نجعل للحياة معنى إلاَّ إذا أمكننا أن نجد بأنفسنا ، وفي أنفسنا معنى ورضى في أعمال أو أهداف معينة . وهذا يعني الإلتزام بأمور معينة أو مشروع معين نكرس له أنفسنا بكل ما لدينا من طاقة . وهي التزامات قابلة للتغيير وبدونها لا معنى للحياة . وينبه الوجوديون إلى أن الشعور بوجود معنى إنما هو شعور ذاتي محض . فمن الوهم أن نتصور أن الكون معنى بالتزاماتنا وما تجلبه لنا من الرضا . كما أن من أفدح الأوهام أن نتصور أن (المجتمع) و(النّاس) معنيون بهذه الأمور .. إن كلاًّمنا يقف وحيدًا .

قد يكون هناك آخرون يشاطروننا نفس المشروع ويعملون لنفس الأهداف . ولكن إذا توقف نشاطنا (أو حتّى توقفت حياتنا) لضم الباقون صفوفهم واستمرت الحياة في طريقها .

وبهذا المعنى يكون كل منا غير ضروري ، ومن الممكن الاستغناء عنه . وكما تشير الشخصيات في كتابات « سارتر » في أحيان كثيرة ، فإن الفرد عندما يموت تظل قطارات (المترو) مزدحمة ، والمطاعم مليئة ، والرؤوس تكاد تنفجر من فرط اهتمامها

بالمشكلات التافهة ، بل إن الحرب الواسعة النطاق التي تقتل الملايين تترك العالم دون تغيير كبير ، فسرعان ما يتكاثر السكان بحيث يعوضون النقص وزيادة ، وتظل الحياة مستمرة في طريقها « لا إلى مكان » ، أي أنها لا تتجه إلى هدف محدد .

وهكذا يقف الإنسان وحيدًا في هذه الحياة . يأتي وحيدًا ، ويعيش وحيدًا ، ويموت وحيدًا ، ليس لحياته معنى اللهم إلاّ في هذه القرارات الفردية والإلتزام الشخصي والمشاعر التي ترضيه . وقد لخص ذلكَ « **بسكال** » أحد رواد الوجودية حين قال : (ما أنا ؟ أنا في نظر الكون لا شيء ، وفي نظر نفسي كل شيء) .

٥ ـ لا يميز الوجوديون بينَ الذات والموضوع في مجال المعرفة .

ولهذا فهم لا يعيرون اهتمامًا للمعرفة العقلية في الأغراض الفلسفية ؛ لأن المعرفة الحقيقية لا تتحقق ـ عندهم ـ عن طريق الفهم ، وإنما تتحقق من خلال الواقع الذي يكون موضع خبراتنا وتجاربنا . فالوجودية ترفض كل أنواع التفكير المجرد والفلسفة المنطقية . إنها اتجاه يرفض « **مطلقية العقل** » ويؤكد وجوب نزول الفلسفة من عالم المجردات ؛ لتتعلق بحياة الفرد وتجربته الخاصة ، والموقف التاريخي الذي يجد نفسه فيه .

ينبغي أن تعيننا الفلسفة على أن نعيش من خلال اهتمامها بطريقة الحياة .

ويقر الفيلسوف الوجودي بأن ما يعرفه ليس هو العالم الخارجي من حيثُ هو كذلك ، بل هو تجربته الخاصة .

فالأمر الشخصي بالنسبة للوجودي أمر واقعي ، وعلى ذلكَ ينبغي أن تبدأ الفلسفة من خبرة المرء الخاصة ، من معرفته الباطنية الخاصة وهي المعرفة الجديرة بالعناية والتوسع والإثراء .

أما العقل ـ كما أشار إلى ذلكَ بعض الوجوديين ـ يمكن أن يكون مفيدًا في هذا الاتجاه . ولكن لا ينبغي على الإطلاق أن يكون وصيًا آمرًا .

سارتر [1] والوجودية

عرف تاريخ الفلسفة نوعًا آخر من الوجودية قبل « سارتر » كان رأيًا فلسفيًا منتقدًا عرف منذ فلاسفة اليونان ، وفي مقدمتهم « سقراط » (٤٦٩ ــ ٣٩٩ ق . م) ، ولم يكن هذا الرأي الفلسفي قائمًا على الإلحاد أو داعيًا إليه يقول « بول فولكييه » : إن الوجودية الدينية أقدم تاريخًا من سائر الوجوديات [1] ، ثُمَّ ظهرت الوجودية الإلحادية التي كان رائدها « مارتن هيدجر » ١٨٨٩م .

ذلكَ الفيلسوف الألماني الذي ذهب إلى أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يسبق بوجوده الفردي وجود ماهيته المجردة .

ثُمَّ تابعه اليهود الصهيوني « **جان بول سارتر** » على طريق الوجودية الملحدة ، فصار اللسان المعبر عنها حتّى عرف بها أو عرفت هي به .

وخلاصة رأي « سارتر » في الوجودية الملحدة :

أن هناك نوعين من الوجود :

الأول : وجود الأشياء الخارجية . وسماه وجودًا « في ذاته » فالشيء الموجود في الخارج هو موجود في ذاته .

ويرى أن الموجود في الخارج هو الموجود في الواقع لا في التصورات الذهنية . وهو كائن بالفعل لا بالقوة ، وله ذاتية مستقلة كاملة ، وليس فيه مجال للإمكان ، أي : لا يحتمل غير الواقع الذي وجد فيه .

الثاني : وجود الأشياء في الشعور . وهو ما يعرف في الفلسفة القديمة بالوجود

(١) « هذه هي الوجودية » بول فولكييه ـ الترجمة العربية ص ٧٠ .

الذهني ويسمي « سارتر » هذا النوع (الموجود لذاته) .. أي أنه موجود في الشعور ليحقق نفسه ، ليحقق ذاته فقط ، لا ليحقق ماهية خارجة عنه ..

ويرى « سارتر » أن (الموجود لذاته) هو أقرب إلى « مشروع وجود » منه إلى الوجود المكتمل الثابت ؛ لأنه متغير يقوم على النزوع المستمر نحو المستقبل ، والتنصل المستمر من الماضي ، فهو موجود له حالة في كل لحظة تختلف عن حالته في لحظة سابقة بخلاف الأشياء المادية ذوات الذاتية الثابتة .

ولما كان الشعور ـ بطبيعته ـ غير مستقر ، كان محالاً أن تتحدد ماهيته كما تتحدد ماهيات الأشياء الخارجية . ومن هنا كانت حرية الإنسان هي صميم وجوده الشعوري القلق . فهو حر ؛ لأنه يخلق نفسه بنفسه كل لحظة ، فليس هناك تعريف ثابت للإنسان كيف ينبغي أن يكون وليس هناك طبيعة بشرية فرضت منذ الأزل ، بل الإنسان يوجد أولاً ، ثُمَّ يظل يخلق ماهيته بما يختار لنفسه من شعور .

كما زعم « سارتر » أن الإنسان هو الذي يضع مقاييس الحق والخير والجمال ، فأسقط المسئولية عن الإنسان وأثبتها له أيضًا في آن واحدٌ ، إلى آخر ما ذهب إليه من تناقضات وأباطيل مخالفًا بها الفلاسفة المؤمنين ، ومسجلاً فشله الذريع في التعرف على رب العالمين .

تعقيب

أولاً : قد يحمد للوجودية اهتمامها بالإنسان ومشكلاته التي يعيشها في واقعه العملي ، والتي لم تجد عناية كافية من الكثير من الفلاسفة وهم يبحثون عن الحقيقة الضائعة في سماء المجردات ، فكان اهتمامهم بمطلق الإنسان وحسب ، ووضعوا ذلكَ الاهتمام في صيغ مجردة قد لا تمس صميم الوجود الفعلي للحياة الإنسانية كما يحياها الأفراد . فجاءت الفلسفة الوجودية لتركز على هذا الجانب وتوليه أكثر اهتمامها

وعنايتها ، فكان محل إعجاب وتقدير من البعض المادح لهذه الفلسفة المأخوذ بتعاليمها وبريقها .

على أن ربط التفكير بالواقع العملي أمر سبق إليه الإسلام منذ وجد الإسلام حين ربط بين القول والعمل ، واهتم بالإنسان اهتمامًا بالغًا لم يُسبق إليه في أي ملة أو نحلة أو فكرة .

ثانيًا : وكما وجدت الوجودية من يمدحها وجدت الكثيرين الذين انتقدوها وهاجموها على اختلاف أفكارهم ومشاربهم .

لقد انتقدها : الماركسيون ، والمؤمنون ، والمثاليون ، والتجريبيون ،وغير ذلكَ من الفلاسفة المعاصرين . وهذه هي أهم الانتقادات الموجهة إلى الفلسفة الوجودية [1] :

١ ـ الفلسفة الوجودية نزعة فردية متطرفة ، تحصر الإنسان في ذاتيته الفردية ، ولا تظهر اهتمامًا يذكر بالمجموع وبالإنسان من حيثُ هو إنسان ، وهذه حقيقة يقر بها الوجوديون أنفسهم ، إلاّ أنهم يفسرونها تفسيرًا مختلفًا عما نفهمه من (الذاتية) ..

فهذا « سارتر » يقول : (إذا ما كانت الذاتية منطلقا لنا . فإن ذلكَ يرجع إلى أسباب فلسفية بحتة وليس لأننا برجوازيون .

إننا نريد نظرة مستندة إلى الحقيقة ، لا مجرد نظريات جميلة مليئة بالأمل ينصدم بها الأساس الواقعي) .

وهذا الاعتراف من جانب « سارتر » يؤكد بأن منطلق الوجودية هو الذاتية التي يدعى أنها مستندة إلى الحقيقة .

وكأن هذه الفلسفة إذن تبدأ بفكرة مسبقة ، أو افتراض أولى وهو : أن الحقيقة

(١) انظر هذه الانتقادات في : « مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة » ص ١١٩ ـ ١٢٦ (مرجع سابق) .

الواقعية الوحيدة هي « الذاتية » . وبذلك تنكر أية حقيقة يمكن أن يقال عنها أنها إنسانية عامة .

ما دامت كل الحقائق لا بد أن تكون فردية خاصة .

فهل يمكن أن تقام على الذاتية الإنسانية فلسفة تعبر عن حقيقة الإنسان وطبيعته ؟

إن الوجودية جاءت كرد فعل للموضوعية التي سعى إليها فلاسفة القرن التاسع عشر باعتبارها الصورة الوحيدة الممكنة والصحيحة للمعرفة ، وما يتبع ذلكَ من تطرف نحو النزعة العلمية المادية .

لقد قامت الوجودية لتعارض المادية حين قالت : بأن العالم التي تبدو موضوعيته متكتلة ساحقة هو نفسه (من أجل الإنسان) ، فأكد « سارتر » ، و« هيدجر » وغيرهما على أن (العالم إنساني) .

ولكن هل هو إنساني فحسب ؟

ألا نلاحظ هنا انتقالاً خطيرًا يتجاوز الحدود ، فالعالم الذي هو إنساني يصبح إنسانيًا فقط ولا شيء غير ذلكَ .

إن الذاتية في حركتها ضد المادية تبتلع الموضوعية وتلتهمها ، فتجيء نزعة ذاتية متطرفة تطمس معالم أية حقيقة تحتفظ بها أشياء العالم للإنسان المرتد إلى ذاته . ألم تؤد آراء « سارتر » وغيره إلى تطهير الذاتية من كل عنصر موضوعي إلى درجة تستحيل معها تلك الذاتية إلى مجرد عدم .

٢ ــ الفلسفة الوجودية نزعة تشاؤمية انهزامية تتشدد في القول بأن الإنسان مقذوف به في هذا العالم رغمًا عنه . ويترك هذا العالم رغمًا عنه . ويعيش حياته كلها

في ضجر ، وسأم ، وقلق ، وندم ، ويأس ، ينظر إلى الآخرين على أنهم هم الجحيم بعينه . وينظر إلى حياته على أنها عبث ، ووجوده عبث ، بل حريته عبث في عبث ، وهكذا ينتهي الأمر بالوجودية الملحدة إلى العدم . فها هو ذا « سارتر » يضطر إلى القول : (إن جميع الكائنات الموجودة قد جاءت إلى الوجود بلا سبب . وتواصل وجودها خلال الضعف ، ثُمَّ تموت بالمصادفة .. إن الإنسان عاطفة فارغة ، فلا معنى في كوننا نولد ، ولا معنى في كوننا نموت) .

وها هي ذي رفيقته المخلصة « سيمون دي بوفوار » تقول بدورها : (إنني عبثًا أنظر إلى نفسي في المرآة ، أحكي لنفسي قصتي ، إنني لن أستطيع أن أقفز خارج نفسي كموضوع تام ، إنني أختبر في نفسي الخواء الذي هو نفسي ، فأشعر بأني لا أكون) .

وها هو ذا مرة ثالثة « هيدجر » يقول : (في نفسي قلب الوجود ، يكون العدم كائنًا مذابًا في العدم) .

فأي انهزامية وأي تشاؤم ذلكَ الذي يبدو في هذه الأقوال . وأمثالها كثير . ناهيك عما فيها من أفكار إلحادية مفجعة سوف نعود إليها بعد قليل .

أي فلسفة إنسانية تلك التي ترمي بالإنسان في خضم اليأس والقلق يجترالهم اجترارا حسرة على حياته العبثية ووجوده الذي يخلوا من كل غاية وهدف . إنها جديرة أن تسمى فلسفة تشاؤمية لا إنسانية .

٣ ــ مفهوم الوجوديين للحرية ينطوي على كثير من المفارقات ـ فالحرية تبدو ــ عند الوجوديين ـ قريبة من الفوضى . ويبدو أنهم قد أحسوا بما في ذلكَ من مجافاة للحقيقة ، فراحوا يربطون بينها وبين نقيضها . أعني الضرورة تارة والإلتزام تارة أخرى حتَّى يضفون عليها شيئًا من المعقولية ، إلاَّ أن القارىء لهم يشعر بمثل هذه المفارقات .

فعندما تقرأ لسارتر في كتابه « جمهورية الصمت » تعجب وتتساءل : كيف يمكن أن تزداد حرية الإنسان في ظل الاحتلال ؟ وكيف يشعر الإنسان بحريته وهو مهدد بسلاح القاهرين ؟ كيف يشعر الإنسان بحريته وهو مكبل بالأغلال ؟

أين هي تلك (الواقعية الإنسانية) التي يتشدق بها الوجوديون ؟

وحتى لو صح ذلك ألاَّ تكون الحرية هنا مطلقة تمامًا ؟

يبدو أن هذا ما فهمه « سارتر » بدليل ثورته على كل ما يقيد الحرية ، سواء كانت تلك القيود نظمًا سياسية أو تقاليد اجتماعية أو أديان لها قد سببتها . وهذا هو الملاحظ في جميع كتابات « سارتر » ورواياته من أمثال : « وراء الستار » ، و« أنتهت الألعاب » ، و« الذباب » وهكذا تمتزج الحرية بالفوضى ؛ لأنها تصبح بلا ضوابط ومن هنا كان اتهام الوجودية بالإباحية والسلوك الفاضح الذي لا تحكمه مبادىء أو قيم .

ويرى الوجوديون أن « وجود » الإنسان ينطوي على الموقف التاريخي الذي يجد الإنسان نفسه فيه . وهذا ما اضطر الوجوديين إلى أن يتنبهوا إلى التحديدات الخارجية للحرية . فقال « هيدجر » بأننا لا نستطيع أن نغير الموقف التاريخي الذي نوجد فيه ؛ ولذلك لا بد أن نجعله ملكًا لنا .

أما « سارتر » وتلاميذه فإنهم لا يواجهون الموقف التاريخي ، بل يتمثلون اليأس فيقذفون بأسهم إلى الواقع الخارجي ، ويجعلون الموقف التاريخي موقفهم الخاص بالاستسلام لليأس ولهذا قال « سارتر » : (إن خوفي حر وهو دليل حريتي ، فأنا أضع كل حريتي في يأس وتكون لدى الحرية) .

والسؤال الآن : هل استطاع الوجوديون أنفسهم أن يجعلوا المواقف التاريخية مواقفهم الخاصة ؟

إن تاريخهم يثبت لنا عكس ذلكَ . فقد كانت قرارات كل من « هيدجر » و« سارتر » السياسية موضع ريب . ولم يكونا على يقين من مواقفهم بدليل أن « هيدجر » قد أصبح نازيًا لفترة من الزمن ، ثُمَّ ترك النازية وأعلن عداءه لها . وأصبح « سارتر » شيوعيًا ، ثُمَّ ترك الحزب في نهاية الأمر . فلم يستطع أي منهما أن يجعل الموقف موقفه الخاص . فهما قد استسلما له ؛ لأن حكمهم التاريخي يفتقر إلى أي أسس حقيقية .

٤ ــ فشل الوجوديون في جعل الموضوعية في خدمة المنهج الذاتي .

فقد هاجم الوجوديون أولئك الفلاسفة الذين ركزوا على الماهية . إلاَّ أنهم غالوا في القول بعدم وجود ماهية للإنسان سابقة على وجوده إذ أننا لا يمكن أن نستبعد الماهية ؛ لأننا لو فعلنا ذلكَ لأصبح الوجود خاليًا من كل مضمون .

فمن الخطأ البين أن ينظر إلى الإنسان على أنه كائن غير محدد بشكل كامل ، أي بوصفه مادة قابلة لأن تتحول إلى أي شيء وإلاَّ لما وجدنا سببًا في أن نطلق عليه كائنًا « إنسانيًا » ولما كان بالنسبة لنا مفهوما على الإطلاق . كما أننا لا بد أن نواجه الواقع الخارجي الذي لا بد أن نؤقلم حياتنا له ، وبالتالي يكون مفهومًا لنا ، كما نفهم الموقف التاريخي تمامًا . فإذا ما اختفت الماهية اختفى معها كل شيء متعين يمكن أن يقودنا إلى فهم الوجود . مثل الخصائص التي يتميز بها الإنسان والحرية والتسامي والواقع الخارجي بل وخصائص الموقف التاريخي نفسه .

٥ ــ الوجودية تنشد خزي الإنسان وتظهر في كل مكان ماهو قذر ومريب ، وتهمل الجانب النيرًا لمضيء من طبيعة الإنسان في زاويته الجميلة الضاحكة . فهي تنسى الجمال في الأشياء ، وتنسى ابتسامة الطفل البريء ، ولا ترى في الحياة سوى جانبها المظلم ، وبذلك تبتعد عن التضامن البشري ، وتعزل الإنسان عن العالم ، وتحصره في

وجوده الفردي ، وفي عزلته المميته ، كما تجعل الإنسان عاجزًا عن التضامن مع سائر النّاس الذين هم خارج (الأنا) أو (الذات) وهذا ما يضفى على هذه الفلسفة صفة اللا إنسانية التي لا ينبغي أن تكون في مذهب فلسفي يدعى الإنسانية . إن التشديد على الجانب السيء من حياة الإنسان كان له أثره القبيح في الحياة الإجتماعية ، وهذا ما جعل النّاس ينشدون في الوجودية تبريرًا لكل ما هو قذر وقبيح . ويبررون بها كل أفعالهم الفاضحة . بل قد أدت إلى انتشار الإنحلال الخلقي ، والتصرفات الشاذة التي تمثلت في حانات الليل ، ونوادي العراة ، وكل ما هو قبيح من الناحية الخلقية . ويروى سارتر نفسه عن سيدة كانت كلما أتت بفعل غير لائق تعتذر عن ذلكَ بقولها : (معذرة ، أظن أنني أتصرف كالوجوديين) .

كأن الوجودية والقباحة شيء واحد ..

ويساعد على تأكيد ذلكَ ما عرف عن الوجودية من آراء متحررة عن كل عرف وتقليد ، وإعلاء لحرية الإنسان بصورة تقترب من الفوضى ، وبتالي حدوث الفساد .

٦ ــ الوجودية الملحدة حظيت بالانتشار والذيوع ، وقد حاولت القضاء على القيم الروحية بإلغاء الدين ومبادئه ، مكتفية بالإنسان وحريته .

لقد قنع بعض النّاس من قديم الزمان أن يكون نصف إله .

إلاَّ أن إنسان الوجودية أبى إلاَّ أن يكون إلاهًا كاملاً .

فنادى بموت الإله على لسان « سارتر » و« نيتشة » (١٨٤٤م ــ ١٩٠٠م) وغيرهما من الوجوديين الملحدين . إذ أن فكرة الألوهية ـ عندهم ــ تمثل عقبة كؤودا توشك أن تلغي شخصية الإنسان ، وتحول دون تأكيده لذاته ، فليزح المرء تلك العقبة من طريقه ليتمتع بحريته الكاملة واستقلاله التام .

وإذا كان اللّه ـ تعالى ـ غير موجود فقد أصبح كل شيء مباحًا .

ولا شك أن المثل العليا التي جاءت بها الأديان والتي وافقها بعض الفلاسفة من قديم الزمان كفيلة بوضع الإنسان في مكانه اللائق به بينَ مخلوقات اللّه . ولو كره الوجوديون .

هذا وينبغي أن يكون معلومًا أن الفلسفة بشتى صورها وتعدد دروبها وتنوع مسالكها في البحث عن الحقيقة لم تصل إلى رأي يحسن السكوت عليه . إذ لا مقياس ولا معيار لها للتفرقة بينَ الحق والباطل أو بينَ الصواب والخطأ . وعندما قام اثنان من كبار عباقرة الفلسفة بمحاولة لا يجاد هذا المقياس وهذا المعيار وهما : « أرسطو » في الماضي و« ديكارت » في العصور الحديثة فإنهما باءا بالفشل وأخفق كل منهما إخفاقًا تامًا وكاملاً . وضاعت الحقيقة بينَ منطق أرسطو ومنهج ديكارت .

وما دامت الفلسفة لا مقياس لها فهي ظنية لا سبيل إلى اليقين في موضوعاتها . وهو ما يفسر لك استمرار الاختلاف والجدل بينَ الفلاسفة عبر تاريخ الفلسفة الطويل . إن الثوب الفلسفي الذي صنعه الفلاسفة على مر العصور من رقع مختلفة الألوان والمساحات والنوعيات لا يكسو محتاجًا ولا يستر عورة !

أقصد عورة الفكر الإنساني الناقص والذي سيظل ناقصًا أبدا . وصدق اللّه العظيم القائل : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [1] إن تعاليم الإسلام وهداياته هي التي تهدي إلى الحق وإلى الصراط المستقيم .

(١) سورة الإسراء : الآية ٨٥ .

العلمانية

العلمانية

نشأتها ، فكرتها ، مجالاتها ، آثارها على العالم الإسلامي ، وموقف الإسلام والمسلمين منها

أولاً : نشأتها :

جاء في القاموس الإنجليزي أن كلمة « **علماني** » معناها : دنيوي ، أو مادي ، أو ليس بديني .

فالمقصود من الكلمة هو إقامة الحياة بعيدًا عن الدين ، أو الفصل الكامل بينَ الحياة والدين .

وتقول دائرة المعارف البريطانية عن « **العلمانية** » : (هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف النّاس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها ...) إلى أن قال : (وظل الاتجاه إلى العلمانية يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية) .

وهكذا يتضح لنا أنه لا علاقة لكلمة « **العلمانية** » الأصلية في اللغات الأوربية بالعلم إنما علاقتها تقوم على أساس نفي الدين والقيم الدينية عن الحياة ؛ ولذلك كانَ الأولى أن نسميها « **اللادينية** » بصرف النظر عن ادعاء أهلها أنها لا تعادي الدين وإنما تبعده فقط عن مجالات الحياة العملية ، وهو إدعاء كاذب لا ينطَبق على حقيقة الواقع .

ونلخص مما سبق إلى أمرين :

الأول : أن « **العلمانية** » أحد مذاهب الكفر والضلال ، فهو يرمي إلى عزل الدين عن التأثير في الأمور الدنيوية .

الثاني : أنه لا علاقة « **للعلمانية** » بالعلم . والتعبير الصادق أن يقال بدلاً منها

« اللادينية » .

ولكننا مضطرون إلى استخدام المصطلح المعروف عند النّاس ، رغم عدم دقته حتّى يتم الاتفاق على اللفظ الدقيق .

والذي يهمنا الآن أن نسأل : **كيف نشأت هذه العلمانية ؟**

كانت أوربا في العصور الوسطى غارقة في بحر من الظلمات تعيش في ظروف دينية متردية للغاية ، فقد عبثت الكنيسة بدين اللّه المنزل وَحَرَّفَ القساوسة ديانة المسيح ، وعملوا على تشويهها ، وقدموها للناس في صورة منفردة تمجها العقول ويرفضها الشعور .

وكيف لا ينتبذ الإنسان دينًا على هذا النحو تحوطه التحريفات في نصوصه وشروحه ، والانحراف في سلوك رجاله .

لقد تعارض هذا الدين المبدل مع مصالح النّاس في دنياهم ومعاملاتهم ، وفي نفس الوقت تعارض مع حقائق العلم الثابتة .

فالدين المنزل من عند اللّه ليس فيه أن اللّه هو المسيح ابن مريم . وأن اللّه ثالث ثلاثة . وليس فيه أن يقوم الأحبار والرهبان بالتشريع من عند أنفسهم فيحلو ويحرموا بغير ما أنزل اللّه . وليس فيه أن يكون لرجال الدين سلطان يرهب النّاس ويفرض عليهم الخضوع لأهوائهم .

وليس في الدين المنزل أن الأرض منبسطة وليست كروية ، وأن من قال بكرويتها يحرق حيًا في النّار .

وليس في الدين أن يفرض رجال الدين لأنفسهم عشور أموال النّاس ولا يأخذ الفقراء والمساكين منها شيئًا .

نعم ليس في الدين كل ما فعله رجال الدين من أهل الكتاب من فضائح وخزي

ونقائص كصكوك الغفران ، والفساد الأخلاقي بشتى صنوفه ، ومناصرة الكنيسة للظلم والظالمين .

كل هذا وغيره كانَ كفيلاً أن يدفع النَّاس إلى البحث عن مهرب لهم من سجن الكنيسة ومن طغيانها ، فلجأوا إلى العلمانية التي أتاحت لهم الخروج على ذلكَ الدين الذي قضى عليه أتباعه ؛ ليبقوا على شهواتهم ورغباتهم وأطماعهم .

كانَ لابد من التمرد على دين يحارب العلم ويناصر المجرمين وكان لابد من إبعاده وطرده من كافة جوانب الحياة .

وكان عليهم أن يبحثوا عن الدين الصحيح فيعتنقوه ، ولابد أن الإسلام كانَ يجيب طلبهم ويسد حاجتهم ويأخذ بأيديهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور ، ومن الموت إلى الحياة ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن الجاهلية إلى الإسلام ، لكنهم لم يفعلوا ، بل أعلنوا حربًا على الدين كله ، لهذا كانَ من الحق أن نقرر : أن الظروف التي أحاطت بالدين في أوربا تفسر لنا بعد النَّاس في أوربا عن الدين ، ولكنها لاتبرر هذا الإبعاد .

ثانيًا : فكرتها :

إن الإلحاد هو السمة المميزة للفكر العلماني ، وله وجهان :

وجه ينكر الدين كلية ، وينكر وجود اللَّه الخالق البارئ المصور ، ويعلن الحرب على المؤمنين أو الداعين إلى الإيمان ، والحكم بكفر هؤلاء ظاهر وميسور .

والوجه الآخر للعلمانية والعلمانيين لاينكر وجود اللَّه ، بل يؤمن به إيمانًا نظريًا ، فيرى « وليم جيمس » مثلاً وهو اللسان المعبر عن الفلسفة البراجماتية الأميريكية يرى أن الإنسان يمكن أن يؤمن باللَّه ما دام هذا الإيمان نافعًا في دنياه يجلب إليه السكينة وراحة النفس ، ولا بأس أن يكون مشركًا ملحدًا إن كانَ في ذلكَ نفعه ومصلحته ، فالمهم ما ينفعه بصرف النظر عن كونه حقًا أو باطلاً في ذاته ، وهذا الوجه الذي يبيح الإيمان باللَّه

لمن أراد ينكر أشد الإنكار أن يتدخل الدين في شئون الحياة الدنيا بأي شكل من الأشكال ، وهذا الوجه من الإلحاد أشد خطرًا من الوجه السابق من حيثُ الإضلال والتلبيس على العوام . فكونها لا ترفض الإيمان بالله يُخْفى على كثير من عوام المسلمين حقيقة أمرها فلا يتبينون ما فيها من الكفر ، وهذا هو السر في أن أكثر الحكومات الإسلامية في هذا العصر هم العلمانيون من هذا الوجه الثاني ، ولذلك خفى أمرهم على جمهور المسلمين الذين لايفهمون حقائق الأمور !

لقد أصبح الطابع المميز للفكر العلماني هو التمرد على الدين المنزل من عند الله ، ولا يخفى أن لليهود دور كبير في نشر هذا الفكر والدعاية له وبثه في أرجاء العالم ؛ لأن مثل هذا الفكر يكسر قيدًا هامًا طالما عانى منه اليهود المشتتون في بلاد العالم حيثُ كانَ ينظر إليهم في كل البلاد التي دخلوها نظرة إزدراء ومقت واحتقار نتيجة ماضيهم الأسود وتاريخهم الملطخ بدماء الأنبياء ، أما في ظل العلمانية والفكر العلماني فلا بأس من كونه يهودي أوغير يهودي طالما أبعد الدين تمامًا عن مجالات الحياة .

ولايخفى دور « فرويد » ، و« دور كايم » ، و« دارون » هؤلاء اليهود الثلاثة في هذا المجال .

ثالثًا : مجالاتها :

تطرقت العلمانية إلى مجالات الحياة المختلفة نذكر منها :

١ ـ السياسة :

استقلت السياسة عن الدين في الفكر العلماني وفي الدول التي اعتنقت العلمانية ، وبالتالي فقد استقلت السياسة عن الأخلاق الدينية ، وسمعت أصوات كثيرة لرؤساء دول يرددون هذه العبارة « لا دين في السياسة ، ولا سياسة في الدين » ومن هنا فقدت السياسة كل قيمة أخلاقية محترمة ، وقامت على إثر ذلكَ أبشع الدكتاتوريات في التاريخ ، ونظرة إلى ما وقع في أيام « موسوليني » ، و« هتلر » وما وقع في الدول الشيوعية حتّى

اليوم كفيلة هذه النظرة أن ترينا إلى أي مدى انحدرت السياسة العلمانية في تبرير الوسيلة بالغاية ، مع أن الوسيلة عندهم والغاية عندهم كلتاهما ما أنزل اللّٰه بها من سلطان .

وإلى جانب الفساد في السياسات الداخلية فقد شهدت السياسة الخارجية أبشع حالات قانون الغاب بأن يأكل القوي الضعيف ، وصارت ما يُسمّى بهيئة الأمم ستارًا للسياسة العدوانية التي تقوم بها الدول الكبرى ضد الدول الصغرى . وصارت الأرض كلها مجالاً لمؤامرات المخابرات الأمريكية بغير حساب !

٢ ـ الاقتصاد والاجتماع :

دخلت العلمانية مجال الاقتصاد والاجتماع فانتشر الربا وانتشر أكل أموال النَّاس بالباطل وفسدت أذواق النَّاس وصاروا يعشقون اللذة حتَّى في السم فشُربت الخمور ، وعم الفجور ، وشاعت المخدرات ، وفشت المنكرات ، وسارت البشرية بخطى واسعة في طريق القلق والانتحار والجنون !

٣ ـ العلم :

استخدمت العلمانية العلم عن قصد في إفساد العقيدة وإفساد الأخلاق ، فكم من البحوث العلمية الكاذبة التي يخرجها أصحابها بينَ الحين والحين وهم يعلمون أنهم كاذبون ؛ ليشككوا النَّاس في الخالق الأعظم جل في علاه . من ذلكَ : إدعاء بعضهم أنه خلق الخلية الحية في المعمل ! وأسفرت الحقائق عن عدم صحة هذا الأمر وأن صاحبه كاذب دجال .

واستخدمت ثمار العلم في إفساد الأخلاق ، فمثلاً حبوب منع الحمل رغم أضرارها الخطيرة جعلت مباحة لكل من أرادها وفي أي وقت وبسعر رمزي رخيص ، ولا شك أن ذلكَ شجع على تفشي الزنا في الكثير من المجتمعات ، هذا فضلاً عن الجهود العلمية المبذولة بقصد اختراع المدمرات البشعة التي تستعجل فناء البشرية بغير موجب حقيقي أو مبرر مقبول ، فقد كانَ انتصار بعض البشر على بعض ممكنًا بغير كل تلك البشاعة في

أدوات التدمير . وما نشأ هذا الشر إلاّ من علمانية العلم .

وهناك غير ذلكَ من مجالات الحياة التي تطرقت إليها العلمانية فأفسدتها لا نطيل بسردها وشرحها ، ولكننا نشير إلى أن محصلة التدخل العلماني في شئون الحياة أدى في النّهاية إلى سقوط الأخلاق وسقط الإنسان بسقوط الأخلاق .

رابعًا : آثارها على العالم الإسلامي :

كانَ لتسرب العلمانية إلى المجتمعات الإسلامية آثار سيئة أهمها ما يلي :

١ ـ إبعاد الشريعة الإسلامية عن كافة مجالات الحياة ، ورفض الحكم بما أنزل اللّه ، والاستعاضة عن الوحي بالقوانين الوضعية المستوردة من بلاد الكفر والكافرين .

٢ ـ تصوير الفتوح الإسلامية على أنها وحشية وهمجية ، الأمر الذي أدى تحريف التاريخ والتزوير فيه .

٣ ـ العمل على إفساد التعلم ، وإخضاعه للفكر العلماني بشتى الطرق والوسائل من تعديل للمناهج التعليمية ، وتقليص للمواد الدينية ، وتحريف للنصوص الشرعية المدروسة والتقليل من أهمية دراسة المواد الدينية .

٤ ـ التسوية بينَ المتدينين والملحدين أو العلمانيين إن لم يكن التفضيل للعلمانيين وهو الغالب الأعم ، وقد تم ذلكَ تحت ستار ما يُسمّى بالوحدة الوطنية .

٥ ـ هدم الأخلاق ونشر الفوضى الاجتماعية عن طريق سن القوانين ، وتسخير وسائل الإعلام المغرضة .

٦ ـ إعلان الحرب على الدعوة الإسلامية ، واضطهاد الدعاة إلى اللّه في كل مجال ، وإلصاق التهم الباطلة بهم ، وتصويرهم أمام النّاس على أنهم قوم متخلفون ورجعيون .

٧ ـ التخلص من المعارضين للعلمانية بطرق مختلفة ، منها النفي ، أو السجن ، أو الاغتيال ، والقتل .

٨ ـ استنكار فريضة الجهاد في سبيل اللّه ، والهجوم عليها ، ووصف المجاهدين بالهمجية والتطرف .

٩ ـ إزالة رابطة الدين والأخوة الإيمانية ، واستبدالها برابطة القومية أو الوطنية .
ونادرًا ما تجد بلدًا مسلمًا خاليًا من مثل هذه الآثار الخبيثة والثمار السامة للعلمانية إلاَّ من عصمة اللّه .

خامسًا : موقف الإسلام والمسلمين منها :

لا يمكن التعايش السلمي بينَ العلمانية والإسلام ؛ لأن الدين الحق لا يمكن أن يكون عقيدة مفصولة عن الشريعة فالعقيدة أصل يدفع إلى الشريعة ، والالتزام بالشريعة هو مقتضى العقيدة ذاتها ، مقتضى شهادة أن لا إله إلاَّ اللّه وأن محمدًا رسول اللّه ، بحيث لا تكون الشهادة صحيحة وقائمة إن لم تؤد عند صاحبها هذا المعنى وهو الالتزام بما جاء من عند اللّه :

والتحاكم إلى شريعة اللّه ورفض التحاكم إلى أي شريعة سوى شريعة اللّه ، قال تعالى : ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا** ﴾ (١) .

وقال الإمام ابن تيمية : (فلما نفى الإيمان حتّى توجد هذه الغاية دل ذلكَ على أن هذه الغاية فرض على النّاس فمن تركها كانَ من أهل الوعيد) (٢) .

والمعاصي يمكن أن تقع من البشر فكل بني آدم خطاء ، ولكنها لا تخرج فاعلها من الإيمان إلاَّ إن استحلها واعتبرها شرعًا أفضل من شرع اللّه فإنه يكفر بذلك حتّى ولو كانَ مشرعًا للمعصية فقط و لم يباشرها بنفسه ، ومن هنا كانت العلمانية كفرًا مضادًا للإيمان

---

(١) سورة النساء : الآية ٦٥ .

(٢) « كتاب الإيمان » لابن تيمية ص ٣٣ ، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

يستحيل اجتماعها في قلب واحد .

ولا يغرنّك أن ترى من بينَ العلمانيين من يدعي انتسابه إلى الإسلام ويردد النطق بالشهادتين دون العمل بمقتضى شهادة الإسلام ويرفض الاحتكام إلى شرع اللّه ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِذَا دُعُواْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۞ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُواْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۞ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُواْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُواْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [١] .

واجب المسلمين :

في ظل العلمانية وآثارها السيئة يجب على المسلمين الآن أن يبذلوا جهدهم وكل عزيز لديهم لتغيير هذا الواقع المؤلم الذي يكاد أن يؤدي إلى ردة شاملة عن الإسلام ، ولا بد يتسلحوا في جهادهم هذا بالعلم والعمل ، واقتحام القضايا الهامة في حياة المسلمين ، ومعالجتها على أساس من الدين الصحيح ، والإخلاص في السر والعلانية .

ولا شك أن الدعوة إلى الإيمان الصحيح واجب أصيل مما أوجبه الإسلام . والقيام بواجب هذه الدعوة في همة ونشاط فريضة مستمرة إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها .

لقد أمر اللّه رسولنا محمدًا ﷺ بتبليغ كلامه تعالى إلى المكلفين مهما كلفه ذلكَ من جهد ومشقة . قال تعالى : ﴿ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [٢] .ونحن أيضًا مأمورون بذلك .

(١) سورة النور : الآيات ٤٧ ـ ٥١ .

(٢) سورة الفرقان : الآية ٥٢ .

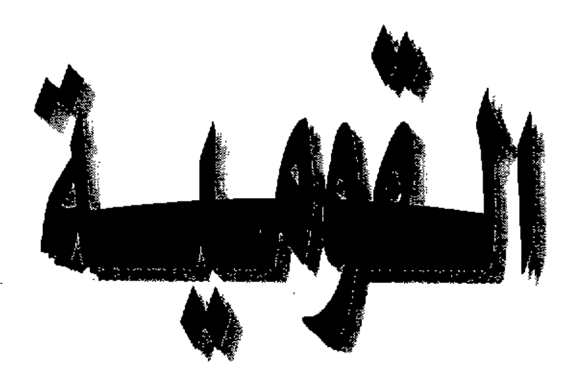
القومية

القومية

معناها :

تطلق هذه الكلمة « **القومية** » ويراد بها أن أبناء الأصل الواحد واللغة الواحدة ينبغي أن يكون ولاؤهم واحدًا ، وإن تعددت أرضهم وتفرقت أوطانهم ، كما يراد بها أيضًا : السعي للوصول إلى توحيد الوطن بحيث تجتمع القومية الواحدة في وطن شامل ، فيكون الولاء للقومية مصحوبًا بالولاء للأرض ، ولكن يظل الولاء للقومية هو الأصل حتّى وإن لم تتحق وحدة الأرض .

تاريخها :

إن القول بالحقوق الوطنية والمطالب القومية وما إلى ذلكَ إنما هي ألفاظ مستحدثة في معاجم المؤلفين لم تكن معروفة بمدلولها الحالي قبل « الثورة الفرنسية » .

ولكن الذي لا شك فيه أن مفهوم القومية في هذا العصر يقوم على (العصبية) التي لم تخل من بعض أنواعها عصور الجاهلية عبر تاريخ الإنسانية الطويل ، فعصبية القبيلة ، وعصبية الجنس ، وعصبية اللغة ، وعصبية الدين ، كلها تدل على أن القومية نزعة جاهلية قديمة لم تبتكرها جاهلية القرن العشرين .

كانَ مولد القوميات في أوربا حركات إصلاحية مبتورة غير ناضجة استغلها أصحاب الأطماع والأهواء وحولوها إلى شؤم وشرور .

جاء عصر القوميات المشئوم في أوربا ، وكانت مرحلة طبيعية في حياتها ومجتمعها ، فلما انهارت الكنيسة اللاتينية بأخطائها ، وجناياتها ، وسفاهتها ، وبتأثير الحركة الاحتجاجية التي قام بها « **لوثر** » وبالنهضة العلمية والعقلية التي انبثقت في القرون المظلمة ، أصبحت الأمم الأوربية قطعانا من البشر لا تربط بينها جامعة دينية أو مركز روحي ، فقد فقدت النصرانية المتعثرة سلطانها على النفوس والرؤوس ، فلجأت أوربا بطبيعة الحال

إلى قوميات مختلفة تربط بينَ أفرادها المشتتين الضائعين ، وكانت بضاعة المفلس ، ومأوى الطريد ، وألهبت بها الشعور السياسي ، والشعور بالواجب ، وقوة الدفاع عن البلاد ، والحمية التي تعتمد عليها ، وتلتجيء إليها في الأزمات ، وإنها - ولا شك - حصن الأمة التي نضب فيها معين العقيدة والروح ، وأفلست في مقومات الحياة ، وانهارت في الأخلاق .

واستعانت أوربا - الحائرة المضطربة - بهذا السلاح حينًا من الدهر ، فاستعمرت بقوتها أقطارًا شرقية سلطت أبناء جنسها على رقاب المحكومين ، وكانت هذه القومية مصدر قوتها وسر توحدها وانتظامها في سلك واحد .

وبدأت هذه النزعة تعمل عملها في الداخل وتبيض وتفرخ ، وانقسمت أوربا نفسها من معسكرات قومية مختلفة .

فانكلترا قومية ومعسكر ، وألمانيا قومية ومعسكر ، وفرنسا قومية ومعسكر ، والمجر قومية ومعسكر ، والنمسا قومية ومعسكر ، وهكذا [١] .

إن فكرة « القومية » تقوم على أمور لا خيار للإنسان فيها ، من المولد في أرض معينة ، والكلام بلغة الأرض والمجتمع الذي ولد فيه ، وعلى المصالح المادية البحتة ... إلخ .

وفي الوقت نفسه تنبذ ما للإنسان فيه اختيار كالإيمان باللّه وما جاء على لسان رسله .

والقومية تضيق على الإنسان عالمه حين تصرفه عن النظرة العالمية الإنسانية إلى نظرة عرقية وجزئية جغرافية ، ومصالح قومه المادية . الأمر الذي يدفعها - حال قوتها - إلى الاعتداء على غيرها من القوميات ؛ لتوسيع رقعتها وفرض سلطانها .

---

(١) « العرب والإسلام » للأستاذ أبي الحسن الندوي ص ٩٢ ، ٩٣ ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط ٣ ، سنة ١٤٠١ هـ .

فقد جاء اليوم الذي لا مفر منه ، اليوم الـذي تحاربت فيه هـذه المعسكرات على نفس أساس القوميـات ، فكـانت حـروب قبـل الحـرب العالميـة الأولى ، و لم تكـن حـرب مبادىء وعقائد ، إنها كانت حرب قوميات دفعت إليها وحملـت عليهـا النعـرة القوميـة ، والطمـوح القومـي ، وتلـك طبيعتـه الفلسـفة القوميـة إذ اتضحـت واختمـرت ، ولا تـلام الشجرة على ثمارها الطبيعية وجاءت الحرب الأولى بويلاتها .

ولما خرجـت أوربـا مـن هـذه الحـرب الأولى مثخنـة بـالجراح ، منهوكـة القـوى مرهقة بالديون والتبعات ، بدأ العقلاء في أوربـا يفكـرون ويتحدثـون علـى أسـاس أوسـع مـن القوميـات والوطنيـات ، وبـدأ الحديـث منـذ ذلـكَ الحـين عـن الإنسـانية والآفاقيـة ، ولكنـه حديـث خـافت محدود كأنـه مصبـاح راهـب ضعيـف يـتراءى مـن بعيـد في صحراء مظلمة .

وجاءت الحرب الثانية المدمرة ، و لم تكن إلاَّ على أساس ما أثارتـه القوميـة المتطرفـة مـن الطمـوح المسـرف ، والمجـد الكـاذب ، والمغالطـات الخداعـة ، والدعايـات الكاذبـة ، واستفزاز الشعور القومي .

نعم لقد شب صراع عنيف داخل أوربا بسبب ما نشأ فيها من قوميات ،كما كـانَ من أمر الحروب الإيطالية التي نشبت بـينَ فرنسـا وأسـبانيا واسـتمرت خمسًـا وستين سـنة (١٤٩٤ ـ ١٥٥٩م) ، وكانت شبه الجزيرة الإيطالية ميدانًـا لتصـارع الجيـوش الفرنسـية والأسبانية في بداية هذه الحروب ، وقـد أدى ذلـكَ إلى أفـول النهضـة الإيطاليـة وخضـوع إيطاليا لصرامة الحكم الأجنبي ، ثُمَّ اجتاحت الحرب أوربا كلها ، وكذلك كانت حـروب نابليون الشهيرة ، ومثل هـذا فعلته الثـورة الصناعيـة في أوربـا الـتي نتـج عنهـا الاسـتعمار الاقتصادي ، وناهيك عن الآثار المدمرة للحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م) ، فقد قتل فيها أربعون مليون من الشباب !

وكان من وراء ذلكَ كله تلك النعرة القومية وتغلغلها في النفوس .

آثارها على العالم الإسلامي :

ورغم هذه الآثار السيئة الناتجة عن نعرة القومية والوطنية في أوربا فقد قامت أوربا بتصدير دعاوي القومية والوطنية إلى الشرق الإسلامي ؛ لتحارب المسلمين من داخل نفوسهم ، وتزعزع العقيدة في قلوبهم .

(يقول التاريخ إن أول من نادى بالقومية العربية هم نصارى لبنان وسوريا ، وانضم إليهم « المسلمون » الذين تربوا في مدارس التبشير ، ثُمَّ انضم إليهم المستغفلون من المسلمين الذين لم يجدوا تعارضًا بينَ الإسلام والعروبة على أساس أن العروبة هي عصب الإسلام ، وأن العرب هم الذين حملوا الإسلام إلى البشرية .

والنصارى في لبنان وسوريا كانوا جزءًا من أدوات أوربا لإزعاج الرجل المريض (يقصد الدولة العثمانية) وإرباكه ، بغية تسهيل القضاء عليه وتوزيع تركته بينَ المتربصين الذين ينتظرون الساعة (العظمى) التي يقضون فيها على بقايا الإسلام .

وما كانَ نصارى لبنان وسوريا في تلك الفترة يجرؤون أن يخرجوا على الحكم الإسلامي علانية وبالاسم الصريح للخروج فقد كانوا أقلية محوطة بأكثرية مسلمة ، تدين بالولاء القلبي والسياسي لدولة الخلافة ، ولا تتصور لنفسها حكومة غير الحكومة الإسلامية ، فلم يكن في وسع أولئك النصارى أن يقولوا : لا نريد حكم الإسلام علينا ولا نريد حكم الخلافة الإسلامية !

ولذلك كانَ نشاطهم سريًا من جهة ، وباسم غير اسم الخروج على الحكم الإسلامي من جهة أخرى ، كانَ نشاطهم يقوم باسم « العروبة والقومية العربية » ، وهو شعار يمكن أن يلتبس فيه الأمر على المسلمين العرب ، ولا يُروا ـ لغفلتهم ـ أنه موجه ضد الإسلام [١] .

---

(١) « مذاهب فكرية معاصرة » أ . محمد قطب ص ٥٨١ ، ٥٨٢ (مرجع سابق)

وابتليت الأمة العربية ببعض المنتمين إليها من دعاة القومية العربية فقد عرفت :

« **ميشيل عفلق** » زعيمًا لحزب البعث العربي الاشتراكي .

و« **أنطون سعادة** » زعيمًا للقوميين السوريين .

و« **جورج حبش** » زعيمًا للقوميين العرب .

و« **قسطنطين زريق** » أحد الزعماء الآخرين .

وهكذا لم تعرف القومية العربية زعيمًا ممن يحمل أسماء المسلمين إلاَّ واحدًا لا يزال عمله في ذمة التاريخ (١) .

وإلى جانب « القومية العربية » فقد أثار أعداء الإسلام قوميات أخرى في العالم الإسلامي مثل : « القومية الطورانية » في تركيا التي اقترن ظهورها بتمزيق تركيا وإبعادها عن الإسلام ، كما ظهرت « القومية الكردية » في العراق ، و« البنغالية » في باكستان ، حتَّى الجامعة العربية صنعها الإنجليز ؛ لتكون بديلاً عن الجامعة الإسلامية .

وهكذا فإن تيار الفكرة القومية كانت مهمته إقصاء الإسلام وتفريغ القضية السياسية والاجتماعية بوجه عام من المحتوي الإسلامي ، وإحلال فلسفة أخرى وعقدة أخرى محل عقيدته ، واستبدال رابطة أخرى برابطته لعزل الشعوب الإسلامية بعضها عن بعض عزلاً نهائيًا بحيث تكون صلة بعضها ببعض كصلتها بأي شعب من الشعوب الأخرى التي تدين بالوثنية أو الماركسية أو غيرها ، والتي لم تكن تربطها بها أي رابطة ، وبذلك تنقطع الصلات بينَ الشعوب الإسلامية ، وتضعف روابط الثقافة المشتركة ، ولغة القرآن ، والقيم الخلقية ، ويقضي على الأخوة الإسلامية .

وقد شجعت الدول الأوربية الكبرى على ظهور القومية العربية في صورتها

---

(١) انظر : « أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي » د . علي جريشة ، محمد شريف الزيبق ص ٧٦ ، دار الاعتصام بالقاهرة .

العلمانية ؛ لتحقيق مطامعها في احتلال الشرق الإسلامي [١] .

والحقيقة المرة : أن العالم الإسلامي بعدما غزته أوربا سياسيًا وثقافيًا واقتصاديًا صار خاضعًا للعصبيات الدموية والجنسية والوطنية وتقبل ذلك كقضية علمية مقررة وواقع لا مناص منه ، واندفعت شعوبه اندفاعًا غريبًا إلى إحياء هذه العصبيات التي وأدها الإسلام وأنقذ المسلمين من أهوالها وحثهم القرآن على شكر هذه النعمة وتقدير المنعم بها ، قال تعالى : ﴿ **وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا** .. ﴾ [٢] .

ونحن لا ننكر أن العرب مادة الإسلام ، وأن القرآن نزل بلسانهم ، وأن اللَّه بعث في الأميين رسولاً منهم ، وأنه خاتم النبيين ورحمة اللَّه للعالمين .

ومن هنا كانَ بغض جنس العرب ومعاداتهم كفرًا أو سببًا للكفر ، وهذا يعني أن العرب أفضل الأمم وأن محبتهم من أسباب قوة الإيمان وقد ذهب إلى ذلكَ الإمام ابن تيمية مستدلاً بقوله ﷺ : « **حب أبي بكر وعمر من الإيمان وبغضهما من الكفر ، وحب العرب من الإيمان وبغضهم من الكفر** » [٣] .

ولكن ذلكَ لا يعني أن تكون (العروبة) أو القومية العربية هي الرابطة أو المحور الأساسي الذي يتجمع حوله ، ويوالى عليه ، ويعادى عليه ، وإنما ذلكَ حق الإسلام الذي أعز اللَّه به العرب ، وأعلى شأنهم ، ورفع ذكرهم ، وأخرجهم به من الظلمات إلى النور .

لقد عقد اللَّه بينَ العرب والإسلام إلى الأبد ، وربط مصير أحدهما بالآخر ، فلا عز للعرب إلاَّ بالإسلام ، ولا يظهر الإسلام في صورته الكاملة الصحيحة إلاَّ إذا قاد العرب

---

(١) « أساليب الغزو الفكري » ص ٧٧ ، ٧٨ (مرجع سابق) .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٠٣ .

(٣) « اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم » لابن تيمية ص ١٥٦ .

ركبه وحملوا رايته .

إننا نعتقد مع الأستاذ أبي الحسن الندوي أن طبيعة العرب اختمرت مع الدين الإسلامي ، وامتزجت به امتزاجًا لا يسهل فصلهم وتجريدهم عنه . وبالرغم من أنه خضع لفكرة القومية عدد كبير من الشباب المثقفين واحتضنوها وحملوا رايتها ، فإن الجمهور من العرب لايزالون شديدي الحب للإسلام ، لايعرفون ما عداه ، ولا يهتزون لسواه وهو الذي حملهم على أعظم التضحيات في الريف والجزائر وفي معركة السويس وأشعل فيهم الحماس ، وأكسبهم النصر في قضاياهم .

وإن الطبيعة العربية الإسلامية ستثور وتتمرد ، وتنفض الغبار الذي تراكم عليها والتراب الذي التصق بها ، وتنفي الطاري الجديد الذي تطفل عليها ، وإن الجذوة الإيمانية لا تزال كامنة تحت الرماد ، متهيأة للالتهاب والاتقاد بأدنى إثارة وأقل تحريك (١) .

إن الصحة هي الأصل ، والمرض عرض طاري ، والجسم القوي السليم يحمي نفسه من المرض ، فإن أصابه المرض يومًا من الأيام فإن مناعته التي أودعها اللّٰه فيه تتغلب على المرض وتقضي عليه ما دام في العمر بقية ، فلا مكان لفكر فاسد في نفوس مؤمنة ، تعشق الفداء والتضحية لإعلاء كلمة اللّٰه .

موقف الإسلام من الدعوة القومية :

الإسلام يحارب القومية باعتبارها عصبية جاهلية ، أنكرها الإسلام وحذر منها ، وسد منافذها ، فلا بقاء للدين العالمي والأمة الواحدة مع هذه العصبية الممقوتة .

ومصادر الشريعة الإسلامية زاخرة برفض هذه العصبية الجاهلية وتشنيعها ، بل ترفضها الأديان السماوية الصحيحة كلها ، النصوص الواردة في ذلكَ أكثر من أن تستقصى .

---

(١) « العرب والإسلام » لأبي الحسن الندوي ص ١٥ (مرجع سابق) .

لقد جاء الإسلام ليوحد العالم ويجمع النّاس على عقيدة واحدة ، وتحت راية واحدة ويقيم مجتمعًا فاضلاً على الإيمان باللّه والأخوة في اللّه ، مجتمعًا ينعم بالأمن والسلام ، وتشيع فيه روح المحبة والوئام ، تصير فيه الأسرة الإنسانية كلها جسدًا واحدًا إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

لهذا كانَ من غير المعقول ولا من الممكن أن توجد في الأمة الإسلامية قوميات على أساس الألوان والأجناس واللغات والأوطان ، كما لا يمكن أن توجد داخل دولة دول كثيرة مختلفة .

ومن كانَ مسلمًا وأراد أن يبقى على إسلامه فلا بد له أن يبطل في نفسه الشعور بأي أساس غير أساس الإسلام ، ويقطع العلاقات والروابط القائمة على أساس اللون والتراب .

وأخوف ما كانَ يخافه الرسول ﷺ على المسلمين أن تظهر فيهم العصبيات الجاهلية فتفرق كلمتهم فكان يقول لأصحابه دائمًا : « **لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض** » .

ولا يمكن بقاء الرابطة الإسلامية مع الشعور بالقومية العنصرية ، ومن المغالطة الزعم بأن إحداهما تساير الأخرى ولا تضرها ، فعندما بدأ المسلمون في هذا الزمان يتغنون بالعنصرية والوطنية في كل قطر من أقطارهم متأثرين بالأوربيين صار العربيّ يتغنى بعروبته ، والمصريّ ينتسب إلى الفراعنة ، والتركيّ يتيه إعجابًا بتركيته ويحاول أن يصل نسبه « بهولاكوا » ، و« جنكيز » ، والفارسيّ يقول لشدة انفعاله بنعرته القومية : إنه لم يكن من تأثير (الإمبراطورية العربية) إلاَّ أن صار « علي » و« الحسن والحسين » ﷺ ، أبطاله ، وإلاَّ لكان « رستم » ، و« استفندار » ، و« أنوشروان » أحق أن يكونوا أبطاله القوميين في حقيقة الأمر .

وقد بدأ ينشأ في الهند مسلمون يفخرون بالانتساب إلى القومية الهندية ، بل فيهم

من يريدون أن ينقطعوا عن ماء زمزم ويتصلوا بماء نهر جنجا ، وفيهم من تبعثهم أهواؤهم على إتخاذ « بهيم » ، و« أرجن » ، و« رام ها » أبطال الهندوس القدماء أبطالهم القوميين ، وليس هذا كله من هؤلاء السفهاء الراكبين رؤوسهم إلاَّ لأنهم ما عرفوا ما يملكون من الحضارة وما يملكه الغرب ، وما تبينوا ما بينهما من الفرق الجذري ؛ لأن عيونهم كليلة عن المباديء والحقائق ، فلا ينظرون إلاَّ إلى السطح ، ويبهر عقولهم ما يجدونه بارزًا عليه من الفقاقيع والألوان الظاهرة ولا يعلمون أن الشيء الذي هو ماء الحياة للقومية هو نفسه السم الزعاف للرابطة الإسلامية (١) .

إن الإسلام لا يمنع النَّاس من الانتماء لوطنهم وحبهم له فهذا أمر فطر عليه الحيوان فضلاً عن الإنسان ، فالحيوان يحب جحره ويدافع عنه ، والطير يألف عشه ويحافظ عليه ، فكيف بالإنسان ؟!

ولكن الإسلام ينكر أن تكون رابطة الدم أو اللغة أو الأرض أو المصالح المشتركة أقوى من رابطة الإسلام أو أعلى من رابطة الدين والعقيدة الصحيحة ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ (٢) .

إن وحدة المكان ، ووحدة الجنس ، ووحدة اللغة ، ووحدة التاريخ ، ووحدة المصالح المشتركة التي يراها دعاة القومية من مقوماتها وعناصر أساسية لها تنفي الوقائع التاريخية فاعلية هذه الروابط لتكوين أمة من الأمم .

يقول « رامزي موير » أستاذ التاريخ الحديث في جامعة منشستر في كتابه عن « الوطنية والأممية » : إن الإقامة في بقعة جغرافية ذات معالم مقصورة عليها هي في الغالب

---

(١) أبو الأعلى المودودي :« بينَ الرابطة الإسلامية والفكرة القومية » ص ٦٨ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٢٤ .

معدودة بينَ تلك الروابط ، على أن الوحدة الجغرافية ليست على كل حال بالشرط الجوهري للقومية ، ومن السهل أن ترى أمة مبعثرة الموطن في بقاع تختلف أشد الاختلاف كالأمة الإغريقية وهي مع هذا على شعور قوى بالوطنية ، في حين أن الوحدة الجغرافية الحقيقية على السهل المجري الذي تحدق به مناطق الجبال ويتخلله نظام نهري واحد لم تفلح في إنشاء وحدة قومية ...

ندع هذا ونلتفت إلى الوحدة الجنسية ، فطالما حسبوها لازمة ، بل حسبوها أنها هي العنصر اللازم للقومية ، ومع هذا لا ترى أمة على الأرض تخلو من مزيج الأجناس . ولم يسبق قط أن كانَ في الدنيا جنس أفلح في ضم أفراده جميعًا إلى آصرة قومية واحدة ...

وهناك عنصر ثالث للوطنية أخطر كثيرًا من عنصر الجنس وهو الوحدة اللغوية ، فمما لا جدال فيه أن وحدة اللغة رابطة من أهم الروابط ولا سيما من حيثُ أن ملامح اللغة وشياتها لها سلطان كبير في ملامح الأفكار ، وشيات الميول بينَ الذين يتكلمون بها ، فإن اللغة المشتركة معناها أيضًا الآداب المشتركة ، والمطامح الفكرية المشتركة ، وميراث مشترك من الأغاني والقصص يتضمن الروح القومية وينفثها في كل جيل ، على أن وحدة اللغة لا يلزم أن تجلب الوحدة القومية ، فاللغة الأسبانية فاشية في أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية ، ولكن هذه البلاد قد فقدت منذ عهد طويل كل شعور يجنح بها إلى الدخول في طي القومية الأسبانية ، ونرى السويسريين أمة وإن لم تكن لهم لغة خاصة ، وترى البلجيك أمة وإن كانوا يتكلمون الفلمنكية والفرنسية والجرمانية ، فوحدة اللغة بهذه المثابة ليست بالضرورة لنمو القومية المحتومة ، ولا هي كافية وحدها لإتمامها على كل ما لها من القوة البنائية في إنشاء الأقوام ...

والآن في هذه الأيام ـ حيثُ لا يزال الزي الغالب على التفكير أن نرد جميع حركات النفوس الآدمية إلى أسباب اقتصادية ـ نسمع أحيانًا من يقول : إن الاشتراك في

المصالح والشواغل وما يحدثانه من تشابه النظر إلى الحياة هو على الأقل عامل فعال في إنشاء القومية إن لم يكن هو العامل الأول والأخير فيها ، ولا ننكر أن بعض الأمثلة قد يؤيد هذا الرأي في أمم صغيرة كالدنمارك وهولندا ، ولكن هذا الرأي لا يثبت على الامتحان ... والمرجح عندنا أن أقوى عوامل القومية طرًّا ـ أي العامل الضروري الذي لا مناص من وجوده إذا غاب كل عامل سواه ـ هو الاشتراك في التراث التاريخي بينَ طائفة من النّاس ، أو الاشتراك في ذكريات آلام صبروا عليها ، ومفاخر ظفروا بها ومثلوها في القصص والأناشيد وفي الأسماء الغالية . أسماء شخوص أعزاء كأنما جمعوا في أنفسهم خصال الأمة ومطامحها ... ولكن يحسن بنا أن نذكر هنا أن صلات كثيرة تدخل فيها الأمم بمحض اختيارها للتعاون على غاية جليلة ولا تقل عن تلك الصلات في التوحيد والتأليف (١) .

ولنا أن نسأل : هل توجد غاية أجل وأعظم من الإيمان باللّه وبمحمد رسول اللّه ؟

هل توجد رابطة أقوى وأوسع وأعم وأنفع من رابطة الإسلام ؟

إن رابطة الإسلام هي الرابطة العليا التي تربط المسلمين في شتى بقاع الأرض على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم وأوطانهم لا يحجز شيء من ذلكَ بينَ مسلم ومسلم ، ولا يتفاضل أحد من النّاس على أحد إلاّ بتقوى اللّه .

إن رابطة الإسلام تعلو على الأقوام والأوطان ، تربط النّاس بخالقهم ليطلبوا الهداية منه وحده ، ويحققوا عزهم بالخضوع له ، فلا سجود إلاّ للّه ، ولا حكم إلاّ للّه .

أما الدعوة إلى القومية ـ عربية أو غير عربية ـ فهي في نظر الإسلام منكر ظاهر وجاهلية منتنة ، وعداوة سافرة ، وذلك من عدة وجوه :

١ ـ فهي تفرق بينَ المسلمين ، وتباعد بينَ المسلم العجمي وأخيه العربي بل تحيل

---

(١) « ساعات بينَ الكتب » عباس محمود العقاد ص ٢٩٩ ـ ٣٠٣ بتصرف ، المكتبة العصرية ببيروت .

العرب أنفسهم شيعًا وأحزابًا وهذا مخالف لدعوة الإسلام إلى الاجتماع والوئام الذي نقرؤه في قوله تعالى : ﴿ **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ** ﴾ (١) .

٢ ـ وهي دعوة إلى غير ما يدعو إليه الإسلام ، إذ أن دعاتها يدعون إلى عصبية ، ويغضبون لعصبية ، ويقاتلون على عصبية ، فهي دعوة جاهلية تحمل أهلها والمتحمسين لها على الفخر والبغي والتعصب .

وقد قال ﷺ ـ فيما رواه الإمام مسلم ـ : « **ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من غضب لعصبية** » .

وقوله ﷺ : « **إن اللّه أوحى إلى أن تواضعوا حتّى لا يبغي أحد على أحد ، ولا يفخر أحد على أحد** » .

٣ ـ والقوميون العرب يوالون كل عربيّ أيًا كانَت ديانته ، فهم ينحون الدين جانبًا ويفصلونه عن الدولة ، ويتجمعون تحت لواء القومية العربية ، معتقدين أن قوميتهم العربية تحقق لهم من المنافع ما يعجز الإسلام عن تحقيقه ، وهذا جهل فاضح ، ومخالفة صريحة لنصوص القرآن الكريم التي تدل على وجوب بغض الكافرين ومعاداتهم وتحريم موالاتهم .

ذلكَ قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ** ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَآؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ**

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٣ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٥١ .

الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (٣) .

٤ ـ اقتران الدعوة إلى القومية في التاريخ الإسلامي الحديث بالعمالة للاستعمار المعروف بعدائه الواضح للإسلام والمسلمين . لقد فضل دعاة القومية ما عند الاستعمار الصليبي على ما عند اللّه فأنكروا أو تجاهلوا فضل الإسلام في نهضتهم ورفع شأنهم ومكانتهم والتمكين لهم في الأرض وبسط سلطانهم وتطلعوا إلى (القومية) المستوردة ، والمباديء الدخيلة ، وكأنها نعمة أكرم عندهم من نعمة الإسلام ، فكان مثلهم كمثل طائفة من بني إسرائيل مع موسى عليه السلام حين استهانت هذه الطائفة من بني إسرائيل بنعمة التوحيد وفتنت بالوثنية التي أنقذهم اللّه منها ، فاستنكر نبي اللّه موسى صنيعهم وغضب غضبًا شديدًا على جهلهم .

قال تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝ إِنَّ هَؤُلاَءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٤) .

وقد مر رسولنا محمد ﷺ بمثل هذه التجربة : فقد روى الترمذي بسنده الصحيح عن

(١) سورة الممتحنة : الآية ٤ .

(٢) سورة النساء : الآية ٦٥ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٥٠ .

(٤) سورة الأعراف : الآيات ١٣٨ ـ ١٤٠ .

أبي واقد الليثي رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ لما خرج إلى حنين مرَّ بشجرة للمشركين يُقال لها : ذات أنواط ، يعقلون عليها أسلحتهم ، قالوا : يا رسول اللّه ! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط [1] ، فقال النبي ﷺ : « **سبحان اللّه ! هذا كما قال قوم موسى ! اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة ، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كانَ قبلكم** » رواه الترمذي في باب الفتن .

وذات أنواط شجرة جاهلية خالدة تؤتي أكلها الجاهلية في كل حين ، فها هو التاريخ يعيد نفسه ونرى بعض العرب المسلمين يحنون إلى أصنام الجاهلية ، والفلسفات والأفكار الغربية .

وحين سأل عمر بن الخطاب رسول اللّه ﷺ عن كتابة أحاديث اليهود قال لعمر : « **لقد جئتكم بها بيضاء نقية ... ولو كانَ موسى حيًا ما وسعه إلاَّ اتباعي** » [2] .

وإذا لم يسع موسى إلاَّ اتباع محمد ﷺ إذا أدرك عصره فكيف بأمة موسى وعيسى ؟ وكيف بالمسلمين أنفسهم ؟

ثُمَّ كيف بالعرب الذين اختار اللّه محمدًا ﷺ منهم وبعثه فيهم بلسانهم وأنزل القرآن بلغتهم ؟

إنهم أحق النَّاس بالتمسك بالإسلام ونشره والدفاع عنه فهل يستمعون ؟!

---

(١) **ذات أنواط** : اسم شجرة بعينها كانت للمشركين ينوطون : أي يعلقون بها سلاحهم ، ويعكفون حولها .

(٢) الحديث بتمامه رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان وهو حديث حسن .

العالم الإسلامي
وجهود المصلحين

العالم الإسلامي وجهود المصلحين

لقد وقع العالم الإسلامي في العصر الحديث تحت مؤثرات سيئة تركت بصماتها على كل جانب من جوانبه .

لقد حطمته الحوادث ، وأنهكته الكوارث ، فلا تجد ـ في أكثره ـ إلاَّ نظامًا فاسدًا ، وحاكمًا مستبدًا ، وقوانين جائرة ، وعزائم خائرة .

لقد فقد الدين روحه وصار مظهرًا بلا معنى ، وكثرت البدع والخرافات ، وانتشرت الأوهام والدجل والشعبذات .

والغريب أن هذا الانحطاط الذي أصاب دولة الإسلام تزامن مع يقظة الغرب لإنشاء حضارة جديدة تقوم على العلم التجريبي وإبعاد الدين عن ميادين الحياة ، فكانت الأسلحة المدمرة ، والآلات العجيبة من ثمار هذه الحضارة ومعطياتها ، الأمر الذي أشعر الغرب بقوته وسطوته ، فهجم على بلاد الإسلام التي أصيبت بالهزال الإيماني والحضاري فتساقطت بلاد الإسلام في يد المستعمرين الواحدة بعد الأخرى ، وفرض المستعمر الغاضب سيطرته ، وغلب مصلحته ، ونهب خيرات البلاد ، وسخر لخدمته العباد ، وبالجملة فقد صارت البلاد الإسلامية بقرة حلوبًا للمستعمرين يأخذون لبنها ، ويظلمونها في علفها !

ونتيجة لهذا فقد أخذ وعي المسلمين يستيقظ ، وطموحهم يتوثب ، وتقدم الصفوف زعماء للإصلاح يشعرون بآلام الشعوب الإسلامية ، ويدركون الأخطار المحدقة ببلاد الإسلام ، فبذلوا جهدهم ، وأعملوا فكرهم لتشخيص الداء ووصف الدواء .

وطبيعي أن ينظر كل واحد منهم إلى المرض من وجهة نظره ، ويدعو إلى العلاج حسب خطته ، فتعدد المصلحون ، وتعددت مناهجهم واهتماماتهم ، ولكنهم جميعًا تحلوا

بالكثير من الصبر والإيمان ، وأحبوا مبدأهم في الإصلاح أكثر من حبهم للحياة . فهان عليهم أي عناء ، وتحملوا كل مشقة وبلاء في سبيل تحقيق دعوتهم ، فكان لدعوتهم أثرها الطيب في حياتهم وبعد مماتهم .

ولا يمكننا في هذه العُجالة أن نعرض لجميع المصلحين في العالم الإسلامي قديمًا وحديثًا فذلك يحتاج إلى مجلدات ، وإنما نختار نموذجًا من هؤلاء المصلحين لنقف على جهوده ومبادئه آملين أن يكون من المسلمين من يقتدي به ويواصل السير على دربه .

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

(١١١٥ - ١٢٠٦ هـ)

نشأته :

ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي سنة (١١١٥ هـ) في بلدة من بلاد نجد بالجزيرة العربية تسمى « العيينة » ، فشب ونشأ فيها ، وتلقى دروسه الأولى على علماء الدين من الحنابلة ومنهم والده الذي كانَ قاضيًا للعيينة ، فحفظ القرآن قبل بلوغه سن العاشرة ، وكان سريع الحفظ ، وقاد الذهن فطنًا وفصيحًا ، سافر إلى المدينة المنورة ، طلبًا للعلم ، ثُمَّ رحل - لنفس الغرض - إلى بلاد إسلامية كثيرة : فأقام في البصرة أربع سنوات ، وخمس سنين في بغداد ، وسنة في كردستان ، وسنتين في همذان ، ثُمَّ رحل إلى أصفهان ودرس فيها فلسفة الإشراق والتصوف ، ثُمَّ رحل إلى مدينة (قم) في إيران ، بعدها عاد إلى بلده فاعتزل النّاس ثمانية أشهر ثُمَّ خرج عليهم بدعوته .

حالة العالم الإسلامي في عصره :

نظر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى العالم الإسلامي بعين العلماء الدعاة المخلصين فرآه قد خيمت عليه سحب الشرك والضلال التي ملأت الآفاق حتّى كادت أن تحجب التوحيد الخالص .

ففي مطلع القرن الثاني عشر للهجرة كانَ أكثر المسلمين قد انغمسوا في الشرك ، وارتدوا إلى الجاهلية الأولى ، وانطفأ في نفوسهم نور الهدى ، لغلبة الجهل عليهم ، واستعلاء أصحاب الأهواء منهم ، فنبذوا كتاب اللّه وراء ظهورهم ، واتبعوا الضلال الذي عليه آباؤهم ، ظنًا منهم أن الآباء أدرى بالحق وأعلم بالصواب .

لقد عدل كثير من المسلمين عن التوحيد الخالص إلى الشرك باللّه الذي تنوعت صورة ، وتعددت جوانبه ، فاتجه البعض إلى الأولياء والصالحين الأحياء منهم والأموات

يحجون إلى قبورهم ، ويقدمون النذور إليهم ، ويعتقدون أنهم قادرون على النفع والضر ، فاستغاثوا بهم في الحوادث والكوارث ، واستعانوا بهم على قضاء الحاجات وتفريج الشدائد ، لقد كثرت الأضرحة حتّى أقيمت في جميع البلاد الإسلامية ، يشد النّاس إليها رحالهم ، ويتمسحون بها ، ويطلبون منها جلب الخير إليهم ودفع الشر عنهم ، ويعتبرون ذلكَ قربى إلى اللّه ﷻ .

زين لهم الشيطان أعمالهم ، فظلوا يعكفون على أوثانهم ، فصدق فيهم قول خالقهم : ﴿ **نَسُواْ اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ** ﴾ [١] .

لقد شرع لهم شياطينهم من الدين ما لم يأذن به اللّه فأحدثوا من الكفر والفجور ، والشرك بعبادة أهل القبور ما أبعدهم عن التوحيد وأرادهم في ظلمات الجهل والضلال ، ولم يقف ضلال أهل البدع من المسلمين عند هذا الحد ، بل أشركوا مع اللّه حتّى النبات والجماد .

فهؤلاء أهل بلدة « منفوحة » باليمامة يعتقدون في نخلة هناك أن لها قدرة عجيبة ، من قصدها من العوانس تزوجت لعامها ، وهذا الغار في « الدرعية » يحج إليه النّاس للتبرك ، وفي كل بلدة من البلاد الإسلامية مثل هذا ، ففي مصر شجرة الحنفيّ ، ونعل الكلشي ، وبوابة المتولي [٢] ، وفي كل قطر حجر وشجر فكيف يخلص التوحيد مع كل هذه العقائد ؟

إنها تصد النّاس عن اللّه الواحد ، وتشرك معه غيره ، وتسيء إلى النفوس وتجعلها ذليلة وضيعة مخرفة ، وتجردها من فكرة التوحيد [٣] .

---

(١) سورة الحشر : الآية ١٩ .

(٢) **شجرة الحنفي** : شجرة كانت في الحنفي يتبرك بها ، ونعل الكلشي : نعل قديمة في تكية الكلشي يزعمون أن الماء إذا شرب منها ينفع للتداوي من العشق ! وبوابة المتولي مملوءة بالمسامير تعلق بها الشعور والخيوط ليذكر بالخير من علقها ، وهكذا .

(٣) « زعماء الإصلاح في العصر الحديث » أحمد أمين ، ص ١١ ، ١٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

كل هذا وغيره كثير قد انتشر في بلاد المسلمين وسببه الجهل والبعد عن الدين ، وما زينة لهم إبليس اللعين وأعوانه من الشياطين فوقعوا فيما وقعوا فيه : من هجر لحبل اللّه المتين ، وبعد عن الصراط المستقيم .

ويصف كاتب أمريكي هذه الحالة للعالم الإسلامي فيقول :

في القرن الثامن عشر كانَ العالم الإسلامي قد بلغ من الضعف أعظم درجة ، ومن التدني والانحطاط أعمق دركة ، فاربد جوّه ، وأطبقت الظلمة على كل صقع من أصقاعه ، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب ، وتلاشى ما كانَ باقيًا من التهذيب العربي ، وماتت الفضيلة في النَّاس ، وساد الجهل وانطفأت قبسات العلم الضئيلة ، ليس يرى في العالم الإسلامي في ذلكَ العهد سوى المستبدين الفاشيين كسلطان تركيا ، وأواخر ملوك مغول الهند ...

لقد كثر السلب والنهب ، وفقد الأمن ، وسارت السماء تمطر ظلمًا وجورًا ، وجاء فوق ذلكَ رجال الدين المستبدين ، ويزيدون الرعايا إرهاقًا ، فغلبت الأيدي ، وقعدت عن طلب الرزق ، وكاد العزم يتلاشى في نفوس المسلمين ، وبارت التجارة ، وأهملت الزراعة ...

أما الدين فقد غشيته غاشية سوداء ، فلبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة النّاس سجفًا من الخرافات ، وقشور الصوفية ، وخلت المساجد من أرباب الصلوات ، وكثر الأدعياء الجهلاء ، وطوائف الفقراء ، يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات ، يرغبون النّاس في الحج إلى قبور الأولياء ، ويزينون للناس التماس الشفاعة والبركة من دفناء القبور .

وغابت عن النّاس فضائل القرآن فصاروا يشربون الخمر ، ويتعاطون الأفيون في كل مكان ، وانتشرت الرذائل ، وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء ...

ونال مكة والمدينة ما نال غيرها من سائر مدن الإسلام ، فصار الحج ضربًا من المستهزءات ، وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين ، وهبطوا مهبطًا بعيد القرار ، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلكَ العصر ، ورأى ما كانَ يدهى الإسلام لغضب وألحق اللعنة على من استحقها من المسلمين ، كما يُلعن المرتدون وعبدة الأوثان (١) .

لقد انقطع تيار الإيمان الصحيح عن المجتمعات الإسلامية في شتى بلاد الإسلام فغرق أهلها في الظلام ، وإذا بصوت قوي مخلص يشق هذا الظلام ويدوي من قلب الصحراء في جزيرة العرب يحاول إيقاظ المؤمنين والأخذ بأيديهم إلى الصراط المستقيم .

فتوهجت الدعوة الوهابية لتبدد هذا الظلام ، فتصلح العقائد الفاسدة ، وتصحح النيات الباطلة ، وتحدث اليقظة الكبرى في عالم الإسلام .

وهناك جانب آخر يتصل بالتوحيد نظر فيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وشغل فكره وهو : أن الحاكمية لله وحده فهو المشرع للعقائد وهو الذي يحلل ويحرم .

وليس لأحد من البشر أن يشرع للناس في الدين ما لم يأذن به اللّه . قال تعالى : ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ...** ﴾ (٢) .

فكلام الفقهاء في الفقه ، وكلام المتكلمين في العقيدة ليس حجة علينا إذا عارض نصًا صريحًا من كتاب أو سنة .

وعلى هذا فإن أساس دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو التوحيد في العقيدة والتوحيد في التشريع .

١ ـ **التوحيد في العقيدة** : بتجريدها من كل شائبة من شوائب الشرك .

٢ ـ **التوحيد في التشريع** : فلا مصدر له إلا الكتاب والسنة ، والوحي مقدم على

---

(١) « حاضر العالم الإسلامي » للأمريكي : لوثروب ستودارد ، ترجمة : عجاج نويهض ٢٥٩/١ .

(٢) سورة الشورى : الآية ٢١ .

العقل ، فالعقل يفهم به الشرع ولا يكون حاكما على الشرع ؛ لأن العقل محكوم وليس بحاكم .

هذا هو الأساس لدعوة الشيخ الذي بنيت عليه الجزئيات ؛ ولذلك سمّي نفسه وأتباعه بالموحدين ، أمّا اسم « الوهابية » فهو اسم أطلقه عليهم خصومهم ، واستعمله الأوربيون في كتاباتهم ، ثُمَّ جرت به الألسنة .

ولا يخفى أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد تأثر كثيرًا باجتهاد وعلم العالم الكبير الإمام ابن تيمية الذي عُرف بعلمه الوافر وحجته القوية ، وقلبه الشجاع ، ونفسه المؤمنة الأبية التي استهانت بكل شيء من حطام الدنيا ومتاعها في سبيل اللّٰه ورفع كلمته والدعوة الخالصة إلى وحدانيته .

خلاصة دعوته :

رأى الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن سبب ضعف المسلمين يكمن فيما أصابهم في عقيدتهم حين تدنوا من سمو التوحيد إلى حضيض الشرك ، فتعددت آلهتهم من الحجر والشجر وقبور الأولياء ، وتمجيد الحكام والأغنياء ، فكانت دعوة الشيخ ـ رحمه اللّٰه ـ حربًا على جميع البدع والخرافات ، فلا اجتماع لقراءة مولد ، ولا احتفاء بزيارة قبر ، ولا خروج للنساء وراء جنازة ، ولا إقامة لأذكار مخترعة يتخللها الغناء والرقص ، ولا ذبح ولا نذر لأحد من الأولياء ، فالذبح للقبور والنذور لها والاستغاثة بها والسجود عندها شرك يخالف التوحيد ، وكذلك طلاء القبور بالجص و« النورة » أو « الجير » ، وتشييد الأبنية عليها ، وكسوتها بالحرير المزركش ، وما إلى ذلكَ مخالف لتعاليم الإسلام وعقيدته .

ولا تصرف العبادة والدعاء إلا إلى اللّٰه وحده ، فلا وساطة ، ولا شفاعة ، ولا توسل بالمشايخ وأضرحة الأولياء ، فالبشر لا يملك من الأمر شيئا وإنما الأمر كله لله .

وحب الإنسان لخالقه يجب أن يفوق كل حب ، ومحبة الرسول كذلك ينبغي أن تعلو فوق أي محبة ، ويعبر عن هذا الحب سلوك وطاعة واحترام ، ولا يعبر عنه بمجرد الترديد بالكلام ، ألا ما أرخص الحب إذا كانَ كلامًا ، وأغلاه إذا كانَ قدوة وذمامًا .

لقد كانت العقيدة الإسلامية في دولة الإسلام الأولى نقية صافية ، خالية من شوائب الشرك ، وكانت كلمة التوحيد (لا إله إلا اللّه) تعصم النفس من الانزلاق إلى الشرك بأنواعه كلها ، وتمنع الخوف من الموت في سبيل الحق ، فأقدمت النفوس المؤمنة الموحدة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تبالي بما يلحقها من جراء ذلكَ من مشقة واضطهاد وعذاب ، فلا قيمة للحياة إلا إذا بذلت في رفع لواء الحق ودفع الظلم .

بهذه العقيدة القوية الخالصة عز المسلمون الأوائل وفتحوا وحكموا وسادوا .

ثُمَّ تغيرت عقيدة المسلمين من القوة إلى الضعف ، من قمة التوحيد الخالص إلى حضيض الشرك والمهالك ، وكلما ازداد بعد المسلمين عن التوحيد ، ازدادت نفوسهم ذلة وهوانا من جديد ، حتَّى فقدوا العزة والسيادة ، والأمن والسعادة ، ولا يصلح آخر الأمة الإسلامية إلا بما صلح به أولها ، فلا بد من العودة إلى الحياة الإسلامية الأولى الصافية ، وذلك بهدم البدع والخرافات ، وتنقية التوحيد مما لحق به من شوائب الشرك واستعمال اللين لتحقيق هذا الخير أو القوة إن لزم الأمر .

أثر الدعوة ومصيرها :

بدأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته في جزيرة العرب التي كانت حالتها حينئذ أشبه بالجاهلية الأولى ، فلكل قبيلة أو منطقة أمير يرأسها ويدبر أمورها ، ففي الإحساء أمير . وأمير آخر في منطقة عسير . وأمراء في نجد وآخرون في الحجاز ، وهكذا في كل منطقة بجزيرة العرب ، وقد اشتعلت الخصومات والخلافات بينَ هؤلاء الأمراء ، ويساير هذه الخصومة خصومة أخرى بينَ البدو والحضر فكثرت الحروب وضاعت الدماء ، وبدا الأمن كعيون الماء في الصحراء !

في هذا الجو العصيب بدأ الشيخ ـ رحمه اللّٰه ـ دعوته في رفق ولين ، ثُمَّ اتجه إلى دعوة أمراء الحجاز والعلماء في الأقطار الأخرى وحث الجميع على الجد في مكافحة البدع والرجوع إلى الإسلام الصحيح ، وكغيره من المصلحين اضطهد الشيخ في بلده « العيينة » فاضطر إلى الخروج إلى بلدة « الدرعية » مقر « آل سعود » ، وهناك عرض دعوته على أميرها « محمد بن سعود » فقبل هذه الدعوة وتعاهدا على الدفاع عنها وصولاً إلى الدين الصحيح ومحاربة البدع والخرافات ونشر هذا الدين الصحيح في ربوع الجزيرة العربية بالسيف إن لم تفلح الدعوة باللسان ، فنجحت الدعوة وشقت طريقها شيئًا فشيئًا ، وكلما دخلوا بلدًا أزالوا ما به من البدع وأقاموا الدين الصحيح حتّى شملت الدعوة جميع بلاد جزيرة العرب واستطاعت بفضل إخلاص أتباعها الانتصار والتغلب على ما صادفها من عقبات .

ولم تكن الدعوة الوهابية قاصرة على الحجاز والجزيرة العربية بل تعدتها إلى كثير من البلدان الإسلامية ، وكان موسم الحج ميدانًا خصبًا وفرصة عظيمة لعرض الدعوة على البارزين من الحجاج وحثهم على قبولها والتحمس لها حتّى إذا ما عادوا إلى بلادهم كانوا دعاة مخلصين وأتباعًا مناصرين ، تجد ذلكَ في « زنجبار » ، وفي « الهند » ، وفي الجزائر ، وفي « المغرب » ، وفي « اليمن » وغير ذلكَ من بلاد الإسلام .

ولا شك أن لهذه الدعوة آثارها الهامة التي نركزها في هذه الجوانب :

(أ) الجانب الديني :

وهو الجانب الذي ظهرت فيه أبرز آثار الدعوة الوهابية ، فقد تحقق لها عدة أمور أهمها :

١ ـ قيام دولة إسلامية صادقة بقيادة الإمام محمد بن سعود ـ رحمه اللّٰه ـ واستمرار هذه الدولة بقيادة ذريته من بعده إلى الآن .

٢ ـ القضاء على كل ما يشير أو يوصل إلى الشرك .

٣ ـ إقامة الحدود الشرعية والاستغناء بها عن الأحكام العرفية والقبلية .

٤ ـ إقامة (نظام الحسبة) وقاية للمجتمع على أساس من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٥ ـ إحياء فريضة الجهاد في سبيل اللّه ، تلك الفريضة الغائبة في كثير من بلاد الإسلام .

(ب) الجانب الفكري :

لما كانت دعوة الشيخ ـ رحمه اللّه ـ دعوة علمية بالدرجة الأولى كانَ من الطبيعي أن تكون لها آثارها الفكرية وأهمها :

١ ـ التعمق في الدراسات الإسلامية ، خصوصًا فيما يتصل بأمور العقيدة .

٢ ـ إحياء الخطابة الإسلامية الناجحة والهادفة والمفيدة في توجيه المجتمع وإرشاده إلى الدين الصحيح .

٣ ـ نشطت حركة التأليف بينَ من يؤيد الدعوة ومن يعارضها .

٤ ـ إثراء الشعر العربي بالقصائد العديدة التي كانَ محورها دعوة الشيخ ـ رحمه اللّه ـ .

(جـ) الجانب السياسي :

استطاعت « الدولة السعودية » دولة الدعوة بتوفيق من اللّه ﷻ أن توحد الإمارات المتناصرة في « نجد » وغيرها من أنحاء الجزيرة العربية في دولة واحدة ، فقويت شوكتها ، واتسع سلطانها حتّى أصبحت « الدولة السعودية » ـ بفضل اللّه ـ دولة قوية عزيزة الجانب ، وعظيمة السلطان ، تحكم بشرع اللّه ، وتستنير بهداه . الأمر الذي جعلها نموذجًا للدولة الإسلامية القوية ، والوحدة الإسلامية الأصلية .

وما زالت الدعوة ودولتها (المملكة العربية السعودية) تسير في طريق الخير والبركة والنماء .

وهكذا ، فلم تذهب صيحة ابن عبد الوهاب عبثًا في جزيرة العرب ، ولا في أرجاء العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه ، فقد سرت تعاليمه إلى بلاد إسلامية نائية مثل الهند ، والعراق ، والسودان ، والجزائر ، وغيرها ، وأيقن المسلمون أن علة الهزائم التي تعاقبت عليهم إنما هي في ترك الدين وليست أبدًا في الدين نفسه ، وأنه باستطاعتهم استعادة ما فاتهم من القوة والمنعة والعز والسلطان باجتناب البدع والمحرمات ، والعودة إلى دين السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ .

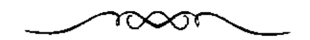

الخاتمة

لقد خلط الملاحدة والمبتدعون بينَ الحق الذي نزل من عند اللّٰه ، وبين الباطل الذي صنعوه بأيديهم وزعموا أنه دين صحيح ، أو عقيدة حقة .

والنّاس في عصرنا هذا فرق متباينة :

منهم من فشل في التعرف على رب العالمين فأنكر الألوهية ، وتصور العالم بلا رب يدير شئونه !

ومنهم من يعترف بالألوهية اعترافًا غامضًا لا يحقق للإنسان عزة أو سعادة ، ولا يرفع له رأسًا ، ويظن الأديان السماوية الكبرى متساوية في منهجها وقيمتها .

ومنهم من بقي على يهوديته أو نصرانيته لا يحيد عنها أبدًا ولا يريد أن يسمع لغيرها أو يطيع .

ومنهم الوثني الذي أغلق قلبه وبصره عن كل نداء إلى الحق ، ودعوة إلى الخير .

ومن النّاس من رضى باللّٰه ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً ، وصار ذلكَ له عقيدة ومسلكًا .

وفي المسلمين جهلة غوغاء يعيشون وفق ما ورثوه من سنن وبدع وعلم وجهل ، وهدى وهوى ، وهداية وضلال .

وفي المسلمين ـ أيضًا ـ دعاة إلى الحق الذي تواصى به السلف الصالح وطبقوه في حياتهم ، ثُمَّ استوحش بنسب تزيد وتنقص مع مسيرة التاريخ ، ثُمَّ أمسى غريبًا في هذه الأيام .

ولا شك أن الإنسان الملحد الكافر باللّٰه ولقائه ووحيه مصاب يقينًا في بصيرته وسيرته ، فهو يعبد اليوم الحاضر ، ويكفر بما وراءه ، ويعبد الجسم ولا يهتم إلاّ بمطالبه .

قد يكون بارعًا في علم من العلوم ، أو نابغه في فن من الفنون . ولكن ذلكَ لا يرفع شأنه حين تنكر لخالقه ، وأعلن الخصومة على مالك أمره ، فعظمة الموهبة لا تنفي الإصابة بالعلل المهلكة ، والإنسان مهما قوى بالعلم لن يكون إلهًا ، وسوف يبقى طيلة حياته فقيرًا لبارئه .

إن هذا البعيد عن الإيمان الصحيح إنسان معتل الضمير ، زائغ التفكير ، لا يؤمن جانبه على القريب أو البعيد ، إنه حيوان ضائع ، بل هو ميت ولو حلّق في أجواز الفضاء .

تدبر قوله تعالى : ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ (١) .

وعبادة الإنسان لهواه تجعله مشئومًا على نفسه وعلى كل المتصلين به ، وقد يعاقبه اللَّه في دنياه فيجعل ذكاءه وبالاً عليه فيسعى في إهلاك نفسه ، ويحفر قبره بيده .

قال تعالى : ﴿ **أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ۞ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾ (٢) .

أما الجهل بالدين ، والعودة إلى الجاهليات القديمة والمحدثة فقد أدى إلى إحياء العصبيات والتمسك بالقوميات ، وسرى ذلكَ إلى المجتمع الإسلامي فكان عاملاً أساسيًا في انهيار الحضارة الإسلامية وضعف دولة الإسلام .

والإسلام يؤكد أن البشر جميعًا من أصل واحد ، يجمعهم نسب مشترك ويستوون

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٢٢ .

(٢) سورة الفرقان : الآيتان ٤٣ ، ٤٤ .

في أنهم نفخة من روح اللّه حلت في إهاب من تراب هذه الأرض .

قال تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۞ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (١) .

فلا فضل لعربي على عجمي إلاَّ بالتقوى ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه .

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لاَيُظْلَمُونَ ﴾ (٢) .

والرابطة التي تربط بينَ المسلمين في شتى بقاع الأرض هي رابطة الإسلام والإيمان ، تتلاشى معها جميع الروابط الإنسانية .

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴾ (٣) .

إن هذه الأخوة التي فرضها الإسلام ليست لفظًا أجوفًا ، أو شعارًا مزيفًا ، إنما هي رحم دينية موصولة تعطي ثمارًا أشهى وأزكى مما تعطيه الديموقراطية والاشتراكية أو القومية العربية ، أو غيرها من القوميات ، وينساب هذا العطاء الطيب في جميع المجالات .

وقد اعتمدت الدولة الإسلامية الأولى على هذه الأخوة الإيمانية في مواجهة ظروف الحياة ، فتراصت صفوف المؤمنين في جهاد موصل لإعلاء كلمة اللّه .

ولكن العالم الإسلامي ـ بعد غزو أوربا لعقول المسلمين وديارهم ـ اندفع اندفاعًا غريبًا إلى إحياء العصبيات التي قضى عليها الإسلام ، وتغني بشعائر الجاهلية ، وتفاخر بالعودة إلى عهودها وظلامها ، فانتشرت الأوهام ، وسادت الخرافات ، وفتحت أبواب الأهواء والشهوات !

---

(١) سورة السجدة : الآيات ٧ ـ ٩ .

(٢) سورة الأحقاف : الآية ١٩ .

(٣) سورة الحجرات : الآية ١٠ .

والقرآن الكريم يمن على المسلمين بإخراجهم من الظلمات إلى النور ، ومن الجاهلية إلى الإسلام ، ويحثهم على شكر هذه النعمة التي لا نعمة أعظم منها .

قال تعالى : ﴿ **وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا** ... ﴾ (١) .

الجاهلية تجمع معاني الجهل والضلال ، والبعد عن الحقائق ، والانغماس في الأضرار الدنيوية والأخروية ، ومع ذلكَ فقد لقيت ترحيبًا في هذا العصر في كثير من الأقطار الإسلامية ، التي توجهت إلى تمجيد هذه الجاهلية وإحياء شعارها ، وهذا جحود ونكران للجميل ، وقلة تقدير لنعمة الإسلام ، وفضل محمد ﷺ .

إن هذه الموجة الجاهلية هي أعظم موجة يواجهها العالم الإسلامي المعاصر من حيث قوتها وشمولها وتأثيرها في المجتمعات الإسلامية ، والغريب أن المتنبهين إلى هذه الموجة الجاهلية العارمة قلة محدودة ، والمنقطعين إلى مقاومتها ومحاربتها أعداد أقل !

ما الذي دهى العالم الإسلامي حتّى صار ذلكَ الغثاء الذي أخبرنا عنه الرسول ﷺ بقوله : « **يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، قالوا : أمن قلة نحن يومئذ يارسول اللّه ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن اللّه مهابتكم من صدور أعدائكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ، قالوا : وما الوهن يا رسول ؟ ! قال : حب الدنيا وكراهية الموت** » (٢) .

ليست القضية مجرد انحطاط خلقي ، أو إهمال في أداء العبادات أو تقليد للأجانب في السلوك والعادات ـ وهو أمر يستحق الجهاد والكفاح ـ ولكن القضية أكبر من ذلكَ كله ، إنها قضية كفر وإيمان !

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٣ .

(٢) أخرجه أحمد ، وأبو داود .

فإما بقاء على الإسلام أو ترك له ، إنها معركة بينَ المادية البحتة وبين تعاليم السماء ، بينَ فلسفات لا دينية وبين رسالة محمد خاتم الأنبياء .

وإنه لمن أعظم القربات إلى اللّٰه أن تقاوم هذه الموجة اللادينية ، وأن تحارب هذه المادية حتّى تعود الثقة المفقودة في نفوس الشباب ، وتسرى القناعة والطمأنينة إلى عقول وقلوب المثقفين ، فتقتلع المبادىء الجاهلية من جذورها ، وتزال آثارها من العقول والنفوس لتحل محلها تعاليم الإسلام وهداياته بطريق الحجة والبيان والإقناع .

عندئذ تحرر الرقاب المسلمة من رق الفلسفات الغربية ، والنظريات الإلحادية ، ولا ننكر أن كثيرًا من المصلحين ومجددي الإسلام بذلوا جهودًا مخلصة كبيرة ليعود الوعي الغالب إلى جموع المسلمين ، وتحملوا في سبيل ذلكَ صنوفًا من الإيذاء والبلاء ، ومقاومة عنيفة من أصحاب الشهوات والأهواء ، فجزاهم اللّٰه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

وما زالت الحاجة ماسة إلى المزيد من جهود المصلحين المخلصين الذين ينقطعون إلى الدعوة والإصلاح ، متجردين عن الشهوات والأنانيات والعصبيات ، ويتمثلون أخلاق الأنبياء ، إذ لا بقاء للعالم الإسلامي إذا ضاع الإسلام .

إن الإسلام دين يوافق الفطرة ويلائمها ويتجاوب معها ، وأصالة تعاليمه تبدو جليلة في رفض كل عنصر غريب على الدين .

الدكتور

محمد مجاهد نور الدين

أهم المراجع العلمية

١ ـ **القرآن الكريم**

(أ)

٢ ـ **الإبريز** : لعبد العزيز الدباغ ، ط . مصر .

٣ ـ **أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي** : د . علي جريشة ، محمد شريف ـ دار الاعتصام ، بالقاهرة .

٤ ـ **أسرار الماسونية** : للجنرال : جواد رفعت آتلخان ، ترجمة : نور الدين الواعظ وآخرين ـ ط . القاهرة سنة ١٤٠٥ هـ .

٥ ـ **إسرائيليات** : لأحمد بهاء الدين ـ ط . دار الهلال ـ القاهرة .

٦ ـ **الإسلام في وجه التغريب** : أ . أنور الجندي .

٧ ـ **الإسلام والدعوات الهدامة** : أ . أنور الجندي ـ دار الكتاب اللبناني ، بيروت .

٨ ـ **الإسلام والعقل** : د . عبد الحليم محمود ، ط . ١٩٧٣ م .

٩ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة** : لابن حجر العسقلاني ، ط . التجارية بالقاهرة ١٩٣٩م .

١٠ ـ **أضواء على البهائية** : صالح عبد الحي وأمينة الصاوي ، دار مصر للطباعة .

١١ ـ **الاعتصام** : للإمام الشاطبي ، مطبعة السعادة بمصر .

١٢ ـ **اقتضاء الصراط المستقيم** : مخالفة أصحاب الجحيم : للإمام ابن تيمية .

١٣ ـ **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين** :للإمام الرازي ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية بمصر .

١٤ ـ **الاقتصاد في الاعتقاد** : للإمام الغزالي ، ط . الجندي .

١٥ ـ **إلجام العوام** : للإمام الغزالي ، ط . منير .

١٦ ـ **الإنسان الكامل** : لعبد الكريم الجيلي ، ط ١٩٨١ م .

١٧ ـ **الإيقان** : للبهاء .

١٨ ـ **الإيمان** : لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ دار الطباعة المحمدية ، بالقاهرة .

(ب)

١٩ ـ **البابية (تاريخها وعقيدتها)** : عبد الرحمن الوكيل ، ط . المدني ١٩٨٦م .

٢٠ ـ **البابية والبهائية في الميزان** : الشيخ مصطفى الحديدي الطير ، ط الأزهر .
٢١ ـ **البهائية (وسائل وغايات)** : د . طه الدسوقي .
٢٢ ـ **البهائية** : لعبد الرحمن الوكيل ، دار المدني بالسعودية ط ٢ .
٢٣ ـ **البهائية** : محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية بمصر ١٩٧٣م .
٢٤ ـ **بينَ الرابطة الإسلامية والفكرة القومية** : أ . أبو الأعلى المودودي .

(ت)

٢٥ ـ **تاريخ البابية** : د . محمد مهدي خان .
٢٦ ـ **تاريخ الدعوة الإسماعيلية** : د . مصطفى غالب .
٢٧ ـ **التبصير في الدين** : لأبي المظفر الإسفراييني تحقيق كمال الحوت ، ط . بيروت ١٩٨٣م .
٢٨ ـ **تبليغ الرسالة** : لغلام أحمد القادياني .
٢٩ ـ **التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية** : ترجمة د . عبد الرحمن بدوي ، ط . دار القلم بيروت .
٣٠ ـ **تسعة عشر ملكًا** : حسن ناجي .
٣١ ـ **التصوف** : الشيخ مصطفى عبد الرزاق ، ط . دار الكتاب اللبناني ـ بيروت .
٣٢ ـ **التصوف الإسلامي** : أحمد توفيق عياد .
٣٣ ـ **التصوف في الإسلام** : منابعة وأطواره . د . محمد الصادق عرجون ، مكتبة الكليات الأزهرية .
٣٤ ـ **التعريفات** : للجرجاني ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٣م
٣٥ ـ **التعرف لمذهب أهل التصوف** : للكلاباذي تحقيق : محمود النواوي ، ط ٢ بالقاهرة .
٣٦ ـ **التفكير الفلسفي في الإسلام** :د . عبد الحليم محمود ، ط . دار المعارف .
٣٧ ـ **التلمود** : نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٩٦٧ م .
٣٨ ـ **تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية** :الشيخ مصطفى عبد الرزاق ، مكتبة النهضة بمصر ط ٣ .
٣٩ ـ **تهذيب التهذيب** : لابن حجر العسقلاني .
٤٠ ـ **تهافت البابية والبهائية** : د . مصطفى عمران .

٤١ ـ **التيارات المعاصرة** : د . علي حسن .

(ج)

٤٢ ـ **جمهرة الأولياء** : لأبي الفيض المنوفي الحسيني ، ط . الحلبي بمصر .

(ح)

٤٣ ـ **حاضر العالم الإسلامي** : للأمريكي : لوثروب ستوارد ، ترجمة حجاج نويهض .

٤٤ ـ **الحق المر** : الشيخ محمد الغزالي ، دار الشروق ط ٢ سنة ١٩٩٠ م .

٤٥ ـ **حقيقة البهائية** : د . مصطفى محمود ، دار المعارف بمصر .

٤٦ ـ **الحكومة السرية في بريطانيا** : جون كريج سكوت ، ط القاهرة ١٩٥٧ م .

٤٧ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** :لأبي نعيم الأصبهاني ، ط . دار الكتاب العربي بيروت .

(خ)

٤٨ ـ **خطر البابية والبهائية** : د . مصطفى غلوش ، ط ١٩٨٩م .

٤٩ ـ **الخطر اليهودي** : محمد خليفة التونسي ـ ط٣ . القاهرة .

(د)

٥٠ ـ **دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة** : عبد اللّه الأمين ، ط بيروت .

٥١ ـ **دراسات في الفلسفة المعاصرة** : زكريا إبراهيم ـ مكتبة مصر ١٩٦٨م .

٥٢ ـ **دراسات في الفلسفة الإسلامية** : د . محمود قاسم ، ط . دار المعارف .

٥٣ ـ **دفاع عن العقيدة والشريعة** : الشيخ محمد الغزالي .

٥٤ ـ **الدولة اليهودية** : تيودر هرتزل ـ ط . القاهرة .

٥٥ ـ **الدين** : أ . د . محمد عبد اللّه دراز .

(ر)

٥٦ ـ **راحة العقل** : حميد الدين الكرماني .

٥٧ ـ **رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر** : أ . محمد قطب ، دار الوطن للنشر بالسعودية .

٥٨ ـ **رسائل الإصلاح** : الشيخ محمد الخضر حسين .

٥٩ ـ **الرسالة القشيرية** : لأبي القاسم عبد الكريم القشيري ، ط حسان بالقاهرة ١٩٧٤م .

٦٠ ـ **روضة التعريف بالحب الشريف** : لسان الدين الخطيب ، دار الفكر العربي .

(ز)

٦١ ـ **زعماء الإصلاح في العصر الحديث** : أحمد أمين ، دار الكتاب العربي بيروت .

(س)

٦٢ ـ **سارتر فيلسوف الحرية والاغتراب** : محمود رجب ـ مجلة الفكر المعاصر ـ العدد ٢٥ ـ القاهرة ـ ١٩٦٧م .

٦٣ ـ **ساعات بين الكتب** : عباس محمود العقاد ، المكتبة العصرية ـ بيروت .

٦٤ ـ **سنن أبي داود** .

٦٥ ـ **سنن ابن ماجة** .

٦٦ ـ **سنن الترمذي** .

٦٧ ـ **سنن النسائي** .

(ش)

٦٨ ـ **شرح الطحاوية** : لابن أبي العز الحنفي تحقيق د . عبد الرحمن عميرة ، مكتبة المعارف بالرياض .

٦٩ ـ **شعب الإيمان** : للإمام البيهقي .

(ص)

٧٠ ـ **صحيح البخاري** : مؤسسة علوم القرآن ، الإمارات العربية ، تخريج د . مصطفى الديب .

٧١ ـ **صحيح مسلم** : بشرح النووي ، ط . الشعب بمصر .

٧٢ ـ **صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام** : للسيوطي ، ط١ .

(ط)

٧٣ ـ **الطريق من هنا** : الشيخ محمد الغزالي ، دار البشير بالقاهرة ، ط ١ سنة ١٤٠٧هـ

(ع)

٧٤ ـ **العبر في خبر من غبر** : للحافظ الذهبي .

٧٥ ـ **العرب والإسلام** : أبو الحسن الندوي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ط ٣ سنة ١٤٠١هـ .

٧٦ ـ **عقيدة المؤمن** : أبو بكر الجزائري ، الصابوني للطباعة بمصر .

٧٧ ـ **العقيدة والشريعة في الإسلام** : جولد زهير .

٧٨ ـ **العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية** : د . سعد الدين صالح ـ دار الصفا بالقاهرة ، ط ٢ سنة ١٩٩٠م .

٧٩ ـ **عوارف المعارف** : عبد القادر السهروردي ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤٠٣هـ .

(غ)

٨٠ ـ **الغزو الفكري في العالم العربي** : عبد الله عبد الجبار ، ط ١ سنة ١٣٩٤هـ .

(ف)

٨١ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري** : لابن حجر العسقلاني ، ط . بيروت .

٨٢ ـ **الفتوحات المكية** : لابن عربي ، ط . الهيئة المصرية للكتاب ١٤٠٥هـ .

٨٣ ـ **الفرق بين الفرق** : لابن حجر العسقلاني ، ط . بيروت .

٨٤ ـ **فرق الشيعة** : للنوبختي .

٨٥ ـ **الفصل في الملل والأهواء والنحل** : لابن حزم .

٨٦ ـ **فصوص الحكم** : لابن عربي ، تعليق د . أبو العلا عفيفي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٨٧ ـ **الفكر الإسلامي في تطوره** : أ . د . محمد البهي .

٨٨ ـ **الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر** : أ . د . محمد البهي .

٨٩ ـ **الفلسفة أنواعها ومشكلاتها** : هنز ميد ـ ترجمة فؤاد زكريا ـ دار نهضة مصر ١٩٧٥م .

(ق)

٩٠ ـ **القاديانية** : أبو الحسن الندوي ، أبو الأعلى المودودي ، محمد الخضر حسين ، ط . رابطة العالم الإسلامي .

٩١ ـ **القاديانية** : الخطر الذي يهدد الإسلام ، محمد أحمد عوف ـ دار النهضة العربية .

٩٢ ـ **القاديانية** :نشأتها وتطورها ،حسن عيسى عبد الظاهر ،ط مجمع البحوث الإسلامية بمصر .

٩٣ ـ **القادياني والقاديانية** : أبو الحسن الندوي ـ الدار العصرية للنشر بجدة .

٩٤ ـ **قراءة في وثائق البهائية** : د . بنت الشاطيء .

٩٥ ـ **قواعد التصوف** : لابن زروق ، ط ٢ ـ ١٣٩٦هـ بالقاهرة .

٩٦ ـ **قواعد عقائد آل محمد الباطنية** : للديلمي .

٩٧ ـ **القوى الخفية في السياسة العالمية** : ل . فراي ــ ترجمة محمد كمال ثابت ــ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

(ك)

٩٨ ـ **كشف المحجوب** : للهجويري ترجمة د . إسعاد قنديل ، ط . بيروت ١٩٨٠م .

٩٩ ـ **الكشاف** : للزمخشري ، ط . دار النهضة بمصر .

١٠٠ ـ **الكنز المرصود في قواعد التلمود** : د . روهانج ، ترجمة : يوسفا حنا ، دار المعارف بمصر .

١٠١ ـ **الكواكب الدرية في مآثر البهائية** : لمؤرخ البهائية ، عبد الحسين أواره .

(ل)

١٠٢ ـ **لطائف المنن والأخلاق** : عبد الوهاب الشعراني ، ط . القاهرة .

١٠٣ ـ **اللمع** : للسراج الطوسي ، ط . دار الكتب الحديثة بمصر .

(م)

١٠٤ ـ **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين** : أ . أبو الحسن الندوي . ط ٤ .

١٠٥ ـ **ماركسية القرن العشرين** : ترجمة لكتاب (جارودي) تعريب نزيه الحكيم ط ٣ سنة ١٩٧٢م .

١٠٦ ـ **الماسونية العالمية وموقفها من الإنسان والأديان** : د . عابد منصور ، مطبعة الأمانة ط ١ سنة ١٩٨٨م .

١٠٧ ـ **مجلة الأزهر** : عدد شوال سنة ١٤٠٥هـ .

١٠٨ ـ **مجموع الألواح** : للبهاء .

١٠٩ ـ **مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية** ، ط ١٣٩٨ هـ .

١١٠ ـ **محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين** : للفخر الرازي ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية .

١١١ ـ **مختار الصحاح** : للشيخ عبد القاهر الرازي ، ط . الحلبي ١٩٥٠م .

١١٢ ـ **مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة** : د . محمد مهران ـ ط . ١٩٨٤م .

١١٣ ـ **مذاهب فكرية معاصرة** : أ . محمد قطب .

١١٤ ـ **المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها** :د . عبد الرحمن عميرة ، دار النواء بالسعودية .

١١٥ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل** : ط . دار المعارف بالقاهرة .

١١٦ ـ **معالم الفلسفة الإسلامية** : محمد جواد مغنية ، دار الهلال ـ بيروت .

١١٧ ـ **المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى** :للإمام الغزالي ،ط ٢ السعادة بمصر .

١١٨ ـ **مقالات الإسلاميين** : لأبي الحسن الأشعري .

١١٩ ـ **مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام** : أ . د . عوض الله جاد حجازي ، ط ٣ بالقاهرة سنة ١٩٨٦م .

١٢٠ ـ **مكاتيب** : لعبد البهاء .

١٢١ ـ **ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية** : ـ القاهرة .

١٢٢ ـ **الملل والنحل** : للشهرستاني ، ط . الحلبي .

١٢٣ ـ **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة** : الندوة العالمية للشباب بالسعودية ط . ١٤٠٩هـ .

(ن)

١٢٤ ـ **الوجودية نزعة إنسانية** : جان بول سارتر ـ الترجمة العربية .

١٢٥ ـ **نحن والشيوعية في الآونة الحاضرة** :د . سعدون حجازي ، دار الطليعة للطباعة والنشر .

(هـ)

١٢٦ ـ **هذه هي الوجودية** : بول فولكبيه ـ الترجمة العربية .

(ى)

١٢٧ ـ **اليهودية** : د . أحمد شلبي ط ٥ بالقاهرة ١٩٧٨م .

فهرس
الجزء الأول

الموضوع	صفحة
مقدمة	٣
تمهيد	٥ ـ ٢٦
١ ـ وضوح العقيدة الإسلامية وشمولها	٥
٢ ـ مصادر تلقي العقيدة الإسلامية	٦
٣ ـ النهي عن الاختلاف والجدل في الدين وذم البدع والأهواء	١٠
٤ ـ نشأة الفرق الإسلامية وعلم الكلام	١٢
٥ ـ الفرق الناجية	٢٣
٦ ـ أسباب الضلال	٢٤
الفرق والتيارات الباطنية	٢٧ ـ ١١٣
تمهيد	٢٩
الباطنية	٣١
المنهج الباطني في التأويل	٣٣
حيل الباطنية	٣٧
من الفرق الباطنية	٤٣
١ ـ الرافضة	٤٣
الزيدية وطوائفها	٤٤
الكيسانية	٤٥
الإمامية	٤٦
غلاة الرافضة وطوائفها	٤٦

الموضوع	صفحة
أخطر عقائد الرافضة	٤٨
٢ ـ الإسماعيلية	٥١
أخطر عقائد الإسماعيلية	٥٣
جذور أفكارهم وعقائدهم	٥٨
٣ ـ النصيرية	٥٩
أخطر عقائد النصيرية	٦٠
جذور أفكارهم وعقائدهم	٦٣
حكم الإسلام في النصيرية	٦٤
٤ ـ الدروز	٦٦
أخطر عقائد الدروز	٦٨
جذور أفكارهم وعقائدهم	٧٠
٥ ـ البابية والبهائية	٧١
أولاً : البابية :	٧١
عوامل ظهورها ونشاطها	٧٩ ـ ٨٢
ثانيًا : البهائية :	٨٣
أخطر عقائد البابية والبهائية وموقف الإسلام منها	٨٥
أولاً : الإلهيات	٨٥
ثانيًا : النبوات	٩٢
ثالثًا : السمعيات	١٠٤
الجذور الفكرية لعقائد البابية والبهائية	١٠٦
حكم الإسلام فيها	١٠٦

الموضوع	صفحة
٦ ـ القاديانية	١٠٨
عقائد القاديانية	١١١
حكم الإسلام فيها	١١٣
التصوف والطرق الصوفية	١١٥ ـ ١٥٣
تمهيد	١١٧
أصل كلمة التصوف	١٢١
التصوف وأطواره	١٢٥
أخطر المعتقدات عند الصوفية	١٣١
مراتب الصوفية	١٣٨
من أشهر الطرق الصوفية المعاصرة	١٤١ ـ ١٥٢
١ ـ القادرية	١٤٢
٢ ـ الرفاعية	١٤٤
٣ ـ الشاذلية	١٤٥
٤ ـ النقشبندية	١٤٧
٥ ـ التجانية	١٤٨
أهم أفكارهم وعقائدهم	١٤٩
٦ ـ البريلوية	١٥٠
أهم أفكارهم وعقائدهم	١٥٠
الخاتمة	١٥٣

فهرس
الجزء الثاني

الموضوع	الصفحة
مُقَدِّمَة	١٥٧
الغزو الفكري وآثاره في العالم الإسلامي	١٥٩
أولاً : أثر الغزو الفكري الغربي في العالم الإسلامي	١٦١
١ ـ الاستشراق	١٦١
٢ ـ التبشير	١٦٥
٣ ـ فصل الدين عن الدولة	١٦٦
٤ ـ إحياء القوميات	١٦٧
ثانيًا : أثر الغزو الفكري الماركسي في العالم الإسلامي	١٦٧
ثالثًا : أهم العوامل الداخلية التي مكنت للتيارات الفكرية الضالة	١٧١
الصهيونية نشأتها وخطرها	١٧٧ ـ ٢٠٥
تمهيد	١٧٩
نشأة الصهيونية	١٨٤
خطر الصهيونية وأثرها على الإسلام والمسلمين	١٩٣
الماسونيـــــة	٢٠٧ـ ٢٢١
حقيقتها	٢٠٩
نشأتها	٢١٠
موقف الماسونية من الأديان	٢١٤
مصادر الفكر الماسوني	٢١٥

الموضوع	صفحة
موقف الإسلام من الماسونية	٢١٩
التيار الماركسي الشيوعي	٢٢٣ - ٢٣٥
نشأته وظهوره	٢٢٥
الشيوعية والدين	٢٢٨
أهم مصادر الفكر الشيوعي	٢٣٠
أسباب انتشار لبفكر الشيوعي في العالم الإسلامي	٢٣١
آثار التيار الشيوعي وموقف الإسلام منه	٢٣٢
الوجودية	٢٣٧ - ٢٥٩
مفهومها	٢٣٩
سارتر والوجودية	٢٥١
تعقيب	٢٥٢
العلمانية	٢٦١ - ٢٧٠
أولاً : نشأتها	٢٦٣
ثانيًا : فكرتها	٢٦٥
ثالثًا : مجالاتها	٢٦٦
رابعًا : آثارها على العالم الإسلامي	٢٦٨
خامسًا : موقف الإسلام منها	٢٦٩
القومية	٢٧١ - ٢٨٦
معناها	٢٧٣
تاريخها	٢٧٣

الموضوع	صفحة
آثارها على العالم الإسلامي	٢٧٦
موقف الإسلام من الدعوة القومية	٢٧٩
العالم الإسلامي وجهود المصلحين	٢٨٧
الشيخ محمد عبد الوهاب	٢٩١
خلاصة دعوته	٢٩٥
الخاتمة	٣٠١
أهم المراجع العلمية	٣٠٧
فهرس الموضوعات	٣١٥

تمت